كريستوفر فليكس

المسافر الخامس والسبعون

المســـافر
الخامس والســـبعون

بقـلم

كريسـتوفر فليـكس

THE SEVENTY FIFTH PASSENGER

by:

CHRISTOPHER FELIX

هـذا الـكتاب

جاء فى الفصل الثالث من كتاب « الجاسوس ورؤساؤه » الذى أصـدرته هذه الهيئة قبل أيام ضمن هذه المجموعة من الكتب التى تصدرها عن أعمال المخـابرات وعن الجاسـوسية ومكافحتها ، جاء حديث طويل عن « ضـابط الحالة » وعن « العميل » وعن العلاقة بينهما وأسلوب التعامل بينهما ، ثم عاد فعرض لهما عند الحديث عن « الساتر » وعن « منظمات التغطية » وناقش الأمر فى نطاق أوسـع عند الحـديث عن « الجاسوسية المضادة » و « الأمن » وعند عرضه « للعمليات السياسية » . ولقد أشرت الى هذا كله هنا لأعيد الى ذاكرة القارىء بعض الفصول التى يحسن أن يعود اليها عند مطالعته هذا الكتاب الذى نحن بصدده اليوم .

فكتابنا هذا : « المسافر الخامس والسبعون » هو عرض لقصة حقيقيـة توضح عمل « ضـابط الحالة » من الناحية العملية لا فى حديث نظرى تعليمى على مثال ما جاء فى فصول كتاب « الجاسوس ورؤساؤه » ، والقصة حقيقية ذلك لأنها هى فعلا العملية التى قام بها كريستوفر فليكس فى سنتى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ لتهريب عدد من المجريين من المجر المحتلة بالقوات السوفييتية .

ومع أن هذا العرض هو قصة حقيقية وهي واقع تاريخي صحيح الا أنها لا تزال قصة يمكن أن ينظر اليها كذلك لولا الجانب العاطفي الاخاذ الذي تلقاه في سطور صفحات الكتاب والمؤلف نفسه يقول : « ولقد شعرت وأنا أعيد كتابة هذا التسجيل التاريخي بنفس المشاعر التي كنت أحس بها يوم ذاك ، الغضب ، القلق ، الخوف ، الشك ، الحيرة ، الدهشة ، العطف ، الأمل ، الرضى ، الاقتناع بانتصارات صغيرة ، الفزع ، الجزع ، ثم أخيرا الحزن مع بعض فرص تجيء كالبرق الخاطف فيها بعض المرح الذي يبدد المشاعر المحزنة الأخيرة لتصفو سماء حياتي للحظات قصار » .

على أن الجميل في هذه القصة أننا نستطيع مطالعتها في طابع نقدي للأصول والتعاليم التي قدمها المؤلف في كتابه « الجاسوس ورؤساؤه » وبخاصة لندرك حقيقة ما كان يذكره عن تأثير المشاعر العاطفة والنواحي الانسانية عن العمل وطبيعته .

ومن هذه الناحية تصلح القصة للجدل وللنقاش وتفتح الكثير من الآفاق التي يمكن أن نخرج بها من مطالعة القصة بالكثير من الدروس الحرية بالبحث والمعرفة .

والجميل أن المؤلف ختم كتابه بفصل أخير بعنوان « نيويورك ١٩٦٢ » ، وليس هذا الفصل كما يبدو من العنوان جزءا من القصة بل هو نقد عام شخصي كتبه عن نفسه دون توجيه من أحد فهو غير « النقد الذاتي » الذي قرأنا عنه في كتابينا « غسل المخ » و « معركة العقل » . ولكنه في الواقع قد قصد بهذا النقد البناء أن يقدم للقارىء دراسة علمية نافعة ، ومع هذا فقد التمس من القارىء ان يطالع الكتاب وأن يعد هو وحده ما يراه من ملاحظات

ونقد .. وأن يكون النقد الذى يخرج به القارىء وحده هو أساس مقارنته بين دراسته هو ونتيجة هذه الدراسة وبين النقد الشخصي للمؤلف وهنا تعرض للقارىء فرصة اخرى للدراسة المقارنة .

ومن أجل هذا النقد أو من أجل هذه الدراسة النقدية على وجه أصح كانت ترجمتنا لهذا الكتاب والتعجيل فى تقديمه بعد فترة من صدور كتابه الأول « الجاسوس ورؤساؤه » حتى نطمئن الى أن القراء قد طالعوه واستوعبوا ما فيه وقد حان فعلا الوقت للانتقال الى الدراسة العملية ، ومحاولة اعداد الدروس المستفادة التى يكون القارىء قد خرج بها وحده من مطالعة الكتاب الأول ومقابلتها بالدروس التى سيخرج بها من مطالعته للكتاب الثانى .

على أن هنا ناحية لا يجوز أن نغفلها ، وهى أن الكتاب يقدم صورة كاملة للعملية السياسية السرية بمختلف نواحيها من اعداد للخطة ، واختيار للعملاء فى الشبكة ، ثم التنفيذ . وكيفية التغلب على المواقف الحرجة ومواجهة الأخطار .

ولكن هذه العملية باعتبارها عملية واقعية جرت فى المجر فانها تصور لنا حقيقة الموقف فى منطقة من منـاطق شرق أوروبا ووسطها فى السنوات العشر التى تلت الحرب العالمية الثانية .

ولعل فى هذا بعض النفع من ناحية التسجيل التاريخى الى جانب ما فيه من نفع للدراسة الخاصة بالعمليات السرية .

والله ولى التوفيق ..

المحتويات

١

بودابست سنة ١٩٤٦

كان للصدمة التى استولت على مشاعرى ليلة ٤ من نوفمبرسنة١٩٥٦ عندما قامت القوات السوفييتية بمهاجمة بودابست جذور عميقة فى نفسي مما أعد الى ذاكرتي موقعة خضتها فى المدينة ذاتها وفى ظروف مماثلة قبل عشر سنوات مضت ، كما تذكرت أننا خسرنا الموقعة يوم ذاك بسبب ما كان لدى السوفييت من عتاد وأسلحة ثقيله • ولكن خسارتنا كان لها طابع الشرف والشهامة •

وكنت قد رأيت بودابست لاول مرة فى صيف سنة ١٩٤٦ حيثجئت بوصفى عميلا سريا وأحد أعضاء منظمة المخابرات الامريكية . ولم تكن هناك المنظمة التى يقال لها « المخابرات المركزية » فعلا فقد كانت قد انهت مهمتها من الناحية الرسمية . وعهد الى بهذا العمل لأنى كنت أعرف اللغة الروسية وكنت أهتم بشئون أوروبا الشرقية بخاصة ، وكانت بودابست تعد مشكلة مجرية تبعا لوجود القوات الروسية بها •

ففي شتاء سنة ١٩٤٤ اقتحمت البلاد ثلاثة جيوش روسية من يوجوسلافيا نحو الجنوب • ومن رومانيا نحو الجنوب الشرقى • وفوق جبال الكربات من رونينيا نحو الشرق ، وكان المتوقع أن الروس قد جاءوا بقصد تحرير البلاد ، بالرغم من أن الذاكرة كانت لا تزال تعود بنا الى المجر أيام الغزو الروسى الاخير منذ سبعة وتسعين عاما عندما جاءوا بدعوة من أمبراطور النمسا لاخماد ثورة دامية وللابقاء على النقاء الايديولوجى • ثم لابعاد فيروس الحرية السياسية حتى لا تصل الى حدود أمبراطوريتهم على مثال ما حدث مرة أخرى بعد اثنتى عشرة سنة من هذا الشتاء فى سنة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ •

وأما حكومة المجر فقد عادت بها الذاكرة الى سنة ١٨٤٨ والى عهد بيلاكون الشيوعى سنة ١٩١٩ فقامت فى سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٤ بعقد صلات مع الحلفاء فى العواصم المحايدة بقصد اعداد غزوات تقوم بها القوات الانجليزية والامريكية · وذلك للوقوف فى وجه الاحتلال الالمانى أولا وبالتالى منع الاحتلال السوفييتى · وكان هناك كولونيل بريطانى يعمل سرا فى بودابست ولكنه كان على صلة بكل من حكومتى المجر ولندن ، فاستقل طائرة سرا الى مقر قيادة الحلفاء فى كاسرتا حيث عرض على الرؤساء هناك مقترحات المجر التى لم يقبلها الحلفاء ، وطبقا للقرارات التى اتخذت فى مؤتمر طهران أن أوعز الحلفاء للمجريين بالاتصال بالروس · اذ كانت المقترحات ـ من وجهة النظر العسكرية ـ لا يمكن تنفيذها · وذلك طبقا للخطة الموضوعة لتقيم بغزو نورماندى ·

ولم تكن كل هذه المناورات سوى جزء واحد مما اشتمل عليه قرار الألمان باحتلال المجر فى مارس سنة ١٩٤٤ ، وفى أكتوبر قام هورتى بمحاولة أخرى للتسليم الى الروس مما أدى الى اعتقاله واختطافه · وكانت عملية ناجحة أخرى قام بها أوتو سكورزكى خبير عمليات النازى السرية · كما كانت نتيجتها اقامة حكومة شرلاسى عميل النازية فى بودابست ·

وفى أقل من سنة بعد احتلالهم البلاد · فوجىء الالمان فى المجر بزحف الجيوش الروسية من الجبال التى تحيط بسهل بوتزا المجرى العظيم · وهنا منذ ألف سنة كان ارباد زعيم « المجر » قد قرر أن يجعل السهل مقرا لاقامة قبائله ليضع حدا لانتقالهم وتجوالهم من مكان الى آخر وحيث كانوا يلجأون الى السلب والنهب مما أثار الرعب فى أنحاء أوروبا المسيحية · وعندما جاست الجيوش الروسية خلال البقاع التى كانت مهدا لتلك القبائل الرحل من المجر الأولين · كانت جبهتهم الأمامية التى كانت تضم القوات الاسيوية المركزية ، تقوم بأعمال السلب والنهب مما أثار الذعر بين المواطنين · (كانت هناك حلقة تربط بين المجريين وأسلافهم · فقد كان وراءهم ألف سنة من المدنية المسيحية قضوها مطمئنين فى ربوع خصبة مما كاد ينسيهم أوطانهم الآسيوية) ·

وسرعان ما قام الروس بأجلاء الالمان عن الناحيتين الجنوبية والشرقية من بلاد المجر • ولكن كان من الواضح أن بودابست لا يمكن اجتيازها فقد كانت جميع الخطوط الحديدية في البلاد تمر خلال العاصمة • وأحاط الروس بالمدينة في مساء يوم عيد الميلاد سنة ١٩٤٤ وقاموا بالهجوم من ناحية فينا مركزين ضربتهم أولا على بودا وهى الجزء الغص بالسكان ويقع على الضفة الغربيه من نهر الدانوب . واستمر الحصار تسعة وخمسين يوما قبل أن يتم القضاء على بقية جنود الالمان الذين اتخذوا من « ايفار » قلعة التل حصنا لهم ، وكانت هذه هى المقر القديم لملوك المجر وموقع القصر الملكى وكنيسة التتويج • كما تم القضاء على الالمان فى جزيرة سانت مارجيت التى تقع فى مجرى أحد النهيرات •

حتى اذا استقر الروس وضمنوا سلامة مواصلاتهم اتجهوا نحو الغرب للاستيلاء على فينا فى ١٣ من ابريل سنة ١٩٤٥ ولمواجهة الامريكيين قبل نهاية الحرب بفترة تقل عن الثلاثين يوما • وكان ذلك فى لنتز فى أعالى النمسا • قد سمح للنمسا باقامة حكومه من المواطنين ولكنها كانت تنقسم الى أربعة مناطق احتلال . مع منطقة خامسه دولية فى قلب العاصمة — وكانت منطقة السوفييت تقع بين المجر والمناطق الغربية فى النمسا • وهنا بدأت تمشيية المجر التى كان المجريون يأملون فى انتهائها •

وكانت اتفاقيات يالتا تنص على أن كلا من بلغريا ورومانيا والمجر يجب أن تعتبر دولا « متحررة » بالرغم من أنها فى حالة حرب مع الدول المتحالفة • وعلى ذلك بمجرد أن استبعدت دبرستين — أكبر المدن المجرية فى شرق البلاد — من الألمان • تصرح للمجريين باقامة حكومة مؤقتة هناك ، وتكونت لجنة للاشراف وعلى رأسها مارشال فورشيلوف بالاشتراك مع مندوبين من الامريكيين والبريطانيين برتبة الميجر جنرال ، وكان القادة الروس يباشرون مهماتهم فى المجر باسم لجنة الحلفاء للاشراف والتى كانت تسير طبقا لتعليمات الرئيس الروسى . وفى بوتسدام قدمت الولايات المتحدة عدة اقتراحات لتسير بمقتضاها لجان الاشراف • فتقبل الروس هذه المقترحات كأنها مباراة للشطرنج ولكن على أن تكون «خاضعة للمناقشة» • وعندما كان السوفييت يتخذون اجراءات مشددة كان ذلك مما يثير غضب البريطانيين أو الأمريكيين ويضطرهم الى لفت أنظار السوفييت لاتباع نصوص التعليمات ولكن كان الرئيس الروسى يرد على ذلك بأن هذه

التعليمات لا تزال « موضع مناقشة • » وأنه لا يقبل المناقشة حول هذا الموضوع فى الوقت الحاضر لان هناك ما يستحق مزيدا من الرعاية ومن الاهتمام » وعندما تحررت بودابست انتقلت هذه المهزلة مع حكومة المجر المؤقتة الى بودابست فى ربيع سنة ١٩٤٥ •

وعلى أية حال لم تكن الحكومة المؤقتة رواية هزلية سواء من الناحية السياسية أو من ناحية التكوين • فقد كانت حكومة ائتلافية تتكون من الأحزاب السياسية الأربعة تحت اشراف لجنة الحلفاء وهى : حزب صغار الملاك وحزب الديمقراطيين الاشتراكيين وحزب المزارعين الوطنيين وحزب الشيوعيين ، وكان هناك حزب خامس معظمه من الكاثوليك ويشترك فى الحكم طبقا للتقاليد ولكن ــ بسبب الكنيسة وما بداخلها من الانقسام لم يتم تنظيمه حتى أواخر سنة ١٩٤٧ ، وكان هذا ــ كما سوف نرى ــ قد فات أوانه • كما كانت هناك مجموعة صغيرة تعرف بالحزب الديمقراطى المدنى وتشترك فى الحكم ولكن لا تعد جزءا من الحكومة الائتلافية •

وكان حزب صغار الملاك من أفراد قلائل قبل الحرب ويشكل هيئة المعارضة ومهمتها الاصلاح الزراعى لصالح صغار المزارعين من أصحاب الأراضى ، كما كان الحزب يهتم أيضا بصغار التجار وأرباب المهن فى المدن والقرى • وكان له سجل هام بالنسبة لموقفه المعارض لدرجة أنه كان يعتبر من أحزاب الاغلبية ، وأما الحزب الديمقراطى الاشتراكى الذى كانت تعضده حكومات ما قبل الحرب فقد كان حزبا اشتراكيا يضم نقابات العمال • ولم يكن له ما يعادله من أحزاب المجر الاشتراكية أو من الاحزاب البريطانية Fabian Society أو من الهيئات الالمانية من أصحاب النظريات الماركسية • وكان حزب المزارعين الوطنيين يمثل نظرية أكثر من أن يكون حزبا فقد كان خلاصة أفكار مجموعة من الكتاب والمثقفين الذين يسعون لاقامة الحياة السياسية فى المجر على أسس من التقاليد وطبقا للعدد المتزايد من المزارعين المجريين • وكان هذا • فى الواقع ــ يماثل أحزاب المجتمع الفابى فى بريطانيا ويعنى بالنهضة بالمشتغلين بالزراعة بأكثر مما يعنى بنهضة عمال المصانع ، وكان الشيوعيون أو على الاقل رياسة الحزب قد جاءوا فى ركاب الجيش الاحمر ثم خلعوا ملابسهم الرسمية وشرعوا فى العمل ، بعد ذلك عاد نحو خمسمائة من الشيوعيين المجريين مع الروس • اذ لم يجدوا عددا كافيا من الشيوعيين للعمل معهم•

فقد كان هناك بضعة عملاء هبطوا بوساطة المظلات أثناء الحرب . بينما كان هناك ما بين ألف وألف وخمسمائة من الشيوعيين الذين يعملون في الخفاء والذين تمكنوا من الافلات من أيدى الشرطة على مر السنين . وأما الاحزاب التي تولت الحكم في البلاد خلال فترة ربع القرن الماضي فقد تم القضاء عليها باعتبارها مسئولة بأدوار تقل أو تكثر عن موقف المجر مع المحور في الحرب .

وفي الوقت الذي ارتفعت فيه الستار عن تمثيلية المجر كان مؤلف نفس الرواية ومخرجها يقدمها على مسارح كل من بولندة ورومانيا وبلغاريا على فترات قصيرة في كل من هذه الدول ، وانكشف الغطاء عن هذه المؤامرة وأصبحت هناك علامة استفهام . هل هذا المنتج الموهوب الذي جاء من جورجيا والذي يعاني من جنون العظمة هل سوف يعيد تمثيل نفس الرواية في بودابست ، وكان يعلم كما أوحى اليه مخرج عصره ـ أن شباك التذاكر لن يحقق أرباحا اذا غادر المتفرجين المسرح في منتصف الفصل الاول ، وعلى ذلك تلكأ في اعلان اسم الرواية ـ وكانت هناك حركة بين النقاد ـ كما أصبح من الواضح أننا لن نستفيد من مساعدى المنتج ـ وهم الروس في المجر ، اذن كان لابد لنا من الرجوع للممثلين ـ وهم حكومة المجر ـ بأمل التعرف على اسم الرواية قبل اخراجها ، وبالاختصار كان علينا أن نعرف ماذا يصنع الروس في المجر من أفواه المجريين أنفسهم . وكان هذا جزءا من مهمة عملاء المخابرات الذين ينتشرون في أروقة الحكومة .

وكان الجانب الآخر هو الحكومة ذاتها ، فاذا كان ستالين يلعب دوره القديم فان ما يهمنا في المستقبل هو معرفة حقيقة اتجاه المجريين أنفسهم، ومواقف الاحزاب المتناحرة في البلاد . والآراء والاتجاهات ، وما هي الشخصيات التي تعارضنا أو تقف بجانبنا ؟ وما هي الاسباب . وما هي الاهداف المنشودة ، وأى فئات من القوم يستطيعون الاشتراك في العمل، وأى فئات لا ترغب في المشاركة والتعاون ؟ وما هي المواهب والبواعث لمختلف الزعماء . سواء في الحال أو في المستقبل ؟ ، ومن هم المجريون الذين يتعاونون مع السوفييت ، والاسباب التي تدعوهم لذلك ؟ ثم مصادر البلاد وامكانياتها ؟ وكانت هناك سلسلة أخرى من الاسئلة لا نهاية لها وتتعلق بجميع أفراد الامة .

ولم تكن أهمية حكومة المجر بالنسبة لنا أنها مصدر للمعلومات فحسب إذ أن اهتمام الولايات المتحدة بهذه البلاد كان جزءا من الهدف الذى يرمى الى اقرار السلام الدائم فى أوروبا الشرقية ، وما زالت هذه تعد محاولة واسعة النطاق وموضع نزاع بين الدول الكبرى • وعلى هذا الاساس لابد لنا من بسط نفوذنا فى مجالس حكومة المجر • حتى اذا اتضح أن الروس يقصدون الاساءة الى البلاد ـ وكان هناك شيء من الشك بين من يراقبون تصرفات الروس ـ فقد تثار مسألة معارضة الحكومة الامريكية لهذه التطورات ، ولكن لو كان الامر هو كذلك فعلا فكيف تتم هذه المعارضة والى أى مدى ؟ وكانت هذه أسئلة لا تجد ردودا مقنعة ، ولكن مهما كان الامر فقد كان من الواضح أننا نرغب فى ضم المجريين الى صفوفنا • وكان الطريق المباشر لتحقيق ذلك ـ ولو أنه لم يكن الطريق الوحيد ـ هو حكومة المجر ذاتها • وهكذا كانت هذه الحكومة غير المنتظمة والتى تئن تحت نير المحتلين • لها ميزة سياسية عظيمة فى المحيط الدولى •

ومن حيث عناصر الشعب المجرى ذاته فيما يتعلق بفترة ما بعد الحرب مباشرة كانت الظروف فى صالحنا الى حد كبير • وعلى أقل تقدير كانت غالبية أفراد الشعب يكرهون الروس بشكل واضح ، وكان كل الزعماء السياسيين يميلون نحو الغرب ، وفى الحق أنهم كانوا جميعا يخشون أن تلتهمهم أمبراطورية السوفييت ، وبينما كانت مشاعر القوم تتجه فى قوة وعزم نحو الاصلاح الاقتصادى والسياسى • لم تكن هناك طبقة أو مجموعة فى الامة تميل الى تطبيق الانظمة الشيوعية باعتبارها حلا لمشاكلهم ، وكان المجريون لا يزالون يشعرون بمرارة الحكم الشيوعى القصير الاجل فى سنة ١٩١٩ . وكان موقف الامريكيين قويا بنوع خاص• وكانت هناك روابط تاريخية معينة تربط بين الشعبين فضلا عن الروابط العديدة التى تجمع بين الاهلين فى المجر وبين الامريكيين من الاصل المجرى •

وفى مقابل هذا الوضع كان هناك وجود الجيش الاحمر الذى تضاعفت قوته ونفوذه بما كان يبثه من الخوف فى نفوس المواطنين • ومما كان يدعم هذا التهديد هو أن أقرب مراكز غربية للحراسة كانت على مسافة لا تقل عن أربعمائة ميل غرب بودابست • باستثناء قطاعات الحلفاء فى فينا • وفى الناحية الشمالية كانت هناك تشكوسلوفاكيا ولكن التشيك كانوا من أعداء حكومة المجر •

وكان المجريون أنصار الشيوعيين قليلين فى ذلك الوقت . ولكن كان لهم من النفوذ قدرا كافيا ، ولم يتدخل الجيش الاحمر الا مرة واحدة لمساعدة الشيوعيون فى الاستيلاء على البلاد وكان تدخله بطريقة حاسمة وقد عاون فى هذا عاملان هدمان هما : الاطماع الشخصية والانقسام .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٥ أجريت أول انتخابات فى المجر بعد انتهاء الحرب ، وكانت انتخابات حرة سليمة مما يعد أول حدث فى المنطقة التى يحتلها السوفييت بل وفى تاريخ السوفييت . كما كانت النتائج مذهلة: اذ أن حزب صغار الملاك الذين كان لديه عدد كبير من الاعضاء نال أغلبية الاصوات بعد انهيار جمهورية السوفييت فى المجر مباشرة سنة ١٩١٩ . وكسب ٥٧٪ من الاصوات . كما نال الاشتراكيون ١٨٪ والشيوعيون ١٧٪ وأما حزب المزارعين الوطنيين فقد نال ٨٪ .

وكان هناك جدال شديد حول الاسباب التى دعت السوفييت للموافقة على اجراء هذه الانتخابات . ومن بين ما قيل أنهم ضلوا الطريق بسبب غرور الشيوعيين المجريين ومغالاتهم فى التفاؤل بالخير . وكان هناك رأى آخر يقول أن ما حدث كان نتيجة مشاحنات بين الشيوعيين من الروس والمجريين . وكل زعيم من الشيوعيين المجريين كان له معضد فى المكتب السياسى السوفييتى . ويقول بعض الباحثين أن الروس كانوا يراوغون الدول الغربية ليحولوا أنظارهم عن أهداف الروس النهائية بينما يبسطون سلطانهم على جميع أنحاء أوروبا الشرقية . كذلك فان متياس راكوسى الذى عمل على تدعيم النفوذ الشيوعى فى المجر وأصبح دكتاتورا حتى تداعى حكمه نهائيا فى سنة ١٩٥٦ . قد بين ــ دون أن يشير الى الانتخابات ــ أن الفترة من أبريل سنة ١٩٤٥ حتى نهاية سنة ١٩٤٨ ــ وهى الفترة التى تميزت بتكتيكاته المشهورة «Salami» أى الاستيلاء بالتدريج ــ كانت لازمة لكسب أغلبية العمال والمزارعين لتعضيد الحزب الشيوعى . وأدعى بأن ذلك طبقا لتعاليم لينين .

ومهما كانت ظروف هذه الانتخابات غير العاديةفان مقاعد الشيوعيين التى كانت ١٧٪ كان لها من النفوذ ما يعادل نفوذ الاغلبية التى بلغ عدد أفرادها ٥٧٪ . والحقيقة أن هذا الحزب الذى كان لا يضم أكثر من ألفين من الاعضاء فى مبدأ الامر بلغ عدد أفراده ــ وقت الانتخابات بعد مضى سبعة أشهر ــ سبعمائة ألف . وكانت الاقلية من هذا العدد من

المزارعين الذين انتفعوا من الاصلاح الزراعى • وكان الحزب الشيوعى هو صاحب الفضل فى هذه الناحية • ثم من العمال وعلى الاخص عمال المناجم • وكانت الاغلبية العظمى من الطبقة التى أطلق عليها « النازيون الصغار » وجل أفرادها من عادة الشعب من الحزب النازى المجرى ، والذى بلغ عدد أفراده فى سنة ١٩٤٤ مليونا من الاعضاء ، وكان هؤلاء القوم عرضة لانواع الاضطهاد • بينما كان استقرارهم وسلامتهم مما يتوقف على التحاقهم بالحزب الشيوعى الذى كان بما له من الاشراف على الشرطة السياسية يستطيع أن يقرر من هو المذنب ومن هو البرىء •

على أساس هذه الانتخابات شكلت الحكومة التى سرعان ما اعترفت بها جميع الدول العظمى باستثناء فرنسا التى اختارت التريث ادعاء بأنها بصدد تسوية بعض ممتلكاتها ـ ولكنها ـ فى الحقيقة وبنوع خاص ـ كانت مناورات من الرئيس ديجول لتدعيم صوت فرنسا • ثم انتخب زعيم حزب صغار الملاك زولتن تيلدى Zoltan Tildy رئيسا لجمهورية المجر • ويعد ثانى رئيس لها فى تاريخها • بعد كونت ميهلاى كاروليى الذى تقلد منصب رئيس الجمهورية فترة قصيرة فى أواخر الحرب العالمية الاولى ، وعهد برئاسة الوزارة لزعيم آخر من نفس الحزب هو ناجى (ولا علاقة له بالزعيم الشيوعى ايمرى ناجى الذى كان رئيسا للوزارة بعد ثمان سنوات ثم مرة أخرى خلال ثورة سنة ١٩٥٦) •وكانت الحكومة مؤلفة من الاحزاب الاربعة التى اشتركت فى الانتخابات بالرغم من الاغلبية المطلقة لحزب صغار الملاك • وكانت حكومة الاغلبية فى استطاعتها أن تستبعد الشيوعيين من جهاز الحكومة ، ولكن الروس رفضوا هذا الحل ، وكانت النتيجة أن عين كل من اربادز اكستيس من حزب الاشتراكيين ومتياس ركوسى من الشيوعيين نائبين لرئيس الوزراء •

ثم تم تقسيم المناصب الوزارية المختلفة طبقا لهذا المبدأ • فمن الوزارات الهامة تسلم حزب صغار الملاك وزارتى الخارجية والمالية • وتسلم الاشتراكيون وزارة العدل ، وبناء على اصرار الشيوعيين ومن ورائهم الروس يعضدونهم • تولى شيوعى هو ايمرى ناجى ومن بعده لزولى رايك وزارة الداخلية التى تعنى رئاسة قوات الشرطة فى المجر وفى بقية أنحاء أوروبا ، وفى داخل كل وزارة كان لكل حزب مندوبون من أعضائه • (ولو أن فى الوزارات الشيوعية كان هذا الاشتراك اسميا

فقط) ، وفي تلك الايام كانت المجر مسرحا للتحالف بجميع أشكاله حتى بين أرباب الحرف وأصحاب المطاعم ، وكان الوزير الامريكي المفوض فى المجر يرى أنه حتى فرنسا بطابعها التقليدى ونظامها الحزبى لا يمكن مقارنة اضطراب سياستها الحزبية بسياسة المجر بعد الحرب ٠

ولم يكن هذا الاضطراب ظاهرة سياسية فحسب ٠ بل كان أيضا انعكاسا لطابع حكام المجر ٠ وبينما يعد ـ فى الحق ـ أن المجريين كانوا عرضة لسلسلة من المحن والاضطرابات ٠ وبالرغم من أن بودابست كانت مسرحا لاشد المآسى العالمية قبل الحرب ، الا أن المجريين يمتازون بحياة اللهو والمرح ٠ والمسرح هناك يعبر عن أفضل مظاهر الفنون ، وتزدحم المقاهى بالقوم يتبادلون الاحاديث عن الشائعات والمغامرات ، وفوق ذلك ما يسودهم من الروح المعنوية العالية والتى تعد الطابع القومي ، ويمتازون دائما بالامانة والصراحة والتسامح ويقدرون هذه الصفات حق قدرها ٠ كذلك يلجأون الى الاشادة بالعلاقات بين الاجناس البشرية مما يدعو الشعوب الانجلو ـ سكسونية والمغلوبة على أمرها أو البسطاء من الناس يدركون حقا أن الحياة مليئة بأنواع المسرات ولا تستدعي التشاؤم أو الخوف من تقلبات الدهر ٠ كما يمتاز المجريون بشعور رقيق سريع التأثر ٠ ويضحكون من أنفسهم وهم يجمعون بين التهور والشجاعة ويعتبرون ذلك ميزة واحدة ويسخرون من الشعارات ومن ثم يعيشون حياة هانئة مطمئنة ٠

ثم أن ارتفاع الروح المعنوية بين المجريين كان واضحا تمام الوضوح في صيف سنة ١٩٤٦ وقت وصولى هناك ٠ بل كان أشد وضوحا من المقارنة بين فينا وبودابست ٠ ففى فينا التى كانت تحت نفوذ أربعة جيوش محتلة كانت الحياة تسير جافة مملة ، وكان سعر العملة ثابتا لا يتغير ٠ وكان الطعام نادرا ويصرف بموجب البطاقات ٠ وكان القوم يسيرون فى الطرقات صامتين وعلى وجوههم ملامح الضيق والقلق ٠ وأما في بودابست التى قاست من ألوان التخريب والتدمير ما يمكن مقارنته بما حدث للمدن الالمانية الكبرى ٠ التى كانت تحت رحمة الجيش الاحمر ، كانت هناك أصناف الالبان والقشدة متوفرة في المقاهي اليومية العديدة ٠ وعلى الاخص ما يلزم الاطفال من الطعام ٠ وكان التعمير يسير الى الامام بخطى ثابتة ٠ وبعد فترة الحصار مباشرة أعاد سكان بودابست بناء كنيسة انتتويج الشهيرة في حى الفار في بودا ٠ وانتعشت حركة المسارح فى كل مكان ٠ عادت الحياة الى النوادى الليلية التى كانت تعد من الاساطير

في أوروبا في ذلك العهد وقد اشترى أحدها ـ وكان ناديا فخما ـ مجموعة من تسعة من الضباط السوفييت من الاموال التي جمعوها بطريق السلب والنهب ، وتضخم النقد بسرعة ملحوظة · اذ ارتفع ثمانية عشر شهرا من ٥٠ بنجو للدولار الواحد الى ما قيمته ١١٠ للدولار الواحد ، ومما زاد في هذا الارتفاع وجود سوق سوداء رائجة في أوروبا حيث كان للسرقة والخداع دور كبير بطبيعة الحال ·

ويمكن تفسير ظاهرة السوق السوداء في المجر بصورة واضحة في ذلك الوقت بطريقة احصائية وأيضا تهكمية · فمن الناحية الاحصائية كان عدد السيارات في المجر ـ دون مصنع للسيارات ـ يزداد الى حد كبير في أول سنة بعد الحرب · بينما النمسا التى كان لديها عدة مصانع كانت تعاني عجزا كبيرا في عدد السيارات ، لدرجة أن الجيش الامريكي هناك كان يرسل بعثة الى المجر للبحث عن السيارات الامريكية المفقودة · كذلك حدث في تلك الفترة أن رواد المقاهي عندما كانوا يشاهدون صديقا لهم يرتدى كسوة جديدة كانوا يبدون ملاحظة يقولون « أنه من مواطني المجر نهاراً ومن المواطنين الروس أثناء الليل » · (هذه القصص لاتشمل الشعب المجرى بأكمله أو الطابع العام للمجريين · وتشير القصة غالبا الى الهيئة الاستشارية العلمية للجنة الطاقة الذرية في الولايات المتحدة أثناء اجتماعها في واشنجطون في أواخر السنوات الخمسينية · فعندما كان يتم احصاء الاعضاء ويتضح غياب عدد قليل منهم مع وجود بقية كافية من الاعضاء · كان يعاد الاحصاء مرة أخرى حيث يقول رئيس اللجنة لزملائه بلغة مجرية سليمة : « هل نواصل الاجتماع مع استخدام اللغة الوطنية ؟ ثم يتم الاتفاق على مواصلة الاجتماع » ·

وبالرغم من هذا النشاط والظروف المختلفة كان اتخاذ ستار لى يعد مشكلة من نوع خاص · فقد كان الروس يشرفون على جميع مداخل المجر ومخارجها · وكانوا يشددون الرقابة على هذه النواحي · ولم يكن يسمح بالدخول الا لاعضاء البعثات الرسمية · وحتى هؤلاء كانوا ينتظرون فترات طويلة · وكان بعض المراسلين يجدون نفس المعاملة · وذلك باستثناء عدد قليل جدا من رجال الاعمال الذين كانوا مندوبين لبعض المؤسسات الامريكية في المجر · ولما كانت الشركات الامريكية التى لها مصالح في المجر ـ وبخاصة فيما يتعلق بصناعة المعدات الكهربائية وصناعة مواد البترول ـ تحتاج لتصاريح دخول لعمالها وموظفيها · ولما كانت السياسة تقتضي المحافظة على الاستثمارات الامريكية وتمهيد الطريق

لوجود المراسلين الامريكيين في المنطقة التي يحتلها السوفييت ، لم تكن هناك فرصة للحصول على ستار شخصي يوفر لي مزايا الاقامة • ولذلك كانت الوسيلة الوحيدة هي الحصول على ستار رسمي يوفر لي الاقامة بموجبه • فكان على أن أختار بين المفوضية الامريكية في بودابست أو البعثة العسكرية الامريكية التي كانت تمثل السلطات الامريكية في لجنة الاشراف على المجر ، ولما كانت مهمتي تنطوي على شيء من المخاطرة كان من الضروري أن تجنب البعثة الدبلوماسية الدائمة أي حرج ، ومن ثم الحقت بالبعثة العسكرية •

وكانت البعثة العسكرية تعد ـ بطبيعة الحال ـ هيئة مؤقتة • ولم يكن من المؤكد معرفة مدة بقاء مثل هذه البعثة ، اذ كانت السياسة الامريكية تقتضي ترحيل القوات الاجنبية من جميع المناطق المحتلة في أوروبا عدا ألمانيا في أقرب وقت ممكن .وكان هذا معناه ترحيل الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين من ايطاليا ، ثم الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين والسوفييت من النمسا ، وترحيل السوفييت من المجر ورومانيا وبلغاريا • مع بقاء جزء من الجيش الاحمر في بولنده لاغراض التموين واعداد المواصلات الى ألمانيا •

(وكانت هذه هي الجهود والآمال في ذلك الوقت • ولم يكن يقف في سبيلها سوى رفض السوفييت التوقيع على معاهدة رسمية مع النمسا لعدة سنوات مما يوفر لهم سببا لبقاء قواتهم في المجر ورومانيا باعتبارها خطوط تموين تمتد الى النمسا) • وتأييدا لهذا الغرض تقرر عقد مؤتمر الصلح في باريس في خريف سنة ١٩٤٦ • وكان الامل اذ ذاك هو توفير الوقت قبل أن تنسحب البعثة العسكرية الامريكية من المجر وكذلك القوات المرابطة في كل من رومانيا وبلغاريا •

وطبقا لهذه الفترة المحددة من الوقت ومع العقبات البيروقراطية الشديدة والتي تقف في سبيل تحويلي الى ضابط بالجيش بينما كانت الاوامر تقتضي تسريح عدد كبير من الجنود • لم يكن هناك بد من تعييني مستشارا للبعثة العسكرية بسبب ارتدائي للملابس المدنية . ولم يكن هذا الستار ليفسح لي مجال العمل الى حد كبير فحسب • بل أتاح لي فرصة سانحة لاتخاذ ستار آخر بعد رحيل البعثة العسكرية • ومن ناحية أخرى كان من واجبي السعي لايجاد ستار مناسب لمن يخلفني اذا اقتضى الامر أن أرحل عن البلاد •

ولكي نوضح للروس السبب في وجود مستشار مدني ضمن هيئة البعثة العسكرية ـ وهو أمر غير عادي ـ اتخذنا ستارا لنا مهمة لجنة الاشراف التابعة للحلفاء ، وفي ذلك الوقت كانت الحكومة الامريكية تتخذ اجراءات يطلق عليها « عملية التأمين » وكان الغرض من هذه العملية هو كشف الغطاء عن النازيين المختفين وممتلكاتهم أو مدخراتهم في المناطق خارج ألمانيا ، وفي نفس الوقت كان من أهم وظائف لجان الاشراف التابعة للحلفاء القضاء على آثار النازية في البلاد حيث تؤدى هذه اللجان مهمتها ، وعلى ذلك أوضحت للسوفييت أن اقتفاء آثار النازيين وممتلكاتهم خارج ألمانيا كانت مجرد وظيفة مدنية طبقا لنظام هذه اللجان ، واني على استعداد للتعاون معهم في أي نشاط في هذا الميدان ، ولم يكن الامر يقتضي توضيح السبب في وظيفتي المدنية فحسب . بل أيضا يتيح لي الاتصال بالروس أنفسهم للحصول على أية معلومات قد تكون نافعة لنا ، وكذلك أتيحت لي فرصة لمعرفة اللغة الروسية

وكانت الاتصالات سهنة الى حد ما . اذ كانت التعليمات تقتضي بأن أعمل على ربط صلات شخصية ودية مع مارك وهو أحد كبار موظفي المفوضية الامريكيه . وكانت مهمته تقتضي تداول رسائلي دون معرفة محتوياتها . (وهنا كانت الشفرة المستعملة تختلف عن الشفرات الاخرى التي تستخدم في العمليات . وزيادة على ذلك لم يكن أحد من أفراد الشبكة يعرف حقيقة الشفرة التي كنت أشير اليها في مراسلاتي . بالرغم من وجود شفرات مختنفة لدينا لاستخدامها في بعض العمليات اذا اقتضى الامر) . فكنت أسلم مارك مظروفا مغلقا عليه عنوان منظمتي . بينما بداخله مظروف آخر عليه عنوان بالشفرة باسم الضابط المختص في واشنجطون . وكان يرسل كل هذا بالطرق الدبلوماسية المنتظمة بداخل مظروف آخر عليه عنوان مكتب خاص في واشنجطون ، وكانت التعليمات تقضي بألا يطلع الا على البريد الوارد في مظروف خارجي باسمه ، ثم يسلمني مظروفا عليه عنوان المنظمة مكتوبا بالشفرة . وفي هذا المظروف كانت هناك رسالة أخرى باسمي الحركي ومكتوبة بالرموز المتفق عليها ، وكنت أسلمه الرسائل التلغرافية مكتوبة بالشفرة التي استخدمها ،وكانت تنقل مرة أخرىفي المفوضية ثم ترسل الى واشنجطون، وكانت التعليمات تقضي بحل رموز الرسائل التي ترد الى المفوضية . ولما كانت رسائلي مكتوبة بشفرة خاصة . ولا يمكن حل رموزها الا بمعرفتي فكان مارك يسلمني كل رسالة مكتوبة باسمي .

وكانت تعليماتي دقيقة ومفصلة · وتقضي الا أذكر لمدرك أية معلومات عن الشبكة التى أتولى شئونها ، أو أفضي اليه بأى عمليات تؤديها الشبكة ، وكان عليه أن يرشدني من الناحية السياسية باتجاهات سياسة حكومة الولايات المتحدة · ولما كان من واجبى أن أحتفظ بالمعلومات التى لها علاقة مباشرة بالمفوضية · كان على أن أقتصر على الشئون العاجلة التى تتعلق كلها باجراءات سليمة بالرغم من أنها تبدو تصرفات مطولة · وفى الحق كانت كل المعلومات التى أحصل عليها والتى كانت تعد حيوية بالنسبة لمهمة المفوضية · تنقل اليها بصفة عامة أو عن طريق تقارير خاصة تعرض على الحكومة وعلى ادارة المخابرات لفحصها وتحليلها · وكان لابد من تجاهل مصادر المعلومات زيادة فى الحرص والعناية · وهكذا كانت الشبكة والعميل وراء سياج من الامان · وكذلك المنظمة كانت آمنة مطمئنة · وكانت المعلومات تحصل عليها الشبكة تحت اشراف الهيئة التى تنتفع بها · بما فى ذلك السلطات الدبلوماسية الامريكية ·

ولتحقيق الكفاية التامة كانت هذه الاجراءات تتوقف على مدى العلاقات الشخصية بين الافراد المسئولين · وفى هذه الحالة كانت العلاقة الرئيسية بينى وبين مدرك · ولحسن الطالع اتضح أن هذه فكرة مثالية أو تقارب الاذهان كما يقول علماء القانون · وكان تقدير قيمة تصرفات كل فرد له أثر فعال فى العلاقات بين الافراد ·

وبالاضافة الى هذه الاجراءات المنظمة عهد الى باقامة صلة مع عميل آخر يقيم فى سويسرا · واتخذت التسهيلات اللازمة لكى اتصل به مباشرة اذا دعت الحالة وكان الامر يستدعى المبادرة · وفى هذه الحالات كان لى الحق فى الاعتماد على تصرفاته كما لو كانت صادرة من مقر الرئاسة بعد التصديق عليها · وكان هذا العميل باسم «Peter» وكان يطوف بجميع أنحاء أوروبا · ولذلك وافقت السلطات على أن أتولى مناقشة تفصيلات مهمتى معه كلما سمحت الظروف بالاجتماع به · كذلك كانت مهمته على جانب من الاهمية من حيث تمويلى بالاعتمادات المالية · وفى المجر ــ فى ذلك الوقت ــ كان هذا معناه أن أتسلم منه النقد سواء فرنكات سويسرية ــ وهى العملة التى كنت أفضلها ــ أو دولارات أمريكية ·

وكانت هذه النقود أستبدلها بمعرفتى أو عن طريق الوسطاء الذين يتعاملون فى السوق السوداء التى بدأت تنتعش بعد استبدال البنجو بالعملة الجديدة المستقرة « فورينت » فى أغسطس سنة ١٩٤٦ · واذا كان عملائى يفضلون العملة الأصلية فكنت أتعامل معهم طبقا لرغباتهم) ·

نظرا للعجز الشديد في العملة الاجنبية كانت الحكومات غير الشيوعية ثم الشيوعية فيما بعد تميل الى عقد الصفقات غير القانونية والتى استمرت فترة طويلة بقصد الحصول على العملات الصعبة . ولذلك لم تكن صفقاتى موضع اشتباه . حتى بعد أن كادت تختفى السوق السوداء من بين الاسواق المالية كانت النقود ترسل عن طريق البنوك أو المنظمات من أمثال منظمة « كير » كأنها واردة من المنفيين والمهاجرين الى عائلاتهم مهما كان مصدر النقود ،وكانت ولاتزال تشجعها السلطات التابعة للسوفييت باعتبارها موردا كبيرا للعملات الاجنبية) . وكان بيتر فى سويسرا هو العميل الوحيد فى أوروبا باستثناء أفراد شبكتى فى المجر بطبيعة الحال حيث كنت على صلة مستمرة معهم . وبينما كنت أعتقد أن هناك شبكات أخرى تعمل فى مختلف الدول المجاورة للمجر فانى لم أحاول البحث عن حقيقة أمرها حتى استدعى الحال أن أتصل بها فى يوم من الايام .

وكانت السلطات التى أعمل معها تبذل ما فى وسعها تحت ستار لتوفير الاتصالات والاعتمادات المالية . وكان على أن أؤدى بقية المهمة طبقا للظروف والحالات العاجلة والشىء الذى لم أتبين حقيقته عندما وصلت الى بودابست فى أواخر يونيه سنة ١٩٤٦ هو ما لاحظته فى ذلك الصيف حيث الحرارة والشمس المشرقة من الفرق بين رشاقة فتيات المجر وجمالهن وبين خشونة الجنود الروس . وسرعان ما غابت عن ذاكرتى هذه الملاحظة .

٢

عمـل الشـبكة

مهما كانت المشاكل والمتاعب التى كنت أتوقعها فقد كان لدى ميزة كبرى ٠ وهى أنى لم أكن فى حاجة لتمهيد الطريق وتنظيم العملية٠ وكان فى بودابست عميل آخر من قبل كانت الشبكة تعمل معه على خير وجه . ولما كان الستار الذى يتخذه يختلف عن النظام الذى كنت أسير بمقتضاه فقد كنت لا أجتمع به الا نادرا وبعيدا عن الانظار ، وعندما كنا نجتمع أمام العيان كنا نتبادل عبارات الود والصداقة ٠ كما يفعل الامريكيون فى بلاد أجنبية . وأن نتظاهر بأن مقابلتنا كانت بطريق المصادفة وأن أحدنا لم يعرف الآخر من قبل ٠ وزيادة على ذلك تأجل رحيله ـ الذى كان لابد منه لاعداد الستار اللازم لى أو لمن يخلفنى ـ لمدة أربعة أشهر بعد وصولى٠ حتى لا يتمكن أحد من ملاحظة أية علاقة بيننا فى مجال العمل ٠

وفى هذه الفترة أخذت أعمل على استقرار معيشتى وركزت تفكيرى على تدبير ستار لى ثم بدأت أتجول فى مختلف الانحاء بقدر ما أستطيع ٠ وهذه ـ بطبيعة الحال ـ اجراءات لابد منها فى أول الامر ، وليس هناك عميل ـ وبخاصة اذا كانت لديه مهمة كبيرة كمهمتى ـ يستطيع اداء واجبه على الوجه الاكمل ما لم يكن على دراية تامة بجميع الظروف التى تحيط به . وهذا يتضمن استيعابا تاما لعادات القوم وتقاليدهم وأخلاقهم وتصرفاتهم ، حتى اذا انتهى العميل من دراسة البيئة التى يعيش فيها عليه أن يبدأ فى العمل فى حرص وعناية ٠ وذلك لكى لا يتعرض لاية أخطار قد يكون سببها خطأ بسيط ٠ وقد يكون الخطأ ـ مثلا ـ سوء اختيار مكان سرى لعقد الاجتماعات وهو لا يدرك حقيقة الشرطة السرية وعادات رجالها ٠ أو محاولة التسلل الى مقر الشخصيات البارزة قبل التعرف عليهم ودراسة أخلاقهم واتجاهاتهم ٠

ولم ألبث طويلا حتى عثرت على شقة صغيرة فى حى « الفار »، وكانت هذه منطقة لحقت بها أضرار بالغة ، ولكن كانت لها بعض مزايا معينة ٠ فقد كانت منطقة صخرية لها جوانب منحدرة وترتفع نحو مائتى أو أكثر

وتتجه نحو الشمال الغربي من الشاطىء الايمن لنهر الدانوب · وقديما كانت حصنا يحيط بالمدينة القديمة « بودا » ويشرف على مدينة « بست » عبر النهر ، وكانت السراى الملكية تقع فى هذه المنطقة · وكان معظم مدينة بودا القديمة وضواحيها الحديثة مناطق سكنية · وتمتد على سفوح التلال التى تكسوها الغابات التى تحدد الضفة الغربية للنهر · وعلى الضفة الشرقية كانت هناك أبنية البرلمان التى تشبه فى موقعها ومظهرها أبنية البرلمان الانجليزى بالرغم من أنها كانت من طراز فريد فى نوعه ، ومن وراء البرلمان كانت تمتد مدينة بست على مساحة مترامية الأطراف وتحدد بدأ السهل المجرى العظيم · وفى مدينة بست كانت تتركز معظم الاعمال والتجارة والمسارح · ثم اتخذتها الحكومة مقرا لها بعد الحرب ·

وكان مسكنى على الناحية الشمالية من حى الفار · ويطل ــ عبر النهر ــ على جبال سلوفاكيا من مدى بعيد ، وعلى أبنية البرلمان من الناحية الشرقية ، كذلك كان مسكنى يطل على الكوبرى الوحيد على نهر الدانوب والذى يصلح لحركة السيارات عندما وصلت لاول مرة · كما كان أحد طريقين يوصلان الى حى الفار ذاته ،وبالقرب من المنطقة كانت أسوار القلاع وشرفات كنيسة التتويج ،وكانت الطرقات تزدحم بأكوام الانقاض المتخلفة من القصور والمبانى التى تهدمت · ولكى أصل الى الغرفتين اللتين كانتا أشبه بمخبأ عجيب · كان على أن أجتاز ثلاثة أنفاق محفورة فى الصخر وعدة ممرات ملتوية ثم أصعد بضعة درجات تؤدى الى مسكنى · وكنت مطمئنا الى أقصى حد لوجودى فى هذا المكان حيث أستطيع عقد اجتماعات سرية دون التعرض لاخطار جسيمة · فقد كان من الممكن اكتشاف من يحاولون المطاردة وهم لا يشعرون ·

وعلى عدة مراحل تسلمت الشبكة من زميلى وكانت قد بدأت فعلا فى مباشرة مهمتها · وكانت تتكون ــ فى ذلك الوقت ــ من ثمانية أفراد ·

فكان « ليو » من أفراد عائلة من الاشراف وله سجل بارز فى حركة المقاومة · وكان قد تمكن من الهرب من الالمان أثناء فترة الاحتلال · وبعد التحرير مباشرة دخل الحياة السياسية ، وكان عضوا فى البرلمان وينتمى لحزب صغار الملاك كما كان يكتب عدة مقالات ويرسلها لمختلف الصحف · وأصبح المتحدث الاصغر باسم مجموعة الاحرار داخل الحزب وأخذ ينادى بالاصلاح اللازم للبلاد · كما أخذ يسعى لكى لا تدخل المجر ضمن النطاق

السوفيتي . كذلك أخذ يورد معلومات ذات قيمة كبيرة عن المكائد التي كانت تدبر داخل الحزب ذاته . وعن حقيقة السياسات التي كان يتبعها زعماء الحزب وعن وجهات النظر المختلفة فيما يتعلق بالوقوف في وجه الشيوعيين الذين كانوا يحاولون ضم الحزب ورجاله الى صفوفهم .

وكان « أوجين » من عائلة من الاشراف أيضا ولكن دون أن تكون له مطامع شخصية في ميدان السياسة .وكانت له آراء محافظة ووجهات نظر سليمة . وخلال فترة الحرب كانت له عدة مغامرات وتصرفات معادية للألمان ومن بينها انقاذ اليهود مما لحقهم من الاذى . وهي عمليات تقوم بها الجمعيات السرية البولندية عن طريق المجر . وكذلك اشترك في الجهود الفاشلة التي بذلت للتسليم للحلفاء في ايطاليا . ثم اعتقل وتم ترحيله الى معسكر الاعتقال في مولهوزن . وتمكن من الخلاص على يد الالمان ممن لهم صلة وثيقة بالدول المحايدة ، بعد ذلك استمر فترة طويلة يعمل مندوبا لعدد من الشركات الاجنبية في المجر. وكان من بينها شركات أمريكية ، وواصل هذه العلاقات بعد نهاية الحرب ، وكان في استطاعته الحصول على كثير من المعلومات الهامة بسبب صلاته بحركة المقاومة . وبكثير ممن لم يشترك معهم في وجهات نظرهم السياسية . ولكنه كان زميلا لهم في معسكرات الاعتقال . كما كان في استطاعته الادلاء بمعلومات نافعة عن تطورات العمل والاسواق المالية في معظم أنحاء العالم .

وكان « بول » من كبار موظفي الحكومة ومن حزب صغار الملاك. وكانت مهنته المحاماه وله سجل حافل في حركة المقاومة خلال فترة الحرب . وبالاضافة الى المعلومات السرية التي كان ينقلها من المجالس العليا التي كانت تعقدها حكومة المجر . كان يأتي بكل ما يدور في اجتماعات الوزراء. (لما كانت هذه حكومة متآلفة . وكان هذا التآلف يتفكك شيئا فشيئا . كانت اجتماعات الوزراء أشبه بمعركة يتبادلون فيها الالفاظ اللاذعة والاهانات وكأنها اجتماعات غير رسمية ولا علاقة لها بالحكومة . ومع ذلك كانت المعلومات التي ينقلها بول على جانب كبير من الأهمية) .

وكان « سيمون » شابا لامعا من رجال الاقتصاد ولا علاقة له بالاحزاب . وكان من موظفي البنك الاهلي ، وباعتباره من اليهود ساعده الحظ في النجاة بحياته خلال فترة الاحتلال الالماني كما كان من ألد خصوم الشيوعية ، ولما كان رجلا مهذبا وعلى درجة لا بأس بها من التعليم كان يأتي بمعلومات مفصلة عن السوفييت الذين كانوا يعملون على نهب الموارد

الاقتصادية فى بلاد المجر · وتفصيلات واضحة عن الوسائل التى كان الشيوعيون يتخذونها بالتدريج لوضع المصادر المالية فى البلاد تحت اشرافهم ·

وكانت « جين » ابنة عم سيمون ومن أقرب أصدقاء بول · وكانت على درجة من الثقافة بالرغم من أنها كانت تعمل في أحد مكاتب الحكومة . وكانت علاقاتها مرتبطة بصداقاتها الشخصية في دوائر المثقفين · ولا صلة لهذه العلاقات بوظيفتها في الحكومة · وكانت تعمل كوسيطة لكل من سيمون وبول اللذين كنت أراهما نادرا · فلم أكن فى حاجة ملحه لمقابلتهما بسبب اقامة الفتاة فى مسكن بالقرب منى · (وكان دورها للقيام بعمل الوسيط يرجع الى فطنة وحسن تدبير كل من سيمون وبول ولم يكن القصد منه اخفاء الشخصيات فلم تكن هناك حاجة لمثل هذا التصرف) · كذلك كانت مهمتها تقتضى البحث عن متطوعين للانضمام الى أفراد الشبكة ·

وكان « جورج » من موظفى السلك الدبلوماسى فى المجر · وبينما اجتاز بنجاح اجراءات التحويل عن النازية لموظفى ومستخدمى الحكومة فقد التحق بوظيفة صغيرة فى وزارة الخارجية · وبالرغم من ذلك كسب ثقة وصداقة كثير من كبار موظفى السلك الدبلوماسى · الامر الذى أتاح له الحصول على معلومات نافعة عن العلاقات الخارجية لحكومة المجر بما فى ذلك من معلومات عن مفوضية السوفييت فى بودابست وكذلك معلومات عن المهمات التى يعهد بها الى الدبلوماسيين المجريين فى الخارج · وبعد فترة من الوقت وجد أنه يبتعد شيئا فشيئا عنمصادر المعلومات · وأخيرا أصبح يشغل وظيفة بسيطة فى الخارج وهناك صدرت الاوامر بارساله الى المنفى ·

وكان « هنرى » أرستوقراطيا آخر ويمتاز بحيوية وروح معنوية عالية · وبالمهارة فى كثير من الفنون ،وكان عضوا بارزامن أعضاء مجلس الشيوخ فى المجر · وله نشاط ملحوظ فى المجتمع · ولم تكن معلوماته من نسج الخيال بل كانت هامة ومن مصادر موثوق بها ، وبالاضافة الى ذلك مر بتجربة عنيفة فى نهاية الحرب ،فقد كان مختفيا عن أنظار الالمان. ولما ظهر عند وصول الروس كان نصيبة الوقوع فى أيديهم واعتقاله · ثم وضعه فى أحد معسكرات الاعتقال التابعة للسوفييت بالقرب من حدود النمسا · وكانت هذه المعسكرات يعدها الروس للمجريين دون أن يوجهوا لهم اتهامات معينة ·

ولكن هؤلاء المجرمين كانوا ذوى بأس ويخشى جانبهم ويقتضى الامر ابعادهم عن مسرح السياسة حتى يستقر الموقف السياسى بعد الحرب طبقا لرغبت الروس . وظل فى الاعتقال بضعة أشهر . وبعد أن أطلق سراحه • طلب منه أن يسير فى طرقات مدنية بودابست • ويتبعه عملاء انسوفيت على مسافه قصيرة . ويراقبونه وهو يتلقى تحيات معارفه واصدقائه . مما ينيح للروس معرفة هؤلاء الاصدقاء والوقوف على حقيقة شخصياتهم وطرق معيشتهم •وكان أملنا أن يستخدمه الروس فى مهمات على جانب من الاهمية وبذلك يتسنى لنا معرفة حقيقة خططهم وعملياتهم، ولكن لم يتحقق لنا هذا الغرض وشعرنا بشيء من الضيق • بينما كان هنرى على النقيض من ذلك كان يشعر بالارتياح وهو فى منأى عن الروس •

وكان **لويس** • من طبقة المثقفين الممتازين . وبالرغم من أن ميدان دراسته أتاح له الحصول على معلومات هامة حول الموقف الاقتصادى فى المجر بوجه عام • فلم يكن ذلك أو مركزه الارستقراطى فى المجتمع هو حجر الزاوية من حيث المخابرات . وكان « لويس » من سلالة أسرة لها دور هام فى تاريخ المجر منذ عدة قرون • ولان هذه الاسرة قامت بنفس الدور فى الماضى القريب منذ ثلاثين سنة كان للرجل شخصية بارزة بين أفراد الامة • كما كانت له جهود ملحوظة فى تسليم البلاد الى الروس وفى تاليف الحكومة المؤقتة • ولم يكن قد بلغ من العمر ما يؤهله لان يصبح « سياسيا محنكا » • ولكن مركزه الاجتماعى وعدم انضمامه الى الاحزاب وحبه لوطنه • كان ذلك سببا فى تدعيم شخصيته البارزة • وزيادة على ذلك كان الروس يقدرونه حق قدره ويعترفون بالدور الذى قام به من حيث تسليم المجر اليهم • وعلى ذلك أصبحوا يأمنون جانبه الى حد ما ــ وعلى الاقل لفترة محددة ــ وأخذوا يتبادلون معه بعض محادثات سرية فى بعض الاحيان • وكانت هذه المحادثات تعد هامة بالنسبة لنا •

ومن هؤلاء الاشخاص الثمانية لم يكن أحد يعرف علاقتى بمنظمة خاصة بالمخابرات • وبطبيعة الحال كان كل من أوجين وبول وسيمون وجين ولويس يعرف أنه على صلة « بالمخابرات الامريكية » عن طريق صلتهم بى ، وأما ليو وجورج وهنرى فانهم كانوا يدركون حقيقة الموقف بطريق التخمين وكانوا يرغبون فى أن يكونوا على صلة مباشرة « بالامريكيين » ومن بين الثمانية كانت جين وحدها هى التى تعرف شخصية أى عميل آخر ، وبطبيعة الحال كانت تدرك حقيقة دورها

باعتبارها الوسيط الوحيد لكل من سيمون وبول ، وكان المقصود من هذه الاجراءات هو أن تعقد معظم الاجتماعات مع العملاء بمعرفتي ، وذلك لتجنب الاخطار بقدر المستطاع ولكى لا يتعرف العملاء على شخصيات زملائهم الا بقدر معلوم ، وبخاصة فى مدينة تنتشر فيها المكائد الشخصية والشائعات السياسية .

ولم يكن أحد من هؤلاء العملاء يتناول أى نوع من المرتبات باستثناء جين فقد كانت فى حاجة لبعض مصروفات نثرية ، وكنت شخصيا أقدم بعض مساعدات فى صورة هدايا لبعضهم ـ فقد تمكن من كان قبلى فى هذه المهمة من اعداد مكتبة هامة لتقديمها الى لويس ، وكنت أهتم بنقل الهدايا بين بعض العملاء وأصدقائهم فى الغرب . مع مراعاة الاحتفاظ بالستار الذى كنت أعمل من ورائه . ولكن العملاء لم ينظروا لهذه الخدمات باعتبارها جزاء لهم على نشاطهم . وكانت جين وسيمون لهما علاقات شخصية فى أمريكا مما دعاهما لمساعدة الولايات المتحدة ، وأما بقية العملاء فكانوا يعملون باعتبارهم مواطنين من المجر . وكانت وجهة نظرهم هى تجنب كارثة الاحتلال السوفييتى ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وفي ايجاز كان التأييد السياسى هو الباعث لجميع العملاء من أفراد الشبكة .

وكانت هذه الشبكة تعمل فى نطاق ضيق الى أقصى حد . مما لايمكن أن ينسب الى من كان قبلى فى هذه المهمة . فقد قام بتنظيم المجموعة في وقت قصير طبقا لمقتضيات الظروف في ذلك الوقت ، ولكنها كانت وافية بالغرض اذ كانت الوزارة تتألف من أغلبية من حزب صغار الملاك ومن السوفييت الذين استولوا على ممتلكات الاهالى ، كما كانت كافية لتغطية وزارة الخارجية والنواحى الاقتصادية بوجه عام ، وكانت تحصل على معلومات عن كبار الزعماء المحافظين . وكانت لها امكانيات للتعرف على أوجه نشاط السوفييت ولكنها لم تكن وافية بالغرض تماما من الناحية الشعبية كانت المجموعة فى صالح الطبقة الحاكمة السابقة ، ثم أنها يمكن أن تعتبر اما مجموعة ضعيفة أو مجموعة لا وجود لها فيما يتعلق بالنواحى الهامة فى الحياة المجرية الناحية الخاصة بالاحزاب السياسية الأخرى وبخاصة الشيوعيون ،وكذلك فيما يختص بتنظيم الايدى العاملة، والعمل فى وزارة الداخلية التى كانت تحت اشراف الشيوعيين ، وبنوع خاص الشرطة السياسية التى كانت دعامة للارهاب الروسى ، ثم القوات العسكرية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية . (كانت فى المجر أقلية كبيرة

من البروتستانت · وعـددا قليل من اليهود الا أنه كان لهم أهميتهم · ولكن كان من المتوقع أن تكون للكنيسة الرومانية أهمية كبرى · فقد أنعمت روما على المجر لقب مملكة القديسـين · وعلى كبير القسيسـين الكاثوليك لقب «Archlishop of Esztergon» الذى أصبح فى سنة ١٩٤٦ الكاردنيال مندزنتي وكان هذا أيضا بمقتضى القانون أكبر شخصية في البلاد بعد رئيس الدولة ، وترجع أهمية الكنيسة الى اعتراف لجنة الاشراف التابعة للحلفاء بها · ومنحها فى سنة ١٩٤٥ سلطة تكوين حزب سياسى كاثوليكى) · وكان معنى هذه الحـدود الضيقة تضييق الخناق على مخابرات الشبكة وحصر جهودها فى نطاق رسمى لا تستطيع تحاوزه ·

وبالرغم من هذا النطاق الذى فرض على الشبكة فيما يتعلق بأهداف معينة · وبسبب النزاع بين الاحزاب ، لم تكن مشكلة بودابست سببا فى نقص المعلومات ، بل على النقيض كان السماح لبعض القوم بالحديث فى حرية مطلقة · سببا فى اتاحة الفرصة لمختلف الشـائعات ، وكان المحصول اليومى لهذه الشائعات المتداولة على ألسنة الناس يحتوى بعض حقائق لها أساس من الصحـة ، وكان فحص هذه الحقـائق ودراسـة تفصيلاتها يستغرق وقتا طويلا ما بين مناقشـات متنوعة وما بين نفى واثبات الى وقت متأخر من الليل · وليست هذه بعملية سهلة بالنسبة للسياسيين بعامة وبالنسبة للروس بخاصة ، كما كانت هناك بالاضافة الى ذلك بعض معلومات مما يعثر عليه العملاء بطريق المصادفة ، (وفيما بعد ، قرابة نهاية سنة ١٩٤٧ · تصادف أن تناولت القهوة ذات يوم مع أحد المهندسين المعماريين التابعين للحكومة الامريكية · وكان قد جاء الى المدينة لمناقشة بعض شئون فنية مع المهندسين المجريين حول مبان معينه اشترتها الحكومة الامريكيـة · وكان مهندسـا بارعا ويهتم بالمسـائل السياسية الى حد كبير · فأخذ يناقشنى ويبدى رأيه في فن العمارة فى بلاد المجر · وفى الحال أبديت له ملاحظة حول أن الحكومة ترغب كثيرا فى الاحتفاظ بتمثال ستالين المشهوربقسوته وطغيانه ولكنها لا تهتم بالسراى الملكية حتى ولو كانت باعتبارها من الآثار · فبادرنى بقوله : « الامر على النقيض · فهم سوف يحتفظون بها ولقد شاهدت الرسـوم اليوم فى مكتب المهندس فى ادارة مبانى الحكومة »· فأسرعت بسؤاله عن الاجراءات التى ستتخذ فى هذا الصدد · وأجاب : « أنها سوف تكون مقرا لهيئة اتحاد الدانوب · وقد وافق المارشال تيتو على الخطط من قبل · » فكانت

هذه الملاحظة التي جاءت بطريق المصادفة · مع بعض أنباء أخرى من دول البلقان · معلومات وصلت الينا مقدما عن النزاع بين تيتو والكومنفورم·
وهو نزاع أسفر في أول الامر عن جدال بين تيتو ورئيس بلغاريا جورج دبستروف ـ بتعضيد من ستالين ـ حول تكوين اتحاد الدانوب من الدول الاربعة يوجوسلافيا وبلغاريا والمجر ورومانيا · أو يتكون · طبقا لرغبة تيتو ـ من تسع ولايات : وهي المجر ورومانيا وبلغاريا ثم الست ولايات التي يتكون منها اتحاد يوجوسلافيا · ومع ذلك لم تكن الظروف تسمح بالاعتماد على مثل هذه الشائعات · اذ كان الامر يحتاج الى معلومات ثابتة يمكن الاعتماد عليها والتي تربط مصير المجر بعلاقتها مع الدول الكبرى · وعلى ذلك كان من بين واجباتي الرئيسية هو توسيع نطاق الشبكة » ·

وفي خريف سنة ١٩٤٦ بدأت ـ في حذر وبطء ـ أجوب أنحاء المدينة وما يحيط بها من المناطق الزراعية · وأعمل على عقد صلات مع رجال الصحف المجريين والاجانب ·وكذلك اتصلت بالدبلوماسيين بقصد تمهيد الطريق للتسلل الى مجتمعاتهم ، وأخذ رؤسائي يعربون عن ارتياحهم لسيل المعلومات التي كنت أزودهم بها ·كما أعربوا عن تقديرهم للجهود التي كنت أبذلها ـ في حرص وعناية ـ لتوسيع نطاق الشبكة ·

ولكن الاحداث كانت تجرى بسرعة فلقد كان الشيوعيون في المدينه يواصلون الضغط على المواطنين بصورة واضحة · ويعضدهم في ذلك انصارهم من الروس · ثم بدأت في أكتوبر مفاوضات معاهدة الصلح تأخذ مجراها في باريس ، (هذه المفاوضات التي اضطرت الولايات المتحدة للاشتراك فيها ـ دون أن تتمكن من تحقيق كل أغراضها ـ وكانت تقصد حماية المجر من جشع الدول المجاورة وهي تشكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا · وكان السوفييت يعضدونها ولكنها لم تسفر عن نجاح كبير · ويبدو أن وفد المجر برئاسة الوزراء كان يتناول بعض مناقشات سرية للغاية في فندقهم في ذات ليلة · واذا بهم يفاجأون بدخول رجل غريب من باب الشرفة · واجتاز الرجل الغرفة دون أن يذكر كلمة واحدة ثم فتح الباب المؤدى الى الصالة · وكان المجريون يجلسون وهم في دهشة من الامر ويتساءلون عن هذا العميل الغريب وعن شخصيته وجنسيته وقد كان يسترق السمع أثناء الاجتماع · ولكن الرجل توقف عند مدخل الباب وقال « معذرة أيها السادة · فان السيد رئيس الوزراء قد عاد فجأة دون أن أتوقع عودته بهذه السرعة » ·

وفي أثناء هذا كانت هناك في بودابست بعض لحظات حرجة حيث كان بعض القوم يختفون ليلا أو نهارا على أثر اعتقالهم بمعرفة الروس أو الشرطة السياسية في المجر • ثم لا يعودون للظهور بعد ذلك ، وكان الجيش الاحمر وفرق حراسته تقوم بدوريات أثناء الليل . ولم يكن تبادل اطلاق النار بين الروس وبين الجنود الامريكيين القليلين في بودابست شيئا غير عادى ، وكان القلق يتزايد بين صغار أصحاب الاملاك ، وكان الهدف الاخير للسوفييت تعزيز قوة الشيوعيين في المجر • وفي سبتمبر تحولت السياسة بعد أن كانت فرعا من الشرطة الوطنية التى كانت تحت قيادة جنرال بالاسم الاشتراكي • الى ادارة قائمة بذاتها وأطلق عليها .A. V. O. • وهى الحروف الاولى لادارة أمن الدولة • – State Security Agency – التى يرأسها جابور بيتر • وكانت تتبع مباشرة وزير الداخلية الشيوعى لازلو رايك ، واتضح الامر أخيرا وبدا وجود تسابق بين مختلف السلطات • فاذا تيسر منع الشيوعيين من الاستيلاء على مقاليد الحكم فى الفترة السابقة لتنفيذ معاهدة الصلح – وهى الفترة حيث يتلقون تأييدا شاملا من الجيش الاحمر – كان من الممكن انقاذ المجر من قبضتهم • ومعنى هذا – من الناحية العملية – أن سنة ١٩٤٧ القادمة سوف تكون فترة حاسمة •

في تلك الايام تعرفت على « جى » الذى كان يتقلد منصبا هاما فى الشرطة الوطنية وليس فى الشرطة السياسية ، ولما كانت جميع الوظائف الرسمية المسئولة تتطلب العضوية فى أحد الاحزاب السياسية المتحالفة• كان لابد « لجى » وقد منح هذه الوظيفة مكافأة له عن اشتراكه فى حركة المقاومة • من أن ينضم الى حزب المزارعين • وكان الاجتماع – بطريق الصدفة – برجل من أهل المدينة – وكان قبل الحرب يملك المنازل والضياع • ثم أصبح من « المزارعين » حتى ولو كان عمله يتعلق بالسياسة وحدها – لكان هذا دليلا واضحا على أن الرجل كان يتظاهر بغير الحقيقة ، كما كان الرجل فظا غليظ القلب ، وكان يعجبنى فى هذا الرجل ذكاؤه ومهارته فى العمل ، وبدا لى – لاول وهلة أنه يميل الى كسب المال ، وكان عمله يتعلق بالشئون الجنائية وحدها • وكان نادرا ما يتحدث عنها ، ومن مناقشتى له تبين لى أنه قضى فترة طويلة فى انجلترا • كما لاحظت أنه يختلط كثيرا بالقوم فى مجتمعاتهم • وكانت محظيته الحسناء الارستقراطية تغشى مثل هذه المجتمعات فى أغلب الاحيان • وأخيرا تبين لى أن جى كان يحاول جاهدا أن يدرك حقيقة

مهمتي أكثر مما كنت أجتهد فى الحصول منه على معلومات • ولم أكن أشعر بالارتياح لانه عميل شيوعي مما كان يدل على أنه كان في حاجة ملحة لكسب المال • وكنت أعتقد أنه رجل حريص لا يتطرق اليه الشك ، وبالرغم من أني كنت أشعر بالارتياح لمرافقته فقد كان الامر يستدعى زيادة فى الحذر والعناية • ولم يكن يبدو لى أن مثل هذا الرجل قد يصبح عميلا نافعا ويمكن الاعتماد عليه فى بلاد المجر •

وفي هذا الوقت كنت آمل فى عقد صلة وثيقة مع الروس أنفسهم • وعند وصولى اشار الروس الى أن كولونيل تيوشين هو الضابط المسئول اذا اقتضى الامر أن أتصل بهم ، وباستثناء زيارة ودية له بعد وصولى كنت لا أرى هذا الرجل الا نادرا ،مما كان دليلا على أنه لا يهتم باجتماعي معه • وأن ليس هناك ما يدعونى للاتصال به ، ثم اجتمعت به ذات مرة ــ وكان ذلك فى النادر كما قلت ــ فاستقبلنى بالبشر والترحيب • وكان رجلا قوى البنية عريض المنكبين هادىء الطبع لطيفا فى معاملة الاجانب• على النقيض من الموظف الروسى • مما يدل أنه اما موظف كبير أو قضى فترة طويلة في الخارج ، ولم يتبين لى حقيقة أمره على أى حال • وكان المعروف عنه أنه برتبة لفتننت جنرال فى منظمة «N. K. V. D.» ــ مما يعادل فى عهد ستالين وبريا رتبة الفيلد مارشال فى أى دولة اخرى ، أما عن جولاته فقد قال أنها تتعلق بكثير من « البعثات التجارية » فى جميع أنحاء العالم • واقترح نيوشين أن أقوم بزيارته من وقت لآخر •

وفي أواخر خريف سنة ١٩٤٦ شجعت حكومة المجر الاحتفال بعيد شرب النبيذ فى بلدة توكاى • وبناء على دعوة من رئيس الوزراء اشترك كل فرد سواء من المجر أو من الاجانب • وحتى من كانت له صلة بعيدة بالحكومة • فى السفر الى قرية توكاى لقضاء يوم فى تذوق النبيذ ومشاهدة الاحتفال والقاء الخطب • وكان يتبع ذلك اقامة مأدبة غذاء رسمية في مبنى الكلية فى مدينة سان وستياك بالقرب من القرية ، وكان للقرية ذاتها منظر غريب أشبه شىء بجبل مخروطى الشكل يرتفع من السهل على هيئة كوم كبير من القمامة • وتقع توكاى على سفحة ، وعلى منحدراته كانت تزرع أشجار النبيذ • وبالنسبة لى كان طعمه حلوا الى حد ما • ولكنه كان مشهورا فى أوروبا الشرقية منذ عدة قرون لدرجة أنه لم يكن هناك ملك في بولندة المجاورة يتم الاحتفال بتتويجه دون وجود ثلاث زجاجات من هذا النبيذ أثناء الحفل •

وكانت في داخل الجبل أنفاق طويلة وكهوف لاختزان النبيذ حتى يصبح معتقا ، ولكن في هذه السنة ـ بطبيعة الحال ـ كانت المخازن خاوية على عروشها ، وكان القرويون ـ عندما يشاهدون الروس ـ يصفون كيف كان الالمان ينهبون هذه الكهوف ويستولون على مخازنها . وما لبثوا أن أصبحوا يلعنون الروس ويقولون أن الالمان كانوا أخف وطأة بمقارنتهم بهؤلاء الروس الذين تركوا مخازن النبيذ قاعا صفصفا ، وفي ذلك الوقت كان قد حل ميعاد الحصاد ولكن الزرع لم يكن قد بلغ درجة من النمو لكي يعصر خمرا بل وصل مرحلة يقول عنها المجريون مرحلة عدم الاختمار وينطقون بها «Moosht» حيث يكون طعم النبيذ أقرب الى المرارة ، ولم يكن سوى الخبراء من أهل القرى هم الذين يعرفون أنواع الكروم . (وأرسل أحد الامريكيين بطاقة بريد الى صديق له كان يضايقه عدة سنوات ببطاقاته من أماكن نائية . وكتب على البطاقة : « ضع هذه على مائدتك وأنت تتناول مشروب «Must» وكثيرا ما يحدث هذا المشروب اختمارا داخل المعدة ويسبب لها ارتباكا يشعر به كل من يتناول الغذاء في ساروسباتك . وأثناء هذه الجلبة انتحى بي نيوشن جانبا وطلب مني أن أزوره عند عودتنا الى بودابست لتبادل الحديث .

وتلقى رؤسائي أنباء هذه الدعوة بمظاهر الارتياح باعتبار أنها ستار محكم وأرسلوا لي التعليمات بمتابعة مثل هذه الاجتماعات . وحدث أن أحد الضباط الامريكيين تعاطى من هذا المشروب في قرية توكاي ما جعله يضل الطريق الى مدينة ساروسباتك . وفي هذه المنطقة الشمالية الشرقية من المجر ـ وكنتيجة للحرب ـ ولكرم حكومة بينيس التي رأت التنازل عن الاقليم الشرقي تشكوسلوفاكيا بأكمله الى الاتحاد السوفييتي . كانت حدود السوفييت تشمل جبال الكربات حتى نهاية سهل المجر ، وبعد أيام شوهد الضابط الامريكي متجها الى هذه الناحية . فرأيت ـ بهذه المناسبة ـ أن أنصح البعثة العسكرية بألا تبحث هذا الموضوع بصورة رسمية . وذهبت لزيارة تيوشين الذي أبدى استنكاره لاعمال الضابط في تصرفاته . وأخذ يقص على قصصا طويلة عما يمتاز به حراس حدود السوفييت من الغباء وقلة المرونة والقسوة في المعاملة ، وبعد خمسة أيام ظهر الضابط في بودابست وهو في حالة سيئة كما لو كان قد قضى أسبوعا في أحد سجون السوفييت . وكان هذا الاجتماع مع الضابط السوفييت تيوشين بداية تبشر بالتوفيق وحسن الطالع .

بعد ذلك رأيت تيوشين فى حفل استقبال كبير أعده الامريكيون تكريما لرئيس وزراء المجر ، وأى احتفالات فى المجر ـ مهما كان الغرض منها ـ كانت تبدأ بعد الساعة السادسة مساء ثم أنها تستمر حتى انصراف جميع المدعوين ـ وكان هذا الموعد ـ عادة ـ بعد منتصف الليل بفترة طويلة • وفى نهاية هذه الليلة بالذات • عندما أصبح عدد الضيوف لا يزيد عن الاثنى عشر • رأيت مشهدا يلفت النظر • ففى أحد أركان احدى الغرف الكبيرة رأيت تيوشين يستلقى على أرض الغرفة • ويسند رأسه على حجر فتاة أمريكية ، ولم يكن يقصد أن يشير الى أحد ـ بنوع خاص ـ بأن مثل هذا التصرف هو أحسن حل للمشاكل الدولية • بينما كان يجلس فى الناحية الاخرى ضابط أمريكى برتبة الكولونيل • ومرشح لرتبة الجنرال • فرأيته يندفع نحو تيوشين غاضبا بينما وقف آخرون يحاولون منعه • ثم صاح قائلا : « دعونى أهاجمه ! سوف نلقى القنابل الذرية على هؤلاء الاوغاد ونمحى أثارهم من على وجه الارض ! » فما كان منى الا أن وقفت حائلا بين تيوشين وبين هذا الكولونيل الامريكى• وكان الرجل الروسى يبدو ثملا وهو يسأل : « ما سبب صياح هذا الرجل ؟ » وحينئذ اقترحت عليه أن نغادر المكان معا • فوافق على هذا الاقتراح • وبينما كنا على وشك أن نستقل سيارتى واذا بسائقه يبادر نحونا ويطلب من تيوشين بلهجة جافة أن يستقل سيارته الخاصة• فتوجه الضابط معه على غير رغبة منه • حتى اذا اتخذ مقعده فى السيارة تحول الى ناحيتى وهو يشير الى السائق ويقول بلغة انجليزية سليمة وباللهجة الارستقراطية القديمة : « سوف ألهب ظهر هذا الرجل بالسياط » •

ولم تكن هذه الجولة الثانية تبشر بالتوفيق الى حد كبير •

هذا • ولم تكن الجولة الثالثة مثمرة كما كنت أبتغى من اجتماعى مع تيوشين فقد التقيت به فى ٧ من نوفمبر حيث يحتفل الروس بالذكرى التاسعة والعشرين للثورة البولشفية • وهناك كان القادة الروس يرتدون ملابسهم الخضراء الزاهية وأحزمتهم المحلاة بالذهب • وعلى أكتافهم الشارات الذهبية • وعلى صدورهم الاوسمة والنياشين • وسراويلهم بخيوطها القرمزية • مما كان يعيد الى ذاكرتنا ـ أكثر من أى شىء آخر ـ أن ولاة الامور فى روسيا كانوا مصممين تماما على الانتفاع ـ الى أقصى حد ـ بانتصاراتهم فى الحرب • وكان تيوشين مرحا كعادته ولكنه كان يراعى التقاليد الرسمية • وفى الواقع كنت وسط

مجموعة من الضباط الروس وقد لعبت الخمر برءوسهم بصورة واضحة ·
ويؤسفنى أن أقول أنى لم أمكث أكثر من ساعة واحدة حتى جاء بعض
الحراس وطلبوا منى بلهجة ودية أن أصحبهم الى احدى سيارات الجيش
الاحمر · وأمروا السائق بتوصيلى الى منزلى ·

وفى أول الطريق الضيق المنحدر والذى يؤدى الى حى الفار أوقفنا
فريق من حرس السـوفييت · وكانوا يحتفلون كذلك بذكرى الثورة
البولشفية · فطلبوا من السائق أن يعطيهم السيارة · ورفض السائق
قائلا أن معه أحد قادة الامريكيين ووافقته على هذه الترقية دون أن أعترض
على ذلك ، ولكن الحراس أصروا على طلبهم · وفجأة أخذ السائق يكيل لهم
اللعنات · وما لبث أن قاد السيارة مسرعا نحو سفح التل ·

ولم تمض لحظة حتى أطلق الحراس علينا بنادقهم الرشاشة · وكان
صوت الطلقات يصل الى سمعى كما لو كنت بالقرب منهم · وأصيبت
السيارة بعدد من الطلقات · وكانت حقا معجزة أن وصلنا الى قمة التل
ودخلت منزلى سالما ·

وعدت مرة أخرى الى الاحتكاك بالروس بدعوة تيوشين بعد بضعة
أيام واتهامه بتدبير مؤامرة لاغتيالى ، وأعتقد أن الامر لا يعدو أن يكون
من قبيل المزاح · ثم تم الاتفاق بيننا على تناول طعام الغذاء عدة أيام فيما
بعد · وكان موعد الغذاء عند الروس هو الساعة الخامسة مساء · ومما
أدهشنى أن تيوشين اقترح أن نتوجه الى مقهى مشهور فى وسط المدينة
حيث يجتمع السياسيون ، حتى اذا اجتمعنا هناك بدأ ـ قبل كل شىء ـ
بطلب زجاجة من الخمر · وكنت قد علمت من قبل ـ بالاضافة الى ما حدث
فى تلك الليلة من المخاطرة ـ ليلة ٧ من نوفمبر ـ أن العزم الاكيد على
عدم التمادى فى شرب الخمر فى مثل هذه الاجتماعات أمر لازم · وكنت
مصمما على ذلك فى هذه المرة ·

وطال بنا الحديث الى ما يقرب من سبع ساعات · وأتذكر أننا تناولنا
ثلاث زجاجات كاملة من الخمر فى هذه الليلة وأثناء ذلك تناولنا الطعام ·
وكان الحديث هو محور الاجتماع · وكان يدور حول النواحى السياسية
وعلى الاخص احتلال السوفييت للمجر وعن الشخصيات من المجريين والروس
والغربيين ممن لهم علاقة بهذا الاحتلال · وكان تيوشين صادقا فى وطنيته
باعتباره مواطنا من الروس · مثلا عنـدما أثرت موضـوع السوفييت

ونهبهم مصانع المجر كان على حق فى قوله أن السوفييت كان من حقهم أن يستعيدوا مصانعهم التى دمرت والمناطق التى يحتلها الالمان ثم يعملون على ربط صلاتهم مع حلفائهم من المجريين ، وعندما أبديت ملاحظة أن ذلك لم يكن ليشتمل على الاستيلاء على منازل الفلاحين وما بها من الاثاث حتى الحشيات والمساند والاغطية . قال بكل بساطة :

« لو كان لدى الفلاح الروسى نصف ما لدى الفلاح المجرى لكنت مغنبطا راضيا » .

ومن هذه البيانات الوافية وهذه الملاحظات القوية التى أبداها تيوشين اتضح لى أنه كان يلعب دورا أكثر أهمية مما كان يتظاهر به من أنه لم يكن سوى كولونيل فى الجيش الاحمر ، ولما تذكرت الشائعات التى كانت تقول أنه من كبار ضباط N. K. V. D. انتهزت هذه الفرصة فحولت المناقشة الى الاعتقالات ومعسكرات الاعتقال والعمل الاجبارى . وسألنى عن مدى تقديرى لعدد المواطنين السوفييت فمن هم فى معسكرات الاعتقال أو معسكرات العمل الاجبارى . وعندما أجبته قائلا « عشرة ملايين » .

ابتسم . وبعد أن توقف لحظة قال : « لاحظ أننى أعرف شيئا عن هذا الموضوع . وقد شاهدت كثيرا من المعسكرات . وأؤكد لك أن عدد المعتقلين لا يزيد عن المليون . وهناك عدد من المواطنين الروس لا يزيد عن نصف فى المائة من عدد السكان جميعا . وبينما كنت أظن أن عدد المعتقلين يزيد كثيرا عما كان يعتقده . فان النقطة الهامة هى تصريحه بأنه يدرك حقيقة تلك المعسكرات وما تضمه من المعتقلين . وكان من المعروف أنه – بجانب اعتداءات A. V. O. – فان الروس أنفسهم كانوا يواصلون اعتقال المجريين من حين لآخر . ولكنهم كانوا دائما ينكرون ذلك ويعلنون براءتهم من أى تدخل فى شئون المجر الداخلية .

وقبل ذلك ببضعة أشهر جرت حادثة معروفة كان بطلها الكونت جيزا بالفى وهو رجل مشهور من الارستقراطيين المجريين ولا دخل له بالشئون السياسية . ولكن الضباط السوفييت اختطفوه أمام الناس فى وضح النهار وفى شارع مزدحم من شوارع المدينة. وذكرت لتيوشين ما حدث فى تلك الايام قبل أن يتولى خروشوف زمام الحكم ، وهو أن الشيوعيين أرادوا الاعراب عن اخلاصهم وولائهم فقاموا بعمليات التطهير

الواسعة النطاق والتى حدثت فى أواخر السنوات الثلاثينية . وقام كل من ياجورا وبينروف ـ وقد كانا قبل بريا فى رئاسة N. K. V. D. بتضليل وخيانة ستالين ـ وقلت لتيوشين ما أظنه حول احتمال اختطاف كونت بالفى ، وهو أنه دلالة على أن وسائل ياجورا وبييتروف قد انتقلت الى المجر ، ولم يحاول تيوشين أن ينكر تدخل الســوفييت فى حادث الاختطاف . وأخذ يفكر طويلاً ثم قال : « هذا حادث خطير الى أقصى حد »، وهنا أدركت أن رده هذا ينطوى على شىء من الغموض . وهو أن خطورة الامر قد تكون راجعة الى عوامل أخرى غير حادث اختطاف بالفى . كما أن طريقة تعبير تيوشــين كانت تــدل على أن بالفى لم يرتكب خطأ من نوع ما . ولكن هذا كله لم يكن نقطة للبحث أو دلالة على حقيقة الامر .

وأهم من ذلك . كان معنى تعليقات تيوشين وملاحظاته لمدة بضع ساعات . دلالة واضحة على وجود خلاف بين السوفييت أنفسهم حول سير الاجراءات فى المجر .ومن بين الشخصيات التى تناولتها هذه المحادثة الطويلة أسماء جورجى بوشكين الوزير السوفييتى فى المجر . ثم سفير السوفييت فى ألمانيا الشرقية . وبعد ذلك كان نائب وزير الخارجية . ومن وقت قريب كان الرئيس السوفييى لمؤتمر جنيف حول موضوع النروس . أو جنرال سفيردوف الرئيس السوفييتى للجنة الاشراف التابعة للحلفاء خليفة لمارشال فوروشيلوف . ثم المندوب السوفييتى للجنــة الاشراف على شئون النمسا . ولكن تيوشين لم يذكر أية تعليقات عليها. وكان يتوخى الادب فى الحديث وهو يبدى اعجابه بالشخصيات الامريكية فى المجر ، وكان يلهج بذكر اليوجوسلافيين وهو الذى قد جاء الى المجر مع الجيوش القادمة من الجنوب . وكان يعرب عن قلقه من ناحية متياس راكوسى الزعيم الشيوعى المجرى ـ ويقول : « أنت مخطىء اذا كنت تظن أنه من رجالنا المخلصين بمقدار ١٠٠٪ » . (وقد أثبت التاريخ أنه من رجال ستالين . ولكن ماذا كان يقصد تيوشين بقوله « من رجالنا ») ، وبدلا من ذلك كان يلهج بذكر كل من رايك وكادار ولوســنزى . وهم الشيوعيون المجريون الذين كان لكل منهم دوره فى الحزب . ولكن لم يكن لاحد منهم ذلك الطابع المعروف بالمسكوف وهو الشيوعى الذى تدرب فى موسكو . ثم عاد الى المجر مع الجيش الاحمر كما فعل كل من ركوسى .

جيرو ، ريفاى وايمرى ناجي ومعظم زعماء الحزب ، (ان عشر سنوات تعد فترة طويلة في حياة الانسان · ففي سنة ١٩٥٦ كان ايمرناجي ـ ذلك الشيوعي المخلص المسكوفي هو الذى يقود الثورة ضد موسكو · وكادار· من أنصار تيتو والذى قاسى من العذاب الوانا بين جدران السجون · كان هو الذى يخون الثورة ويكشف عن أمرها لدى السلطات في موسكو) ·

وتركت تيوشين في تلك الليلة وأنا أدرك ـ ليس من ملاحظتي وحدها ـ بل من خلال الساعات الطويلة التي قضيناها في الحديث أن هناك خلافا بين صفوف السوفييت ، ولم أكن أظن اذ ذاك ـ ولا في الوقت الحاضر ـ أن هذا الخلاف كان حول الاهداف المقصودة ، وكنت أعتقد ـ كما أعتقد الآن ـ أن هذا الخلاف كان حول التصرفات والوسائل من حيث الاسراع في تحقيق الاغراض ، وهو أمر لابد أن يثير معارضة الدول الغربيه ·

كذلك اتضح لى أن تيوشين ـ مهما كان مركزه ـ لا يعد عنصرا هاما في حل هذا النزاع · بل كانت من ورائه سلطات أكبر لابد له من أن يشاركها وجهات نظرها ، ولا بد له من أن ينسج على منوالها ، وكانت الصعوبة هي أني لم تكن لدى وسيلة للوقوف على حقيقة الامر · بالرغم من صراحة الرجل في حديثه ، وبالرغم من الاستنتاجات الصحيحة من تعليقاته ، ولم أكن أعرف ما هي الخطوات التالية والتي ستتخذها السوفييت ، ولكنى توصلت ـ خلال حديثى مع تيوشين ـ الى بعض آراء غامضة حول الشخصيات المتطاحنة ، ولكن هذا ـ وطبقا للستار المفروض حول سياسات الكرملين ـ لم يكن كافيا للوصول الى نتائج صحيحة ، وبالاختصار كنت أشعر بأنى تعرفت على الانقسام الداخلى بين صفوف السوفييت · ولكنى فشلت في طريقة استغلاله ·

وفي اليوم التالى تناولت بعض أقراص الاسبرين مما شجعنى على ارسال تقرير واف الى رؤسائى وذكرت لهم تفصيلات المحادثة · واضفت الى ذلك انطباعاتى الشخصية خلال الحديث المذكور ، ثم قررت استشارة نوبس · ودون أن أذكر له كل موضوعات المحادثة مع تيوشين استعرضت معه جميع الخلافات السياسية بين السوفييت حول الموقف في المجر ·

وكانت مشاعرنا متفقة في هذه الناحية. مثلا ذكر لى تجاربه مع السوفييت بخاصة في موضوع الهدنة · حيث قال أنه كيف كان من الواضح أن كل قائد في الجيش الأحمر له رئيس في المكتب السياسي ، وكل زعيم سياسي في الجيش أو في احدى فرق الجيش كان كذلك له رئيس في المكتب السياسي ، وكان هذا الزعيم السياسي يختلف - من حيث مركزه - عن أحد قادة الجيش · وهكذا كان الحال بين المندوبين الدبلوماسيين ، وكل هذه المنافسة والانقسام كان مما يشجعه ستالين متعمدا بث الفرقة بين تابعيه كل منهم ضد الآخر ، وذكر لى مثلا آخر وهو أنه توافرت له أدلة خلال سلسلة من المحادثات مع مختلف موظفي السوفييت قبل عقد مؤتمر السلام في باريس وثبت له من هذه المحادثات أنهم لم يتفقوا فيما بينهم حول تعضيد الدول المجاورة وما تطلبه هذه الدول من المجر · كذلك كان لويس يرى أن تمسك الروس بعقد معاهدة في النمسا له دلالة بالغة الخطورة فقد يؤدى ذلك الى التخلي عن أية منافع من معاهدة الصلح التى تتعلق بالمجر ، وأشار الى المنافع الاستراتيجية للسوفييت من مواصلة احتلالهم للنمسا · وهي اتاحة الفرصة لهم لتسوية جميع الخلافات التى تتعلق بموقف المجر ، ولم يكن لديه آراء ثابتة أكثر مما كان يدور بمخيلتي حول السبل الاخرى التي قد يتبعها السوفييت أو الادوار التى قد يقومون بها في هذا الصدد ، ثم بدأ يعلق متمسكا برأيه عندما قال : « وعلى أية حال · وحتى اذا توصلت الى حل لهذه المشاكل · وقبل أن تستغل ما وصل اليك من المعلومات · سوف يتمكنون من تسوية خلافاتهم · وحتى لو كان ذلك باستخدام القوة · ثم يقتحموننا جميعا بمركباتهم المدرعة » ·

وفي مدى ثلاثة أسابيع أثبت لويس صدق نبوءته ، كان أول شيء قد حدث هو اختفاء تيوشين · وكنت كلما أتوجه لزيارته لا أجده في مكتبه ، وفي آخر مرة قال لى أحدهم بصوت أجش أنه قد عاد الى موسكو· وأثناء حفل استقبال بعد بضعة أيام كنت أقف مع جنرال سفيردوف وبوشكين الوزير السوفييتي وآخرين عندما ذكر أحد المجتمعين أنه لم ير تيوشين منذ عدة أيام · وهنا بادر بوشكين بقوله : « لقد عاد فجأة الى موسكو » · ثم أضاف قائلا في هدوء غريب : « وأظن أن السبب هو وفاة أحد أفراد العائلة » · ولما لم يظهر تيوشين على المسرح الدولى بعد ذلك مطلقا فقد يتبادر الى الذهن من كان المتوفى · (وقد أشار رئيس الوزراء فيما بعد ايمرى ناجي في مذكراته الى أنه لاحظ حركة تنقلات هامة بين كبار موظفي السوفييت في ذلك الوقت بالذات) ·

والامر الثانى هو أنه خلال شهر ديسمبر بدأت الشائعات تنتشر فى أنحاء بودابست حول اعتقالات هامة يقوم بها القسم السياسى العسكرى فى المجر • وهو وحده يشرف عليها الشيوعيون فى نطاق الجيش • وكان يطلق عليها فى نفس الوقت « الشرطة السياسية المدنية • » وتنفصل — من الناحية النظرية — عن (A. V. O. • وبين يومى عيد الميلاد ورأس السنة تسلمت من ليو قائمة أولية بعدد المعتقلين وفى اليوم التالى تسلمت حين من بول قائمة شاملة وتتضمن اسم مراسل مجرى لاحدى الصحف الغربية وكان يحاول نشر القصة • وطبقا لمعلومات كل من ليو وبول كانت هذه الاعتقالات بقصد التعذيب وكانت الاتهامات هى تدبير « مؤامرة » لاعادة حكومة هورتى • وكانت فكرة حمقاء سادت فى المجر فى ذلك الوقت • ثم أن هنرى — الذى كان يعرف عددا من المعتقلين — قال أن جميع الاتهامات كانت محض اختلاف •

وكانت الصحافة بما فيها صحف الشيوعين تلتزم الصمت ولا تذكر شيئا عن الموضوع • وكنت • فى أول الامر • أظن أن المؤامرة ليست سوى نوع من الارهاب اتخذته الشرطة الشيوعية • ولكنى كنت مخطئا • فقد كان السوفييت قد توصلوا فعلا الى قرار — ومن المحتمل أن تيوشين لم يتفق معهم — وكانت المدرعات تستعد لشق طريقها •••

٣

التـــــآمر

فى أوائل شهر يناير أبلغ أوجين عن حادثة غريبة • فعندما أتى المساء • وفى حى مزدحم من أحياء المدينة • أطلقت بعض طلقات نارية فى أحد الشوارع المتفرعة من هذه الناحية • وكان الشارع مظلما • وبعد فترة قصيرة وجد هناك أحد الضباط المجريين مصابا بجروح تسيل منها الدماء• وكان يترنح وهو يتجه الى الشارع الرئيسى ثم أخذ يحاول ركوب احدى السيارات العامة ، وما أن شاهده بعض المارة حتى هرعوا لمساعدته• واستدعوا احدى سيارات الاسعاف . ثم وقفوا بجانبه للمحافظة عليه حتى وصلت عربة الاسعاف • واذ ذاك أصر على أن تذهب به الى مقر البعثة العسكرية البريطانية •

ولاحظت أن هذا الحادث كان له وقع سىء فى نفوس البريطانيين • وقضيت وقتا طويلا فى البحث عن حل لهذا اللغز • حتى اذا اتضح الامر تبين لى أول خيط من خيوط « المؤامرة » •

كذلك كانت الحكومة تعلم بالاعتقالات التى انتشرت فى احياء المدينة• وبعد مشاورات بين السلطات قام وزير الدفاع باستدعاء جنرال بالفى أوستريشر وهو الرئيس الشيوعى لقسم السياسى العسكرى لتوضيح الامر • (كان وزير الدفاع جنرال ألبرت بارتا رجلا عظيما وكان متقاعدا• واستدعى من تقاعده لكى يعمل على اعادة تنظيم الجيش • وكان بارتا يعمل مع لورد كتشنر فى الخرطوم • وفى ذات مرة أخبرنى أنه مغتبط بأنه لا يزال لديه رتبة الملازم فى الجيش البريطانى) •

وفى أول الامر رفض الرئيس الشيوعى أن يدلى بأية معلومات ثم أخذ يزعم أن هناك « مؤامرة » مدبرة ضد « الحكم الديمقراطى » • ولما كانت هذه مسألة سياسية عرض الامر على رئيس الوزراء الذى أصدر أمرا الى بالفى أوستريشر لكى يمهد الطريق للجنرال بارتا لاستجواب المعتقلين ، ووافق الرئيس الشيوعى على ذلك فى مبدأ الامر • ولكن عندما توجه بارتا

الى السجن ٠ منع من الاتصال بالمعتقلين طبقا لتعليمات السوفييت ٠ وعند ذلك اتصل رئيس الوزراء بجنرال سفردوف الذى أنكر أنه أصدر مثل هذه الاوامر ، وطبقا لنظام القائم اتخذت الاجراءات اللازمة ضد بالفى أوستريشر ٠ ولكن فى نفس اليوم حيث اتخذت هذه الخطوة قام جنرال كوندراثوف رئيس القسم العسكرى بلجنة الاشراف التابعة للحلفاء بزيارة رئيس الوزراء وأخبره فى صراحة واضحة بأنه اذا لم تتوقف فى الحال تلك الاجراءات التى اتخذت ضد الرئيس الشيوعى فان قيادة السوفييت العليا سوف تتولى موضوع « المؤامرة » بنفسها ٠

ثم توقفت الاجراءات فى الحال ، ولكن فى نفس الوقت ٠ كان جنرال بارتا يشعر بالاستياء من بالفى أوستريشر وتصرفاته من حيث تغاضيه عن أوامره ، ولذلك صرح بأن مصدر معلوماته عن الاعتقالات هو النائب الاشتراكى لرئيس القسم السياسى العسكرى وهو كولونيل Viktox Kruchina ٠ وبعد بضعة أيام من الانذار النهائى الذى قدمه جنرال كوندراتوف كان كولونيل كروشينا مدعوا لحضور حفلة شاى أعدها جانوس جيوريكس من أعضاء حزب صغار الملاك ونائب رئيس A.V.O وعند خروج كروشنا من مسكن جيوزلكس هاجمه بعض أفراد من A.V O وسبق أن كان لكروشنا دور فعال فى حركة المقاومة ضد الالمان والنازيين من المجريين ، وكان على صلة بالبريطانيين خلال فترة الحرب ٠ ولذلك كان يلتزم جانب الحذر فى مثل هذه الاجتماعات ٠ فكان يحتفظ معه بمسدسين أثناء الحفل ــ وفى بعض الدوائر كان هذا أمرا بالغ الاهمية فى بعض الاحيان ــ وعلى ذلك تمكن من مهاجمة المعتدين وأفلت من المكيدة وتمكن من الهرب بعد اصابته ببعض جروح ٠

وهكذا عن طريق حادث فردى فى الطريق ٠ أصبحنا على حذر من مدى مساعدة السوفييت للشيوعيين فى تدبير « المؤامرة » ٠ (والسبب فى أن الحكومة لم تبلغنا عن الحادث رسميا هو أن الرئيس السوفييتى للجنة الاشراف التابعة للحلفاء كان يعمل من أول الامر على منع الحكومة المجرية من الاتصال بالمندوبين الامريكيين والبريطانيين عن أعضاء اللجنة، وبالعكس ، الا عن طريق الرئيس ذاته ، ولو كانت قد أخبرتنا بصورة غير رسمية لما كان هناك مجال لتدخل السلطات الامريكية أو البريطانية ٠ وعلى أية حال لم تكن الحكومة على يقين من أمرها فى هذه الناحية) ٠

وبعد فترة قصيرة أذاع رايك الوزير الشيوعي لوزارة الداخلية موضوع « المؤامره » على صفحات الجرائد . واخذت الصحف الشيوعية تردد أن المؤامرة كانت بتدبير « الفاشست الذين مازالوا بين صفوفنا » . ولفترة من الوقت أخذ أعضاء الحزب الشيوعي ــ عن طريق الصحف ــ وفي البرلمان ــ وفي الاحاديث العامة ــ يرددون أن الاغلبية التي حصل عليها حزب صغار الملاك في انتخابات سنة ١٩٤٥ انما ترجع الى وجود النازيين السابقين بين صفوف الحزب ، وأنهم أخذوا يسعون جاهدين لطرد نواب الحزب من البرلمان ومن بعض وظائف في الحكومة . وشرعوا يرددون أن « المؤامرة » التي اكتشفت أخيرا كانت برهانا على ما يقولون منذ أشهر مضت .

وخلال الاسابيع الاولى من سنة ١٩٤٧ .أخذ رجال الصحف الشيوعية والمتحدثون من الشيوعيين يشنون حملة على حزب صغار الملاك على أساس « المؤامرة » المزعومة . ولم تكن هناك « مؤامرة » في الواقع . بل كانت مناقشات تدور على ألسنة الافراد ــ ومن بينهم الشيوعيون أنفسهم ــ حول مصير المجر اذا ما وضعت معاهدة الصلح موضع التنفيذ . وكانت مثل هذه المناقشات التي كانت تدور بين غير الشيوعيين ــ وهم الاغلبية الساحقة من السكان وأعضاء البرلمان والحكومة أشبه شيء بتقارب الاذهان حول الوقوف في وجه الشيوعيين ومنعهم من الاستيلاء على السلطة المطلقة عند انتهاء الاحتلال بصورة قانونية . (وأما جبهة المعارضة التي كانت دعائمها تقوم على مناقشة الشيوعيين بين أنفسهم حول الموقف . فان هذه الجبهة لم يكن لها طابع « المؤامرة ») . وكان الامر يدور حول الوسيلة التي تمنع الشيوعيين من الاستيلاء على مقاليد الحكم ، ثم لم يكن هناك سياسي مسئول من أهالي المجر يدور بخلده أن الدول الغربية قد تستخدم القوة للتدخل في الامر بمنع هذا الاستيلاء . وزيادة على ذلك لم يكن المجريون يساورهم أدنى شك في قوة الاتحاد السوفييتي وهو على مقربة من بلادهم، كما لابد لهم من تسوية علاقاتهم الخرجية بحيث تتفق مع مطالب السوفييت وذلك لضمان الامن على حدودهم الغربية . ثم أن الحقيقة البارزة والتي تعمقت جذورها في ذهني هي أن من بين هؤلاء المعتقلين ــ ثم من بين مئات المتهمين فيما بعد ــ من كانوا قد امتازوا فيما سبق بالمقاومة الفعالة أمام الالمان والنازيين من المجريين وأن الهدف الأساسي كان تصفية كل هذه العناصر الصالحة للقتال المدربة على المقاومة والتي لافرادها خبرة لهذا النوع من الصراع .

ومع ذلك أخذ الشيوعيون بمساعدة معاونيهم من رجال الشرطة • يواصلون اذاعة « الاعترافات » • وهذه « الاعترافات » المزعومة كانت تنسب الى أشخاص تزداد اعدادهم يوما بعد يوم ، وكان هؤلاء الاشخاص بدورهم • مصيرهم الاعتقال • ثم ينسب اليهم أيضا « الاعتراف عن أفراد آخرين ، وهكذا كان الخضم يتسع مداه وترتفع أمواجه لتبتلع المزيد من الضحايا • ومع كل ضحية كانت أمواج البحر تطغى على الشاطىء فتغرق معها آمال ومستقبل الواقفين هناك •

وكانت « الاعترافات » نتيجة وسائل الاستجواب التى أصبحت معروفة للجميع • وبالرغم من اجراءات الامن التى تحيط بالمعتقلين فقد بدأت تتسرب من أسوار السجن هذه الوسائل وطرق استخدامها ، وحدث أن تمكن بول من الحصول على خطاب مهرب وعليه توقيع أحد المتهمين ، واشار فيه الى أن هذه « الاعترافات » كلها مزيفة ، ولكن كان لابد منها خشية وسائل الارهاب التى كانت متبعة فى السجن • وكان القصد من الاستجواب هو أن يكون الاعتراف شاملا لمعظم زعماء الحزب • (فى ذلك الوقت راجت الشائعات حول استخدام المخدرات فى الاستجوابات • وكما علمت فيما بعد • كان هناك رائد طبيب فى الجيش الاحمر ويدعى استيفان بالنت • وكان وصوله الى A. V. O فى أواخر سنة ١٩٤٦ ، وبدأ تجربة المواد المخدرة مثل الاستدرون Actedron والبنتوثال Pantothal والسكوبالومين Scopalomine والمورفين • ومعرفة مدى تأثيرها فى المعتقلين السياسيين) • ثم أبلغت مارك عن هذه التطورات التى أثارت فى نفسى مشاعر الخوف ، وسرعان ما انتهز فرصة زيارته لرئيس الوزراء لبعض شئون اخرى حيث أعرب له عن مدى الخطر المحتمل وما قد يلحق بالحكومة من جراء ذلك • ورد عليه ناجى بأنه هو وزملاءه يعرفون حقيقة هذا الخطر ، وانهم سوف يراقبون الحالة بعين ساهرة • فاتضح من هذا التبادل الدبلوماسى أن رئيس الوزراء كان على يقين من رغبة السوفييت فى تأييد الشيوعيين فى مزاعم « المؤامرة » • وأنه يستنتج أن الدول الغربية اذا لم تبادر بمواجهة الضغط السوفييتى • فليس فى وسعه سوى أن يتصرف ـ بطريقته الخاصة ـ للتخفيف من الاخطار المتوقعة •

وفى أواخر يناير اتسع نطاق اتهامات الشيوعيين فشملت وزيرا من صغار الملاك وستة من أكبر أعضاء البرلمان واخطرهم شأنا • كما اشتملت على بيلاكوفاكس سكرتير عام حزب صغار الملاك • وكان كوفاكس

مزارعا ومن زملاء رئيس الوزراء ، وكان منظما موهوبا وله شهرة واسعة. كما كان محط آمال أغلبية الحزب ، وكانت الاتهامات الموجهة اليه أشبه شيء شيء باتهامات بانه كان يتـآمر ضـد نفسـه ، أضـف الى ذلك أن الاتهامات كانت موجهة بكل ما استطاع الشيوعيون من قوة . كما كانت بضغط من السوفييت من وراء ستار .

تلك كانت اللحظة الحاسمة في بلاد المجر في فترة ما بعـد الحرب ، وكانت جهود اغلبية البرلمان تسير في هـذا الاتجـاه : وهو أن ليو تولى رئاسة عدد كبير من زملائه من أعضاء حزب صغار الملاك لـكي يعلنوا أن خطورة البلاد قد بلغت أقصى حد لها ، وبجانب هذه القيادة قدموا مشروع قرار بتكوين لجنة برلمانية للتحقيق في موضـوع « المؤامرة » . وغضب الشيوعيون لذلك وهددوا بالانسحاب من اللجان البرلمانية ــ وهو تهديد خطير بالنسبـة لاصرار السوفييت على وجود الشيوعيـين ضمن أعضـاء الحكومة . وكان زعماء الحكومة من غير الشيوعيين ــ باستثناء أفراد الجيش والشعب ــ يعرفون أن السوفييت كانوا يعضدون الضغـط الشيوعي . ولذلك أخذوا يسعون لايجادحل وسط لانقاذ كوفاكس ــ وبالتالي استقلال المجر . وفي نفس الوقت يعملون على تهدئة السوفييت بصورة فعالية .

وفي ١٠ فبراير تم التوقيع على معاهدة الصلح ، على أن تكون نافذة المفعول في مدى تسعين يوما بعد التصديق عليها ، واستخدم زعماء حزب صغار الملاك هذه الآمال كوسيلة لتهدئة شعور النواب ، وبناء على اصرار الرئيس تيلدى سحب مشروع القرار بتكوين لجنـة التحقيق البرلمانيـة ، وبذلت الجهود لمفاوضة الشيوعيين.ولكن هذه الجهود كان مصيرها الفشل. وكان الموقف في المجر على حافة الانهيار . كما أن الرأى القائل بالوصول الى حل وسط كان أمرا لا تعرفة لغة السوفييت . فكان من الواضح أن الجهود سوف تستغرق وقتا طويلا .

وفي مساء ٢٥ من فبراير سنة ١٩٤٧ أرسلت لنا العميلة جين اشارة تليفونية لعقد اجتماع عاجل ، والتقيت بها ــ كما سبق الاتفاق عليه في مثل هذه الحالات الطارئة ــ بجوار كنيسة التتويج حيث استطيع أن أرى ان كان هناك من يتبعها . ولم يكن هناك من يرقبها بل كان معها بول . فأوجست خيفة اذ لم يسبق لها أن رأيته من قبل ، واثناء الاجتماع قـال بول أنه كان ــ منذ فترة قصيرة في ذلك المساء ــ في طريقة لزيارة بيـلا كوفاكس . وعندما وصل الى مسكن كوفاكس في بست وجد المنطقة قد

امتلأت بجنود السوفييت ، فوقف يراقب كوفاكس من مكان خفي • واذا به يرى بعض الضباط من السوفييت يخرجون من المبنى وكان كوفكس معهم • ثم اسرعوا بوضعه في احدى سياراتهم وسرعان ما انطلقت بمن فيها ، وكان هذا المشهد دليلا على أن السوفييت كانوا يستعرضون قوتهم بقصد ارهاب اغلبية الحكومة •

واسرعت باعداد رسالة بالشفرة • وارسلتها الى مقر رئاستي ، وكانت تشتمل على تعليقاتي حول التدخل السافر للسوفييت • وبعد ذلك أرسلت اشارة تليفونية الى مارك • وكان اجتماعنا في أحد النوادي الليلية في المدينة والتي كانت تزدحم بالرواد ، كما كانت تنسب تصورات الشيوعيين حول ما قد يفعله الامريكيين في ليلة حافلة بالاحداث السياسية، وكان كل منا يعلم **أنه في ليلة واحدة يمكن تحليل جميع التورطات والتعقيدات التي تصادفها أي شبكة للمخابرات ،وذلك على أساس البواعث السياسية** ، والتأييد السياسي هو نتيجة تبادل الآراء بين أفراد الامة التي تجني ثمرة جهود المخبرات • وسواء رضيت وشنجطون أم لم ترض فان تحدي السوفييت كان من الناحيتين السياسية والاستراتيجية • ولذلك كان للسوفييت تأثير مباشر على جهود الشبكة • والدليل على ذلك هو الاسئلة التي كان يلقيها كل فرد من أفراد الشبكة : **أي نوع من التأييد سوف نلقاه من الولايات المتحدة اذا أردنا مكافحة السوفييت في الوقت الحاضر ؟** ولكي نستطيع مساعدة المجريين مساعدة فعلية سوف يحتاج الامر الى جهود أقوى من استنكار وشنجطن لتصرفات السوفييت في المجر. وعلى هذا التحول يمكن القول بأن الاعراب عن العطف والشفقة على قوم قد تعرضت حياتهم وحريتهم الى خطر محقق • معناه ــ دون شك ــ الاعراض عن مساعدتهم ــ مع ما ينتج عن ذلك من عجز الشبكة عن تحقيق أغراضها • وكذلك تدهور مصالح أمريكا من الناحيتين السياسية والاستراتيجية في المنطقة • وكانت هذه الموضوعات عاجلة بالنسبة لكل من ليو وبول من حيث تأدية الواجبات واستغلال الامكانيات من أجل الصالح العام • ولكن مثل هذه الموضوعات نادرا ما تجد لها صدى في ميدان السياسات الدولية •

وفي أوائل شهر مارس أرسلت كل من الحكومتين الامريكية والبريطانية مذكرات الى حكومة السوفييت تحتج فيها على تدخل السوفييت من جانب واحد في شئون المجر ، كما تحتج على تصرفات الحزب الشيوعي المجري ،

وطالبت المذكرات بعقد لجنة مشتركة بين السوفييت والامريكيين والبريطانيين للقيام بالتحقيق فيما أطلق عليه « المؤامرة » وفيما حدث لـ بيلا كوفاكس · وكان من المتوقع أن يرفض السوفييت·وتلا ذلك مذكرات أمريكية وبريطانية أخرى ولكن دون جدوى ·

وقبل اعتقال كوفاكس كانت الولايات المتحدة قد منحت المجر قرضا قدره ١٥ مليون دولار لشراء المواد اللازمة لسد حاجاتها ، وفي ١٢ من مارس طلب الرئيس ترومان من الكونجرس الموافقة على مبلغ أربعمائة مليون دولار لتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لكل من اليونان وتركيا ، وكان البيان الذى صدر فى ذلك الوقت ينص على أن الولايات المتحدة تقصد مساعدة الشعوب فى كل مكان لمقاومة العدوان الشيوعى ، وأطلق على البيان اسم « **عقيدة ترومان** » فكان ذلك سببا فى أن الامريكيين فى بودابست · بعد أن كانوا يضيقون ذرعا بالموقف · أصبحوا يسيرون فى الطرقات رافعين رءوسهم ·

كذلك كانت هذه التطورات أداة لبث روح الشجاعة فى نفوس أهل المجر · وبالرغم من أن بول كان يلتزم جانب الحذر الا أن ليو شعر بأن استجابة الامريكيين كانت سببا فى أن المجريين أصبحوا على يقين من أن واجبهم يحتم عليهم أن يهبوا للدفاع عن وطنهم ، كما كان يشعر بأن المجريين يجدر بهم ــ على الاقل ــ أن يكشفوا الستار عن موقف الاغلبية ، وألا يكون هناك أى دليل على أنهم يترددون فى الوقوف فى وجهالشيوعيين والضغط السوفييتى ، كذلك أخذ يعمل على احياء الاقتراح بتكوين لجنة برلمانية للتحقيق فى موضوع المؤامرة ، وكان يعضده فى ذلك عدد كبير من الثائرين من نواب حزب صغار الملاك · ولم يكن لدى أفراد قيادة الحزب شجاعة كافية للقيام بمناورة · ولكن فى أواسط شهر مارس كان الجهاد قد قطع شوطا بعيدا · وقام الرئيس تيلدى باستدعاء المنشقين الى القصر الجمهورى حيث أخذ يستدرجهم تارة ثم يهددهم ويستعطفهم تارة أخرى · وأخيرا تمكن من اغراء أغلبية الثوار على تعضيد سياسة الحكومة · وحدث بعد ذلك أن صرف النظر عن مشروع القرار بتكوين لجنة برلمانية للتحقيق المشار اليه · وكانت هذه ــ فى الواقع ــ نقطة للتحول · فقد كان ليس آسفا أشد الاسف وهو يخبرنى عن الاجتماع الذى عقده

تيلدى وما كان له من النتائج • وعندما سمع هذه الانباء سيمور فريد الذى كان مراسلا لصحيفة نيويورك « هيرالد تريبيون » وكان يراقب مركبات السوفييت المصفحة وهى تتجه نحو الغرب فى كل من بولندة وروِمانيا وبلغاريا • قال : « فى هذه الظروف ابعث برسالاتى فى المرة القادمة من هليوكن ـ اذا استطعت ارسالها بطريق البحر » •

(فى سنة ١٩٥٥ أفرج السوفييت عن بيلا كوفاكس وعاد الى المجر وهو يعانى آلام المرض • وفى سنة ١٩٥٦ استعاد نشاطه وأصبح زعيما لحزب صغار الملاك الذى عاد الى الظهور على أثر التحالف الذى عقده ايمرى ناجى • وكان الفرق بين أمريكا سنة ١٩٤٦ وبين أمريكا سنة ١٩٥٦ واضحا الى أقصى حد فى ليلة ٤ من نوفمبر سنة١٩٥٦ فعندما هاجم الجيش الاحمر بودابست • بادر كوفاكس بالالتجاء الى المفوضية الامريكية • ولكن المفوضية رفضت التماسه هذا بناء على تعليمات من وزارة الخارجية فى واشنجطن مع أنها ـ فى نفس الوقت ـ منحت حق الالتجاء الى الكاردينال ميندزينى . وبعد ذلك توالت عليه فترات قضاها فى السجن والمستشفى وما بين الاعتقال فى منزله • والاعتقال لفترات محددة حتى وقت وفاته فى سنة ١٩٥٩) •

بعد ذلك سادت هناك فترة هدوء فى المجر حيث أرغم حزب صغار الملاك على طرد عدد من نوابه وموظفيه وانخفضت الروح المعنوية بين أفراد الحزب • وأهم من ذلك أنه أصبح واضحا أن ليس هناك فرد واحد فى أمان من خطر « المؤامرة » • فقد عقدت الجلسات لمحاكمة عدد من المتهمين الذين تدفقت من أفواههم الاعترافات بشتى انواعها • وهنا اتضحت فاعلية وسائل الشيوعيين فى سبيل ارغام المتهمين على الاعتراف قسرا عنهم • (كان احجام المتهمين عن الادلاء بأقوالهم فى محكمة علنية ـ كما حدث فى قضية بالنت آرانى وهو من كبار المتهمين ـ يتبعه تأجيل عاجل للقضية ولا تستأنف المحاكمة الا بعد أن يصبح المتهم على استعداد للاعتراف والتنازل عن أقواله السابقة) •

وهذه المحاكمات التى كانت تحت اشراف وزارة العدل • كانت سبيلا للسؤال الحاسم حول السبب فى تحالف الحزبين الآخرين من غير الشيوعيين مع الاحزاب الشيوعية فى حملتها للقضاء على أغلبية الحزب • فقد كان استيفان ريشير من الاشتراكيين ووزيرا للعدل ، ولكنه لم يفعل شيئا للدفاع عن وزارته ضد الطغيان الشيوعى ، وزيادة على ذلك كان كل من

الحزب الاشتراكي ومعه حزب المزارعين ـ طول فترة « المؤامرة » ـ يؤيدان حملة الشيوعيين تأييدا شاملا . والاجوبة على هذه السياسة الانتحارية كنت ظاهرة للعيان كما كانت في نطاق من السرية . وكان البيان الذي ألقاه رايك وزير الداخلية دليلا على الصراحة في القول . اذ قال في بيانه : « يجب أن نتعلم من لنين حيث يقول : « **اذا كان لديكم خمسة أعداء يجب عليكم أن تتحالفوا معهم ، ثم تعملون على تحريض أربعة منهم ضد الخامس، ثم ثلاثة منهم ضد الرابع وهكذا ، حتى لا يتبقى معكم في الحلف غير فرد واحد ، وحينئذ يمكنكم القضاء عليه بأنفسكم في سهولة ويسر** » ولكن هذه التصرفات لم تكن كافية وحدها . كان لابد لها من ملحقات ـ كما علمت بالتفصيل فيما بعد ـ وهي الملحقات التي تجرى من وراء ستار: كالتسلل والارهاب والتخريب على نطاق واسع .

ثم ان الاشتراكيين وهم أكبر حزب في الحلف بعد الشيوعيين . وكان لهم نفوذ كبير في حركة نقابات العمال . كان في وسعهم أن يصبحوا عقبة كأداء في سبيل الشيوعيين . كما كان في مقدورهم أن يعلموا كثيرا من خطط الشيوعيين وتصرفاتهم .

وكانت أوجه النقص التي سبق أن لاحظتها في شبكتي . قد أصبحت الآن واضحة جلية ، ففي غمرة التنقلات بين رجال الحكومة من وقت لآخر . نقل بول من منصبه بسبب مهاجمة الروس له بصورة مستترة . ولكنه احتفظ بمقعده في البرلمان ، وأصبح ليو في شبه عزلة بعد فشله في اثارة موضوع التحقيق في البرلمان ، كلما اتسع نطاق الخطر كلما قل نشاط هنري . ولم تعد هناك منفعة من جورج وهو يعمل في مكاتب وزارة الخارجية ، وكان أوجين لا يزال يواصل نشاطه وان كان يحصل على معلوماته من مصادر ليست على جانب من الاهمية . وأما سيمون فقد كان لا يزال يأتي بمعلومات هامة عن النواحي الاقتصادية ، كذلك كان لويس يحصل على معلومات من السياسيين من جميع الاحزاب ومن الروس أنفسهم، وبطبيعة الحال واصلت جين مهمتها كوسيط بين العملاء ولكنها لم تكن مصدرا لمعلومات هامة . فكان الموقف ـ بصورة عامة ـ لا يبعث على الرضى ، وكان يوحي بالفشل مالم أعمل على توسيع نطاق مهمتي ، وكما كانت الاحداث تزيد من صعوبة موقفي . كانت كذلك تثير الخوف في نفوس آخرين . وكما كنت أسعى جاهدا في البحث عنهم كانوا كذلك يسعون لمعرفة حقيقة أمري .

وخلال شهر أبريل جاءنى صحفي مجرى كنت أثق به ثقة تامة ، وكثيرا ما مهد لى السبيل للاجتماع بأشخاص كنت أهتم بلقائهم ، وقال أن هناك بعض شخصيات هامة من الاشتراكيين يرغبون فى الحديث سرا مع رجل أمريكى ، وعندما ذهبت في الموعد المحدد وجدت أن الاجتماع فى شقة فى أحدى العمارات ، وهناك التقيت بشاب رزين له طلعة بهية فصعد معى الى طابق آخر حول سلم الخدم ـ وظننت أن المكان كان مخزنا مهجوراـ فقال الشاب : (انى آسف للمجىء بك من هذا المدخل الخلفى) ، وهناك كان أحد الابواب ـ وراء ستار مسدل ـ يؤدى الى المبنى المجاور والذى يطل على شارع آخر ، وبينما كان يفتح الباب أوضح لى أن هذا المكان بين العمارتين انشىء أيام احتلال الالمان لمساعدة اليهود على الهرب وكان هو نفسه من بينهم، ولما كان هذا المبنى قد أصبح تحت المراقبة مرة أخرى فقد أصبح صالحا للاختفاء ، ودخلنا شقة فاخرة حيث وجدت خمسة أشخاص ومن بينهم تعرفت على كارولى بيير الذى كان رئيسا للحزب الديمقراطى الاشتراكى فى المجر لعدة سنوات حتى اعتقله الالمان فى ملهوزن عام ١٩٤٤

وكان بيير يبدو تماما كأحد أصحاب الحانات أيام امبراطورية النمسا القديمة ، فقد كان قصير القامة مكتنزا حليق شعر الرأس ويعتنى بهيئة شاربه الطويل ، وكانت عيناه تشعان وميضا ملحوظا وكانت على وجهه أمارات الذكاء والحكمة ، وسبق أن كان له دور بارز فى الحركات الاشتراكية ونقابات العمال منذ بداية القرن الحالى ، وتفوق الحزب تحت رئاسته على كل الاحزاب اليمينية فى المجر ، كان الفضل بالنسبة لمتوسط العمال المجريين يرجع الى بيير وبخاصة فى تقدم حركة نقابات العمال ، وعندما اعتقله الالمان خلفه فى رئاسة الحزب أثناء غيابه أحد مساعديه أرباد سيزاكستس ، حتى اذا أخرج بيير من سجنه فى ملهوزن بمعرفة الجيش الامريكى وتمكن من العودة الى المجر ، كان سزاكستس قد أصبح على علاقة وثيقة بالشيوعيين ، وعند عودته للحزب وضعه مساعده فى مركز بسيط فى الحزب ، وتقبل بيير هذه الوظيفة الصغيرة محافظة على سلامة الحزب بالرغم مما كان له من شهرة كبيرة ، وبطبيعة الحال كانت سلطة سزاكستس تقوم على أساس من الرشوة والفساد ـ فقد استقل عربة خاصة من عربات السكة الحديد وطاف بها فى أنحاء أوروبا الغربية فى نهاية سنة ١٩٤٥ وقام برحلة أساءت الى سمعته فى جميع أنحاء القارة ، بينما كان بيير يعمل جاهدا على تكوين معارضة قوية وهو لا يزال يقوم بمهمته فى الحزب ،

واصبح بيير يرى الى أى ناحية سوف تتجه البلاد عن طريق التعاون الاشتراكى مع الشيوعيين · وبالرغم من أن حديثه معى استغرق عدة ساعات فقد كان يدور حول موضوعين أساسيين : **ما هو اتجاه حكومة الولايات المتحدة ؟ وما هى الاجراءات التى سوف تتخذها هذه الحكومة لتأييد وجهة نظرها ؟** وكان بيير يفكر فى تدبير خطة لكى يعود الى رئاسة الحزب الاشتراكى ، وكان غرضه أن ينكر تأييد الحزب الاشتراكى للشيوعيين — وهو ما كان يسعى اليه سزاكستس ويعمل على تحقيقه ، وبذلك يقف حجر عثرة فى سبيل استيلاء الشيوعيين على مقاليد الحكم قبل الموعد المحدد لتنفيذ نصوص معاهدة الصلح ، كذلك كان مهتما بمنع حزبه من الاندماج مع الشيوعيين كما كان يتراءى له مما تنطوى عليه الاهداف الشيوعية ، ولكنه — فى نفس الوقت — كان يخشى أن يتعرض تابعوه لانتقام شرطة الشيوعيين وارهاب السوفييت وفظائعهم ، وكان يرى أن دول الغرب هى التى تستطيع أن تقف فى وجه هؤلاء القوم ·

وهنا تحولت مهمتى الى عملية سياسية بسبب شدة ضغط الاحداث الجارية · والآثار المترتبة على حركات السوفييت ، **وما كان يبدو على أمريكا من التورط والتلكؤ** ، ولم أكن أشعر بالضيق من هذه التطورات — بل على النقيض — كنت مدفوعا للعمل بوازع من ضميرى · بالرغم من ارتيابى فى حكومة الولايات المتحدة وفى مدى استعدادها للتدخل فى الامر فى هذه المرحلة المكبرة ، وكان بيير يبدى ملاحظاته فى عناية واحكام — وفى الوقت نفسه — كان يوجس خيفة من الاحداث القادمة · فأوضحت له أن اتجاه الامريكيين كان متخصا فى المذكرات المرسلة الى موسكو عندما قام السوفييت باعتقال بيلا كوفاكس وأشرت الى عقيدة ترومان » · وأما عن الباقى فقد قلت له انى لا أستطيع التنبؤ بالخطوات القادمة والتى سوف تتخذها الولايات المتحدة فيما يتعلق بموضوع المجر · بالرغم من أنى كنت أعلم أن مقاصده ومشاكله أصبحت معروفة فى معظم الاوساط المعنية · ولاحظت أن أسئلته لم تكن حساسة بحيث تستدعى اجابات مباشرة · وهنا ابتسم قائلا : « ليس من عادتى أن أكون فى عجلة من أمرى » ·

وعند مغادرتى سألنى مرشدى سام « أن كنت سوف أعود مرة أخرى بعد بضعة أيام ، واشترك معه فى السؤال شاب آخر يدعى أدمون كان حاضرا ولكنه كان يلتزم الصمت معظم الوقت ، وكان الغرض من هذا الاجتماع محادثتى حول بعض مشاكل أخرى · وعندما رجعت فى الموعد

المحدد تبين لى من المحادثة أنها خطوة كبيرة نحو ايجاد حل لمشاكلى الخاصة، وكان كل من سام وأدموند يقومان بنشاط معـاد للالمان وللنازيين من المجريين ، فكان سام يدير شئون محطة اذاعة سرية خلال فترة الاحتلال الالمانى ، وكان أدموند منضباط الجيشفى الجبهة المجرية ،وعضوا فى المنظمة السرية من حزب صغار المـلاك وهى منظمـة الديمقراطيين الاشـتراكيين والشيوعيين ، ومن وقت لآخر كان يتعرض للخطر فىسبيل انقاذ اليهود. وكل منهما تمكن من الهروب من الاعتقال . وفي ذات مرة تخلص أدموند من كمين أعده رجال الشرطة ، وكان سام موظفا بمجلس نقابة العمال ــ وهى منظمة يشرف عليها الشيوعيون . ويقصد بها السيطرة على معظـم النقابات الاخرى وتنظيم « المظاهرات التى تبدو اختيارية ، ولكن الغرض منها العمل على تحقيق المطالب السياسية للشيوعيين . ثم أنى دهشـت عندما صرح أدموند بأنه يعمل ضـابطا فى هيئة (A. V. O) واشار ــ بصورة جدية ــ الى أن أى تهاون من ناحيتى من حيث هـذه المعـلومات سـوف يؤدى به الى موت محقق ، فقـد كان من بين العـدد القليـل من الاشتراكيين الذين سمح لهم بالالتحاق بالمنظمة لكى يستقر « التحالف » ولو من الوجهة النظرية .

وكان كل منهما يعمل مع بيير بأمانة وصدق واخلاص . وعلى الاخص كما أشار سام ــ لان بيـير كان يهتـم بالنواحي السياسيـة التى تتعلق بالموقف الراهن . ومن ناحية أخرى . بينما كان سم وأدموند يبذلان ما في وسعهما لمساعدة زعامة حزبهما . كانا مقتنعين بأن هناك كارثة وراء الافق . وانهما سوف يرغمان سرا على قبول حكم شيوعى شامل ، ولابد لهما من الاستعداد من الآن لمواجهة هذا المصير المحتوم ، وأكدا أن تكوين شبكة سرية من الآن سوف يتيح لها فرصا أفضل للبقاء أطول من شبكة يتم تكوينها على وجه السرعة وفى آخر لحظة ، وأن الغرض من تكوين مثل هذه الشبكة ــ كما تراءى لهما ــ هو اعداد صلة مع الغرب ، وطلب سام الحصول على جهاز لاسلكى لتحقيق هذا الغرض ، وخلال فترة ما بعد الظهر حصلت منهما على معلومات وافية عن قسـوة الشيوعيـين والسوفييت . وابتزازهم الاموال بوسائل التهديد والارهاب . وما كان يجرى من وراء التطورات السياسية الحديثة بمـا فيها موضـوع « المؤامرة » . ووعـدا بالحصول على تفصيلات أكثر من ذلك .

كذلك كنت شغوفا لمعرفة السبب الذى من أجله اتصل بى هذان الرجلان ، فقال سام وهو يذكر اسم الصحفى الذى أعد اجتماعى بهما : « **يجب أن تلاحظ أنه أشار اليك كما فعل كثير من الصحفيين الامريكيين ممن يعرفهم** » • وتذكرت أن الساعات التى قضيتها مع الصحفى لم تكن لمجرد المتعة والسرور بأى حال • وهنا واصل أدموند حديثه قائلا : « وزيادة على ذلك اذا لم تكن الرجل الذى يجب أن نتحدث معه فى مثل هذه الشئون ، فنحن على يقين من أنك سوف تدلنا على الطريق للسليم • وفى اعتقادنا أن هذا أمر يهمك قبل كل شىء » • ، ولم يتبين لى أن كنت أنا « رجل الساعة » المقصود أم لم أكن •

فسألت سؤالا آخر كان يدور بمخيلتى ويسبب لى شيئا من الارتباك وقلت : « لماذا لم تلجأوا الى البريطانيين ؟ فمن المؤكد أن هناك روابط اخوية وثيقة بينكم وبين حكومة العمال فى انجلترا » ، وهنا ضحك سام وقال :

أولا : نحن لا نثق بالبريطانيين بسبب تأييدهم لتيتو •

ثانيا : يبدو أنهم لا يدركون حقيقة اهداف السوفييت •

ولذلك يعتبرون سازاكستس وعملاءه من الاشتراكيين الحقيقيين بدلا من العملاء الشيوعيين •

ثالثا : نحن نرتاب فى البريطانيين ـ اشتراكيين وغير اشتراكيين • من حيث أنهم يعارضون حقا فى اشراف السوفييت على أوروبا الشرقية ـ أنظر إلى ضغطهم على ميكالويزيك والبولنديين •

رابعا : محاولة أمريكا لمساعدة المجر عن طريق معاهدة الصلح • بينما لم تهتم بريطانيا كثيرا بشأن المجر ، وهنا أعربت عن ارتياحى لان الموضوع كان يدور حول جهود الامريكيين • ثم اختتم سام حديثه قائلا : « وأخيرا أود أن أقول أن أمريكا هى التى تتولى الامر فى الوقت الحاضر » •واعتقدت أن هذا جواب حاسم • وعندما وجهت نظرى نحو أدموند قال دون اهتمام:

« حقا أنك تقوم بمخاطرة ملحوظة » •

وعندما أرسلت برقية الى رؤسائى للقيام بفحص أمر كل من سـام وأدموند علمت أنهم لا يعرفون شيئا عنهما ، ودون أن أخبر جين بشيء عن محادثتنا طلبت منها أن تقوم ببعض استعلامات دقيقة • وعادت الى بنفس المعلومات التى ذكرها كل من سام وأدموند عن نفسه • بالاضافة الى أن بول تعرف على أدموند وقت الحرب فى جبهة المجر • وانه يشيد بأمانتـه ووطنيته •

وفي ذلك الوقت قرر جورج أن ينتفع من الامكانيات التى قد تتاح له من مهمة دبلوماسية فى الخارج ، فسافر الى الخارج ولكنه استقال بعـد بضعة أشهر وظل باقيا في المنفى ، وقبل مغادرته أحضر لى امرأة أطلقت عليها اسم « سارة » وسبق لها العمل فى نفس القسم الادارى مع جورج• ولكنها مالبثت أن نقلت ـ بسبب انضمامها الى عضوية حزب المزارعين ـ الى القسم السياسى بوزارة الخارجية حيث اتيحت لها فرصة للاطلاع على أهم المراسلات السرية ، وكانت صادقة فى ولائها لوطنها ، كما كانت على يقين من أن الشيوعيين سـوف يتسـلمون زمام الامور فى وقت قريب ، فعقدت العزم على أن تبذل ما فى وسعها للوقوف فى سبيلهـم ، ولمـا لم تستطع أن تفعل أكثر من ذلك وضعت الخطة لمغادرة البـلاد الى احـدى العواصم الغربية حيث كان يقيم خطيبها ـ واشارت الى أن هذه حقيقة لم يعلم بها الشيوعيون •

وهكذا أصبح لدى ثلاثة عملاء فى استطاعتهم الحصول على معلومات بالغة الاهمية • وتدفعهم الى العمل ما يشعرون به من البواعث السياسية، وزيادة على ذلك كانوا يعملون بوازع من أنفسهم ـ فيما عدا سام فقد كان يقل عن زملائه اقداما ـ وشجعنى ذلك على القيام بدورى على أحسن وجه، وقمت بمهمتي في الاشهر التالية في مواجهة قليل من الاخطار والامل فى اعداد مستقبل مشرق للشبكة وأفرادها •

وبينمـا كنت مشـغول الذهن بالتفكير فى شـئون العمل ـ جاء لزيارتى فى مسكنى ذات ليلة ، ولم يكن يبدو عليه أى اهتمام بالموقف السياسى • وقال بهدوء مريب أنه استقال من عمله فى مركز الشرطة دون أن يذكر سببا لهذه الاستقالة • وعرض على اقتراحا بسيطا ولكنه يبدو غريبا فى مظهره • اذ طلب منى أن أزوده بسيارة نقل من سيارات الجيش

الامريكي لمدة يومين بعد الظهر في كل أسبوع ـ وكانت هذه مهمة أستطيع تنفيذها بطريق التليفون بكل سهولة ـ على أن يضمن لى مبلغ اثنى عشر ألف دولار شهريا بأى نوع من العملة التى أريدها ويمكن تحويلها الى أى بنك من بنوك العالم طبقا لرغبتى ، ودهشت لذلك الى أقصى حد ·

وكان أول ما تبادر الى ذهنى أن القى به خارج المنزل · ولكننى أدركت أن ذلك لن يجدى شيئا بطبيعة الحال · فطلبت منه أن يوضح لى حقيقة الموضوع · ولكنه لم يذكر شيئا أكثر من أن السيارات سوف تستخدم فى العبور الى سلوفاكيا نحو الشمال · وأصر على قوله أن هذه اجراءات سليمة وليس هناك خطر ما ، واخيرا تبين لى أنى لن أستطيع أن أحصل منه على معلومات أكثر واعربت له عن أسفى لعدم تحقيق رغبته ، وغادر المسكن وعلى ملامحه مظاهر الضيق واليأس الشديد ·

وفى اليوم التالى أخبرت جين بأنى أريد مقابلة سيمون · وعندما اجتمعت به ذكرت له القصة دون أن أصرح له باسم الرجل ، فانفجر ضاحكا وقال : « حقا أن هذه صفقة رابحة · لقد أصبحت تعمل لصالح الشيوعيين · واعتقد بأنك سوف تصبح من الاغنياء » · وعاد الرجل الى الضحك · ولكنى ـ أخيرا ـ أدركت حقيقة الامر من البيانات التى ذكرها· ففى السنة الماضية كون الحزب الشيوعى ما أطلق عليه « الاتحاد الشرقى الغربى » · وكان ذلك أحد مبتكرات عبقرية الساحر الاقتصادى الشيوعى زولتان فاس الذى تفتق ذهنه عن ايجاد سوق سوداء متسعة النطاق ، فكانوا يسرقون السيارات من النمسا ويعملون على بيعها فى المجر . ويستوردون البضائع النادرة من الغرب ويبيعونها فى المجر وبذلك يحققون أرباحا طائلة ، وكانت أموالهم تعتمد على صادرات المجر القليلة والتى كانت أجهزة الحزب تعمل على ترويجها فى جميع أنحاء أوروبا ، وكانت حركة التجارة مع تشيكوسلوفاكيا تعتمد على تهريب الدخان والسجائر من المجر ، وعندما كانت السجائر تعتبر عملة رائجة فى كل مكان فى أوروبا امتلأت خزائن الحزب الشيوعى بالاموال التى كان يربحها من هذه التجارة ، كذلك اتضح أنهم وجدوا بعض مصاعب مع حراس حدود تشيكوسلوفاكيا ، وهم من غير الشيوعيين ـ لذلك كانت السيارة الامريكية هى الحل الوحيد لهذه المشكلة ، وهنا ضحكت عندما تبين لى أنه من السهل عليهم أن يدفعوا مبلغ ١٢ ألف دولار شهريا ·

ولم تكن الامور معقدة كما كانت تبدو . فاذا كان الشيوعيون قد اقترحوا على جى أن يجتمع بى لهذا الغرض ، كان ذلك دليلا واضحا على أنهم يعتبروننى من المستغنين الامريكيين . ولم يكن ذلك شيئا غريبا فى أوروبا فى ذلك الوقت ـ واذا كان جى قد جاء لزيارتى من تلقاء ذاته . باعتبار أنه لا يعرف أحدا آخر من الامريكيين يمكن الاعتماد عليه . فان ذلك لم يكن ليشكل خطرا ما على مهمتى . ولكنى ـ فى نفس الوقت ـ عقدت العزم على أن أظل بمنأى عنه .

ومنذ فترة من الوقت كنت على صلة برؤسائى لافادتهم عن الارتباكات السياسية المتزايدة والتى لابد لى من مجابهتها فى مهمتى فى المجر . ولكن لم تصلنى أية ارشادات من ناحيتهم . ثم بدأ الشيوعيون فى اثارة الفتن استعدادا لانتخابات جديدة . مما كان له أثر فى زيادة مشاغلى واتساع نطاق مهمتى . وعدم مقدرتى على اتخاذ أية اجراءات فى مثل هذه الظروف . سوف يكون لذلك ـ ان عاجلا أو آجلا ـ أثر على امكانيات شبكة المخابرات أضف الى ذلك رغبة المجريين فى مواصلة المقاومة ، وعلى ذلك طلبت التصريح لى بمقابلة بيير فى سويسرا ـ بقصد قضاء اجازة فى ايطاليا ـ لمناقشته فى هذه المشاكل بصورة عاجلة ، وجاءنى الرد بأن أذيع أنى بصدد قضاء اجازة فى ايطاليا . ولكن ـ بدلا من ذلك ـ يكون سفرى الى واشنجطن مباشرة . وطبقا لهذه التعليمات اتخذت سيارة فى طريقى الى ايطاليا متجها الى الشمال الغربى نحو المنطقة البريطانية فى النمسا ، ومع أنى كنت عرضة للاعتقال بمعرفة أحد الحراس الروس فى « نيسيريم » وكان يتحدث اللغة الاوكرانية فظن أنى من المهاجرين الروس بسبب ضعفى فى اللغة الروسية ، فقد وصلت فى أمان الى منطقة جراتز التى يحتلها البريطانيون وواصلت السفر الى جروسجلو ثم على الطريق المرتفع . فى أوروبا حيث التقيت بقوم آخرين من الروس ، ولكن ـ فى هذه المره ـ كانوا من السجناء السابقين الذين رفضوا العودة الى الاتحاد السوفييتى . ثم سرت فى طريقى الى سالزبورج فى المنطقة الامريكية . حيث ركبت طائرة الى باريس ومنها الى واشنجطن .

وهناك بدا لى أن المدينة يسودها جو من الهدوء والطمأنينة . بمقارنتها بما اعتدت عليه منذ مدة تقل عن السنة ـ من مشاهدة الخراب والدمار فى بودابست . وما كان يلوح فى الأفق من الأخطار ، وكانت واشنجطن

تموج بالحركة والضجة المعتادة • ولـم يكن هنـاك ما يدل على الشعور بالخطر ،وكان الشعور السائد هو أننا قد كسبنا الحرب• وأن ليس هناك ما يقف في سبيل استثمار هذا النصر بالرغم مما يجرى فى ألمانيا الشرقية من وسائل الارهاب واثارة الاضطرابات •

وبدأت فى مناقشة جميع تفصيلات مهمتى مع رئيسى ومساعديه • فأعربوا عن موافقتهم على استخدامي لكل من سام وادموند وسارة بالرغم من عدم اشارتى الى أى علاقة لهم بالمنظمة التى كنت أعمل لصالحها ، وكان هناك اهتمام واضح بأمر أدموند • ولكنى أشرت الى أن مركزه باعتباره من الاشتراكيين • لا يتيح له فرصة فى A. V. O للقيام بأعمال أشد تعقيدا من مهمة المخابرات ، وأما طلب سام لاجهزة الراديو فقد صرف عنه النظر باعتباره شديد الخطورة فى هذه المرحلـة • ثم تلقيت التعليمـات لمواصلة البحث عن عملاء جدد لارسالهم الى المناطق الخالية من العمـلاء • كما علمت ممن يعملون فى مفوضية المجر فى واشنجطون اسم عميلة يطلق عليها « آنا » كانت تصلح لتسهيل عمليات الشبكة فيما يتعلق بشئون الكنيسة •

أما بالنسبة للاجراءات السياسية فقد أبديت رأيى حول الحصول على مساعدات سرية من عدد كبير من المجريين من غير الشيوعيين ، وان كنت قد شعرت بالعطف علىهؤلاء خشية تعرضهم للمهالك، ولكنى ـ فى الوقت ذاته ـ كنت على يقين من مواطن الخطر • كما أن هذا الامر لم يكن ليهـم مقر رئاستى فى قليل أو كثير ، وكان الشعور العام فى ذلك الوقت هو أن مثل هذه الاجراءات لا تتبع الا فى فترة الحرب فقط ولا تصلح لفترة ما بعد الحرب • وكان المفروض أن مثل هذه المقاصد يمكن تحقيقها ـ على وجه مرضى ـ باجراء مفاوضات مباشرة مع السوفييت ، ولكن الامر كان يقتضى سنة أخرى حيث تسقـط تشيكوسلوفـاكيا وينتهى اتفـاق تيتو والكومنفورم ثم الانتصار غير المنتظر لانتخابات ايطاليا سنة ١٩٤٨ قبل أن تدرك حكومة الولايات المتحدة حاجتها الى سلاح سياسى فى حربها ضد السوفييت •

وسمحت لى السلطات بأن أعرض الامر على أحد كبار الموظفين وهو من مستشارى رئاسـة الجمهـورية • حيث وافق على تفسـيرى لمقـاصد السوفييت فى المجر • ولكنه قال أن الشعب الامريكى ليس على استعداد لاتخاذ خطوات ايجابية والوقوف فىوجه السوفييت ، وقال « أن الامريكيين

قد انتهوا من الحرب من وقت قريب ولن يقف الشعب بجانبنا اذا اتخذنا اجراءات تبدو كأنهـا أعمال عدوانيـة ضـد الروس » • فأشرت الى أن النتيجة النهائية سوف تؤدى الى سيطرة السوفييت على المجر والقضاء على كل زعماء الامة • وسوف تكون خطوتهم الاولى ـ وقبل كل شيء ـ هى القضاء على أولئك الذين كانوا يحرضون على مقاومة الالمان ، وقلت أن هذا معناه أن السوفييت اذا سمح لهم بمتابعة تنفيذ اغراضهم دون الوقوف فى سبيلهم فسوف يسيـطرون على أمة لا زعماء لهـا ، ومن هنـا ـ وفى المستقبل البعيد ـ لن نتوقع سوى تأييد الاهداف السوفييتية ، فقال : « أنت متشائم الى حد بعيـد • يجب أن تطلـع على مدى رد الفعـل لدى الشعب الروسى فيما يتعلق بالغزو الالمانى • فبعد ما يقرب من ربع قرن من الزمان قضاه الروس يقاسون ألوان الذعر والارهاب • هبوا للترحيب بالالمان وهم يعتقدون ـ لسذاجتهم ـ أن الالمان كانوا يعملون على تحريرهم، حتى يهود موسكو الذين كانوا يعيشون فى الظلام أيام ستالين كما كان يفعل هتلر وانصاره من المعادين للسامية ، خرجوا يتظاهرون فى الطرقات عندما علموا باقتراب الالمان ، اعتقادا بانهم سوف يتحررون أيضا • فكان رد الفعل هذا لا يعدو أن يكون مشاعر عاطفية • ولكن عندما وقفوا على حقيقة الامر أخذ القوم يقاتلون من أجل روسيا ، ورد الفعل لدى الروس هو الدليل على أنهم لا ينسون الحرية بسهولة كما يتراءى لك » • ولم أكن أثق فى وجهة نظره الا قليلا فى ذلك الوقت • ولكن التاريخ أثبت أنه كان على حق • اذ أن ثورة المجر قامت لمكافحة سيطرة السوفييت بعد ما يقرب من عشر سنوات • واشترك فيها جيل كامل مضاد للشيوعية •

وقلت له بينما كنت أحاوره : (على الاقل تستطيع انقاذ بعض جماهير القوم • وما كان لنا أن نتخلى عن أولئـك الذين يتمسـكون بمبادئهـم وشجاعتهم وهى الاسس التى نعتمد عنيها ، كما نعلم أن مصيرهم جميعـا الى السجن والتعذيب والهلاك) • فقال بعد أن أخذ يفكر قليلا : « وهل تستطيع انقاذ بعض القوم • كما تقول • دون أن تتعرض لسلسـلة من النكبات التى قد تؤدى الى سوء مصـيرهم ؟ ولـم يكن فى وسـعى الا أن أرد بكلمة : « نعم » ، وهى كلمة توحى بالشجاعة والاقدام ، ثم قال وهو يشير بنهاية الاجتماع : « حسنا • سوف نفكر فى الامر » •

وقبل عودتي الى أوروبا وضعت خطة وقدمتها الى ذوى الشأن وكانت تتضمن عـدة عمليـات للتهريب · كما كانت ترمى الى انقـاذ الزعمـاء السياسيين ممن كانت حياتهم وحرياتهم معرضة للخطر بسبب مقاومتهم للسوفييت ، على أن تتناول الخطة بعض أفراد لا صلة لهم بالسياسة ولكن كانوا على استعداد لمساعدتنا بقدر المستطاع · وتقبل الرؤساء هذه الخطة دون تعليق على تفصيلاتها ·

ومع ذلك فقد أبدى رئيس المنظمة بعض تعليقات على ناحية أخرى مما أثار اهتمامى كما شعرت بشىء من الضيق فى نفس الوقت ، وكان الأمر يتعلق بثقتنا فى عملائنا أنفسـهم ، اذ دعانى رجل يبـدو أنه من الشخصيات البارزة وربما كان برتبة الجنرال · لتناول الغذاء معه قبل رحيلى ·وأثناء تناول القهوة لاحظت أنه ينساق فى حديث طويل دون أن يقصد موضوعا معينا · وأخيرا ·عندما أصغيت الى حديثه لادرك حقيقة ما يقصده لاحظت أنه يهتم بأمرى ويحرص على الا يحرجنى، واتضح أن لديه معلومات عن اجتماعى فى بودابست بسيدة معينة من سيدات المجر ، فشعرت بشىء من الضيق والحرج · وسألته : « هل تخشى أنى ربما أفضى اليها ببعض المعلومات ؟ » فبادرنى بقوله : « ليس الامر كذلك بالطبع · ولكنك تعرف ما يقال عن هذه الاجتماعات وما تنطوى عليه من وسائل الاغراء وابتزاز المال ، وهنا شعرت بالارتياح عندما اهتديت الى الرد عليه · وقلت له : « كان فى استطاعتك أن تعرض الامر على مكتب المباحث الفدرالى· وحينئذ كنت تعرف أن الروس حاولوا اغرائى ولـكنهم فشـلوا فى محاولتهـم · وبالتالى لم يستطع عملاؤهم من المجريين أن يحققوا اغراضهم · فبدت على وجهه آثار الدهشـة وهو يقول : « أنا لـم أعرف ذلك » · وبدت عليـه مظاهر الارتياح الى حد ما ·فواصلت حديثى قائلا : « أما ما كان يجهله من أخبرك بالمقابلة فانه كان على جانب كبير من الاهمية · وفى الحقيقة كنت اقابل هـذه السيـدة المجرية فى أغلب الاوقات · ولكن مالـم يكن يعلمه الرجل ـ هو أنى كنت أدبر أمر زواجى بسيدة تختلف عنها اطلاقا ـ كانت سيدة فرنسية فى الواقع » · وهنا صاح قائلا · بعد أن هـدأ خاطره : « هذا شىء عجيب » · ثم افترقنا ونحن نشعر بثقة متبادلة ، ولم أهتم بالبحث عمن كان يراقبنى فى بودابست · سواء كان ذلك من أهداف المنظمة · أو كان أمرا تقتضيه ادارة الاشراف على الأمن · أو كان نوعا من الشائعات ·

وطرت عائدا الى أوروبا · حتى اذا وصلت باريس وجـدت الانبـاء تدور حول رئيس وزراء المجر فرنيتس ناجي من حيث تورطه في حادث « المؤامرة » بينما كان يقضي أجازة في سويسرا ، واتضح أنه ـ بموافقة أعضاء الوزارة ومن بينهم راكوسي ـ طلب من السوفييت تسـليم بيلا كوفاكس الى السلطات المجرية · على اعتبار أن ذلك أخف وطأة من السجن والتعذيب وربما الاعدام على أيدى السوفييت · ورد جنرال سفريدوف بينمـا كان راكوسي نائبـا عن رئيس الوزارة أثنـاء غيـابه ـ يقول أن السوفييت لا يستطيعون تسليم كوفاكس · كما أرفق بخطابه صورة من « اعتراف » كوفاكس الذى كان يدل على أن رئيس الوزراء كان شريكا في « المؤامرة » · فاسرعت الى سالزبورج ومنها الى بودابست · ولدى وصولى علمت بأن ابن رئيس الوزراء وكان يبلغ من العمر أربع سنوات · وكان أبواه قد تركاه في المجر أثناء فترة الاجازة · قد تم تسليمه الى أبيه على الحدود بين سويسرا والنمسا بمعرفة ضابط اتصال من الشيوعيين وبشرط أن يستقيل رئيس الوزراء في مقابل ذلك وأن يبقى في المنفى باختياره ·

٤

المعــارضـــــــة

اتضحت مقاومة السوفييت والشيوعيين المجرمين ، ولم يكن هناك من يستطيع االتخلص من اتهامه « بالمؤامرة » • ولكى يتمكنوا من القضاء على أى شخص يقف فى وجههم كانوا يعلنون فى صحفهم أنه «معترف بمافعله» ولم يكن جزاء ذلك سوى السجن والتعذيب والاعدام أو — على الاقــل — الطرد من البلاد الى المنفى ، ومن المظاهر الخادعة — ولو لفتــرة مؤقتــة — التجاء الشيوعيين الى رجال من الاحزاب الاخرى ممن كانوا مضطهدين أو كانت لهم أطماع محدودة ، وذلك بقصد التمويه على أفراد الشعب • وبهذه الطريقة استبدلوا فرنيتس ناجى برئيس وزراء آخر من حزب صغار الملاك ليكون العوبة فى أيديهم • ثم اختفى رئيس البرلمان — من حزب صغــار الملاك • وهو مسيو بيلا فارجا • وكان اسمه التالى فى قائمــة التطهــير ، وعلمنا بعد بضعة أسابيع أنه فر الى النمسا • وهنا استبدله الشيوعيون بأيمرى ناجى الشيوعى • وهكذا انتقلت المعركة الآن من الوزارة والحكومة الى ابرلمان ، وكانت المعارضة لا تزال هناك •

وبعد عودتى بفترة قصيرة قابلت سام وأخبرته أننا ليس لدينا أجهزة لاسلكيــة فى الوقت الحــاضر ، وكنت لا أزال يراودنى الامل فى أن ذوى الشأن سوف تتغيروجهة نظرهم بالنسبة للموقف• ولكن بدت على ملامحه مظاهــر الاستياء وطلب منى أن اهتم بموضوع الراديو المطــلوب • كمــا أخبرنى أن أدموند بصدد أعداد مسلسلة من التقارير ليقدمها لى وتتعلق ب A. V. O ولكن بسبب خطورة الموقف • رأى أن يرسلها الى عنطريق سام • ثم تلقيت التقارير الاولى فى نفس اليوم ، وتوالت التقــارير حتى تم عددها وبلغت عدة مئات من الصفحات تحتوى على أنــواع الوحشيــة والخيانة والفساد مما كان يعتبره السوفييت من مقومات «التحرير» • وفى الحق لم أعد أشعر بالارتياح أو الثقة فى مدى نجاح مهمتى •

وفي يناير سنة ١٩٤٥ بينما كانت بودابست لا تزال تحت الحصار • أقام مركزا للشرطة السياسية هناك • رجل مجرى يدعى جابـور بيتر • وكان من عملاء السوفييت ومن جنود الجيش الاحمر • وكانت هذه الشرطة الوطنية بعد اعادة تنظيم ـ وكانت حلقة الاتصال بين بيتر والسوفييت رجلا يدعى جانوس كوفاتس وهو ضابط برتبة رائد في الجيش المجرى وفي الوقت نفسه برتبة عقيد عند السوفييت ، وكانت هذه المنظمةالجديدة تتظاهر بأن الغرض منها هو كشف الستار عن النازيين المجرمين وتقديمهم للمحاكمة • وكان الشيوعيون قد أعدوا هذا الاقتراح ووافقتعليهالاحزاب الاخرى من الجبهة المجرية • وبعد مرور شهر واحد على هذه المنظمـة قام Peter ومن معه من الرجال بالقاء القبض على رجليدعى جانوسكيسمان رئيس منظمة النازى في المجر • ووجهت اليه تهمة أبادة اليهود • (حتى خلال فترة حصار بودابست حيث لم تكن هناك وسيلة لارسالهم بطريق البحر الى المانيا لابادتهم • وأصل النازيون المجريون محاصرة اليهـود • ووضعهم في صفوف على ضفاف نهر الدانوب • ثم اعدام المئات منهم رميا بالرصاص ثم القاء جثثهم في الماء) • ثم تلقى كيسمان وعدا من الشرطة السياسية بالابقاء على حياته ونجاته من الاتهام اذا دلهم على الاماكن الخفية حيث توجد أمتعة اليهود التىسبق مصادرتها ، وعلى ذلك أرشدهمكيسمان الى ما يقرب من تسعين ألف دولار من العملة الاجنبية وألف وخمسمائة قيراط من الماس وما يزيد على عشرة آلاف من القطـع الذهبية ، فأصبحت هذه بمثابة الميزانية السرية للشرطة السياسية التى أخذت ـ خلال سنة ١٩٤٥ ـ تضيف الى هذه الاعتمادات مقادير أخـرى عن طـريق السرقة والسلب والنهب وبخاصة من صغار أصحاب المحلات التجارية • بل ولم يترددوا في ارتكاب جرائم الاغتيال ، واختفى ـ خلال هذه الفترة ـ عدد كبير من الاشخاص الابرياء ، وفي غمرة هذه الاضطرابات كان من الصعب الاستدلال على شخص ان كان قد اختفى خلال حملة الروس بقصد السلب والنهب ، أو تم ترحيله للقيام بالعمل الاجبارى • أو اعتقل لدفع الجزية للشرطة السياسية في المجر • وعلى أية حال كان تقرير أدموند يحتـوى على قائمة طويلة بأسماء أولئك الذين وقعوا في أيدى الشرطة •

وخلال سنة ١٩٤٦ كانت الشرطة السياسية تعمل جنبا الى جنب مع منظمة .M.V.D السوفييتية وفي أغلب الاحيان كان من يعتقله المجريون يتم تسليمه الى السوفييت لاستجوابه ، وبعد استجواب هـؤلاء المعتقلين تختفي آثارهم ولا يمكن الاستدلال على مقرهم ، وبدأ في سنة ١٩٤٦ أن السوفييت بتوليهم زمام الامور ـ قد حققوا نتائج على جانب من الاهمية ،

ففى سبتمبر أعيد تنظيم الشرطة السياسية بعد فصلها من الشرطةالوطنية وأطلق عليها أمن الدولة .A.V.O مع بقاء جابور بيتر مسئولا ــ من الوجهة النظرية ــ أمام وزير الداخلية ، وبطبيعة الحال كانت ادارة أمن الدولة مسئولة مباشرة أمام بعض كبار الشيوعيين المجريين ، ولكنها ــ كما كان الحال فى كل مكان فىأوروبا الشرقية ــ أصبحت جزءا لا يتجزأ من جهاز العمليات السرية تحت اشراف السوفييت • كما كانت تعد من الاجهزة المحلية التى يمكن الاعتماد عليها •

وفى الادارة الجديدة (أمن الدولة) كان التحالف يقوم على اتفاق شفوى بين كل من جاتوس جيريكس وهو نائب عن جابور بيتر فى حزب صغار الملاك ثم استيفان بيتمان وهو نائب اشتراكى ، ولم يمارس أحد هذين النائبين أية سلطة من أى نوع كان ، وكان من بين الاربعة عشر من أقسام بودابست التى أصبحت تسعة عشر فيما بعد ثلاثة فقط تحت اشراف ضباط أمن الدولة ولم تكن لهم سوى سلطة اسمية ، ومن بين السبعة عشر قسما التى تتكون منها منظمة أمن الدولة كان هناك قسم واحد فقط على رأسه نائب اشتراكى •

وكان اعداد منظمة أمن الدولة ــ بجانب تعسفها وتصرفاتها الوحشية التى كانت أولى مميزاتها ــ يعد أصدق مثال للقيام بعمليات سياسية واسعة النطاق وفى عناية واحكام ، وأمام هذا الجهاز المحكم الوضع والذى تميز بالعنف والقسوة لم يكن هناك مجال للمفاوضات الدبلوماسية والاجراءات السياسية المعتادة مما تعتمد عليه السياسة الامريكية • كما تدل دراسة مثل هذه المنظمة على استهتار شديد بالنظم الادارية • ويعد هذا النظام من وجهة نظر المختصين بالادارة من الامريكيين مختلا ومعقدا ولا يقوم على أسس سليمة • ومن الصعب اعتباره من وسائل الايضاح فى مدارس ادارة الاعمال والانظمة الحكومية • وفى الواقع • كان تصميمه بقصد تأدية مهمات خاصة ودقيقة وعلى أفضل وجه على قدر المستطاع • ولذلك كانت البعثة الامريكية توجه معظم عنايتها الى مراقبة هذه المنظمة وتصرفاتها • تلك المنظمة التى توحى « بسوء الادارة » • ولكنها ــ فى الواقع • كانت هيئة مدعمة ولها نفوذ واسع النطاق • حتى ولو لم تلجأ الى وسائل النهب والسلب والاغتيال •

وعند تكوين ادارة أمن الدولة فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ كانت تنقسم الى سبعة عشر قسما • ولكل منها مهمة خاصه تتعلق بالحياة القومية • ومن هذه الاقسام السبعة عشر كانت هناك ثلاثة فقط معروفة بصورة علنية ، وكانت مهمة هذه الاقسام تقوم على أساس مواجهة مطالب الشيوعيين وليس على أساس ما تتطلبه الحياة القومية فى المجر • ثم اتخذوا هذا الاتجاه فيما بعد ، ولا يغرب عن البال أن من وراء منظمة أمن الدولة هذه كانت هناك الامكانيات السياسية العلنية والتى تميز بهاالحزب الشيوعى الذى تدرب أفرادها على الشئون السياسية • وبطبيعة الحال • كان من وراء ذلك كله كتلة الجيش الاحمر •

وكان مهمة «القسم الاول» هى «التسلل» وبالتالى التمكن من السيطرة على الحياة السياسية فى المجر • وكان رئيس القسم يدعى ساندور هورفان وهو شيوعى تلقى تدريبه فى موسكو . وكان التسلل يتم بطريقتين لكل منهما غرض معين ــ الطريقة الاولى هى تجنيد المخبرين من جميع الاحزاب السياسية غير الشيوعية والمنظمات التابعة لها • وكانت الرشوة تستخدم وسيلة فى بعض الاحيان • وعن طريقها يمكن لاحد الصحفيين من كبار أعضاء حزب صغار الملاك من حضور جلسة واحدة فى مقر رئاسة أمن الدولة ومن ثم أخذ يقدم التقريرات اليومية التى دلت على أن الوسيلة الفعالة كانت مجرد التهديد والارهاب • وذلك باختطاف الافراد من فراشهم فى منتصف الليل ثم تساء معاملتهم ويهددون بمصير أشدسوءا • ولا يطلق سراحهم الا بعد أن يتعهدوا بالابلاغ عن كل صغيرة وكبيرة • أضف الى ذلك تهديدهم بالعقاب الحاسم السريع اذا لجأوا الى افشاء هذه الأسرار • وأخذ القوم يفعلون ما يؤمرون به • كما بدا أن الكثيرين لم يجدوا أمامهم وسيلة أخرى سوى الانتحار لمواجهة الموقف •

والطريقة الاخرى للتسلل هى التعرف على الاحزاب الاخرى والتى لها عملاء يزاولون نشاطهم ، فمن حيث الشيوعيين الذين يعملون فى الخفاء • لم تكن هناك حاجة الى وسائل الاغراء • ومن حيث « اليساريين » من حزب صغار الملاك والحزب الاشتراكى وحزب المزارعين ، سواء منهم الانتهازيون السياسيون أو ضحايا التهديد وابتزاز المال • أو ممن يقبلون الرشوة بمختلف أنواعها • كان هؤلاء يسيرون طبقا لتعليمات الشيوعيين وكوفىء زعيمان من كبارهم بمنصب رئيس الجمهورية عندما أصبحت المجر حكومة شيوعية وكان أحدهما استيفان دوبى من حزب صغار الملاك والآخر سازاكستس ، وبدأ دوبى من سنة ١٩٥٢ ثم بعد ذلك فى عهد كادار بعد سنة ١٩٥٦ •

ومن بين المسئوليات السياسية لهذا القسم أن أصبحت الانتخابات فى المجر مجالا للمنافسة بين أفراد القسم · مما كان سببا فى الكوارث التى لحقت بالمجر فى سنة ١٩٤٧ ·

وكانت مهمة القسم الثانى من منظمة أمن الدولة التسلل الى داخل البعثات الدبلوماسية فى المجر باستثناء السوفييت بطبيعة الحال · واثناء محادثتى مع مارك ذات يوم أبديت له ملاحظة عن موظفة الاستقبال فى المفوضية الامريكية وكانت تبدو عليها مظاهر الضيق والارهاق ، فقال · « فى كل ليلة يستدعونها بعد منتصف الليل ويواصلون استجوابها حتى الصباح ، وقد انهكها التعب من الذعر وعدم النوم وقتا كافيا · وهم لن يسمحوا لها بترك منصبها هنا · وبالنسبة لنا فان خروجها من المفوضية قد يؤدى الى الاشتباه فى أمرها » ·

وكان القسم الثالث هدفه الكنائس التى كان من بين أوجه نشاطها التقليدية تشجيع وتوجيه منظمات الشباب من الكاثوليك والبروستانت، وكانت هذه المنظمات ــ من الناحية الاجتماعية على جانب كبير من الاهمية ، كما كانت عقبة فى سبيل الشيوعيين الذين كانت أهدافهم ترمى الى اضعاف نفوذ الكنيسة وفرض سلطانهم على الشباب · وفى صيف سنة ١٩٤٦ كان جنديان من الروس يقتتلان فأطلق كل منهما النار على الآخر فى أحد شوارع بودابست الرئيسية مما أدى الى قتلهما ، وفى مدى أربعة وعشرين ساعة كانت منظمة أمن الدولة ، التى كانت لاتزال تعرف بالشرطة السياسية ــ قد اختلقت قصة تدور حول أحد الشبان باعتباره أنه أطلق النار من نافذة عليا بالقرب من مكان الحادث · وحينئذ اعتقل الشاب واختفى أثره ، وطبقا لما قرره ادموند فقد احرقت جثته ، وقبل وفاته ــ بطبيعة الحال ــ أرغم على ذكر اسم قسيس كاثوليكى يدعى الاب زلازكيس وعلى ذلك قتل القسيس فى مقر رئاسة أمن الدولة ، ثم اعتقل جميع الشبان الكاثوليك الذين كانوا على صلة به واختفت آثارهم · (من بين هؤلاء كان أحد موظفى حزب صغار الملاك ليكون سببا فى توريط حزب صغار الملاك) · وكانت النتيجة أن أمر وزير الداخلية بفرض الحظر على المنظمات الدينية ثم أمر بحلها · وأدخلت هذه المنظمات تحت اشراف القسم الرابع المسئول عن الشباب ·

كذلك أخذ القسم الثالث يتابع تسلله الى الكنائس حيث حقق بعض النجاح في الكنيسة الكاثوليكية بسبب الخلافات التي كانت قائمة في داخل الكنيسة ذاتها • ولم يكن كاردينال مندزيني من رجال السياسة بالرغم من مواهبه وكفاءته باعتباره من رجال الدين وبالرغم من اهتمامه بالسياسة ، وكانت نتيجة تزمته الفشل في سنة ١٩٤٥ في تكوين الحزب الكاثوليكي التابع للكنيسة • ثم عقدت اتفاقية مؤقتة تنص على تأييد الكنيسة لحزب صغار الملاك الذي يمثل مصالحها فيالبرلمان ، وعندما بدأ الحزب في الاضمحلال ثار الجدال بين السياسيين الكاثوليك وفي الكنيسة مرة أخرى، ثم ظهرت مجموعة من الجزويت وكونوا جبهة لمعارضة الكاردينال من الوجهة السياسية وأعدوا لأنفسهم برنامجا سياسيا خاصا بهم • فانتهز السم الثالث فرصة هذا الانقسام وحصل على ميثاق بتكوين منظمة للشبان الكاثوليك على أن تكون المنظمة تابعة للجزويت • وبدأ القسم يعمل على التسلل بين أفرادهم •

وكان القسم الخامس هو القسم الوحيد الذي يرأسه أحدالاشتراكيين• وكانت مهمته التسلل الى دوائر وأجه نشاط الآستقراطيين السابقين وضباط الجيش والسياسيين •

وكان القسم السادس يستخدم نفس الوسائل التي يتبعها القسم الاول وكانت مهمته تطبيقها في الحكومة وفي جميع أجهزة الدولة ، وكانت اجراءات هذا القسم فريدة في نوعها • إذ كان الموظف الصغير في مركز رياسة الوزراء يفضل الانتحار على أن يعمل مخبرا ، ودليل آخر هو اعادة تنظيم وزارة الدفاع لتكون تحت مباشرة الشيوعيين حتى في وجود وزير الدفاع وهو من حزب صغار الملاك ، وفي سنة ١٩٤٦ أجريت تخفيضات واسعة النطاق في الخدمة المدنية لاسباب اقتصادية ، وكان الموظفون الذين تم الاستغناء عنهم يعتبرون من الدرجة ١١ « ب » • وعلى ذلك أصبحت الاجراءات كلها تعرف بقائمة ب ، وكان لاعداد هذه القائمة أهمية سياسية كبيرة بالنسبة للاحزاب ، ففي كل وزارة كانت هناك لجنة تتولى باعداد القائمة المذكورة ، وتتكون اللجنة من مندوب من رئاسة الوزارة • وآخر يمثل الوزير المختص ، ثم مندوب من نقابات العمال يمثل مجلس ادارة النقابة العامة ولا علاقة له بالنقابات الاخرى الفردية • وكان هذا المندوب أما شيوعيا أو اشتراكيا ينتمي للشيوعية • وفي وزارة الدفاع كان هناك مندوب لرئيس الوزاراء من حزب صغار الملاك • وكان ينتدب أحد مساعديه منالموثوق بهم يدعى كولونيل داركوتسي

للعمل مع وزير الدفاع وبذلك تصبح له الاغلبية ضد نقابات العمال ـ وما لبث القسم السادس أن اتصل بهذا الكولونيل ليعمل على تأييد الشيوعيين حتى تتحول وزارة الدفاع وتصبح اداة طيعة فى أيديهم ، كذلك حقق القسم السادس نجاحا ملحوظا مع جوزيف بوجنار السكرتير السابق لحزب صغار الملاك فى بودابست • وبينما كان الرجل يعمل وزيرا للاستعلامات اعتقله القسم السادس سرا بعد أن اعتقل السوفييت بيلا كوفاتس بفترة قصيرة • ثم أطلق سراحه بعد بضع ساعات • على أن يعود الى الوزارة ولكن ـ فى الوقت نفسه ـ يصبح من أكبر مخبرى القسم السادس •

وكان القسم السابع يرأسه جيولا برنز النازى السابق من مواطنى المجر • وكانت مهمته المراقبة والاختطاف • وسبق أن كانت المراقبة من وظائف الاقسام الاخرى التابعة لادارة أمن الدولة ، وكان الروس يقومون بمهمة الاختطاف فى أغلب الاحيان لكى يخفوا تدخل السوفييت لتحقيق مصالحهم ، وذلك كما حدث فى موضوع لارفو فيلكس ـ عضو البرلمان من حزب صغار الملاك ـ حيث تم اختطافه وتسليمه للسوفييت • ولم يعرف مقره حتى الآن •

وكان القسم الثانى يعد نوعا من أوجه النشاط العلنية لمنظمة أمن الدولة ، وكانت مهمته ـ فى الظاهر ـ اقتفاء آثار من تبقى من النازيين المجرمين • ولكن ـ فى الواقع ـ كان ذلك ستار لأوجه النشاط الاخرى التى تؤديها المنظمة •

وكانت مهمة القسم التاسع العمل على اعداد وتنظيم ملفات لجميع السكان لاستخدامها فيما بعد كلما لزم الامر ، فقد كان من وجهة نظر السوفييت • ونتيجة لتجاربهم ـ أن أية معلومات عن أى فرد ـ مهما كان مركزه • يمكن الانتفاع بها ، وتضخم نظام حفظ الملفات حتى أصبح أضخم نظام فى التاريخ • وكان القسم التاسع فى المجر يعد فرعا من نظام السوفييت • كما حقق هذا الفرع نتائج بالغة الاهمية • كان هناك احد كبار الموظفين يشغل منصبا قد يكون عقبة فى سبيل الشيوعيين• واتضح للقسم التاسع ـ من الملفات ـ أنه لم يكن يميل للشيوعية فى مقتبل شبابه كانت النتيجة أن تزال هذه العقبة من طريقهم ، صرح جون ماك كروماك المراسل السابق لجريدة نيويورك تايمز ـ وكان موجودا فى بودابست خلال ثورة سنة ١٩٥٦ ـ بأن من بين الاخطاء الجسيمة التى ارتكبتها الثوار

فشل أحد رجالها من ذوى السلطة فى اتلاف ملفات ادارة الامن والقضاء عليها تماما • بينما كان الشعب الثائر يفتك بكل رجل من ادارة الأمن وهو يرتدى ملابسه الرسمية ، وتبين لعلماء النفس توافر حصيلة من الشعور بالميل لارتكاب الجرائم فى نفوس المراهقين مهما كان هذا الشعور فى دائرة العقل الباطن • وكان الشيوعيون يدركون ذلك أيضا ، وكانوا دائما يسعون لمعرفة ما يدفع الانسان لارتكاب الخطأ • والى أى مدى يؤدى هذا الشعور •

كذلك كانت مهمة القسم التاسع اعداد بطاقات شخصية مزيفة لكى يستخدمها العملاء كلما احتاج الامر • ثم تزوير ما يتبع ذلك من المستندات • أضف الى ذلك استخدام الميكروفون واللاسلكى • وعلمت من مارك فيما بعد • أنه كان من نتيجة تفتيش مكتبه الصغير فى المفوضية الامريكية أن عثرت السلطات على ثمانية من أجهزة الميكروفون مثبتة فى السقف وعلى الجدران • بينما كانت هذه التركيبات فى كل مكان ولم تكن مقصورة على الاجانب وحدهم • **ومما يدعو الى السخرية فى هذا الموقف أن كل هذه المعدات كانت تصنع فى المجر بأيدى عمال من الشيوعيين فى المصنع المحلى التابع للاتحاد الدولى للتليفون والتلغراف ، وهو نفس الشركة الأمريكية التى أشادت بها مجلة « فورشن » الامريكية على أنها شركة مثالية قبل الحرب وأنموذجا للاستثمار الامريكى والأعمال الأمريكية فى الخارج •**

وكان القسم العاشر مجموعة أخرى تباشر نشاطها علنا • وكانت مهمته حفظ المستندات الرسمية • واصدار البطاقات الشخصية • ثم الاحتفاظ بالملفات الشخصية القانونية للافراد • مما يميزها عن الملفات السرية فى القسم التاسع •

وكان القسم الحادى عشر تابعا للقسم الثامن • وكان يتظاهر بأن مهمته هى تأييد اتهام النازيين السابقين أمام المحاكم • كذلك كانت مهمته تتعلق بأجزاء خاصة من سجن التحفظ ، مما كان يعد ستارا لمنظمة الأمن الدولى لمواصلة اشرافها على السجناء الذين نقلوا من المعتقل التابع لها الى السجون بصورة قانونية • ومن بين مهمات هذا القسم مسئوليته عن اعداد وتنظيم ساحات المحاكمات •

ولم يكن القسم الثانى عشر سوى ادارة امدادات تابعة لمنظمة الامن . وبالاضافة الى مهمة التموين كان القسم مسئولا عن صرف الاعتمادات السرية والعمل على زيادتها بكل وسيلة ممكنة . ثم اعداد المساكن والاثاث والملابس والسيارات وكل ألوان الترف لكبار موظفى أمن الدولة . والمعلومات التى يحصل عليها هذا القسم تستخدمها المنظمة فيما بعد ضد موظفيها أنفسهم اذا اقتضى الحال تصفيتهم طبقا للاوضاع السياسية .

كذلك كان القسم الثالث عشر يعمل بصورة علنية . اذ كان يضم ادارة الجوازات فى المجر . ومنذ ربيع سنة ١٩٤٧ كان يرأسه ضابط روسى يدعى انتال ويللر كما كانت مهمة القسم اصدار مستندات لتغطية أوجه نشاط الاقسام الاخرى .

وكان القسم الرابع عشر يضم ادارة المستخدمين التابعه لمنظمة أمن الدولة . وكان مسئولا عن مراقبة هؤلاء المستخدمين واستتباب أواصر الأمن . وكانت اجراءاته عادة فى منتهى القسوة . وقد أكد لى أدموند قصة الملازم أول مهالى كوفاكس التابع لمنظمة أمن الدولة والذى كان مساعدا لرئيس القسم الاول هورواث ثم اتضح أنه كان يعمل لصالح البريطانيين . فاعتقل هو وزوجته حيث تعرضا لألوان التعذيب فى أقبية مقر رئاسة أمن الدولة رقم ٦٠ شارع أندرساى . وأخيرا تم اعدامه أمام زوجته وبعد ذلك أعدمت هذه المرأة التعيسة .

وكانت مهمة القسم الخامس عشر تنحصر فى مراقبة كبار موظفى الدولة . وكان أفراد القسم يتظاهرون بأنهم من فرقة « الحرس » التابعة للشرطة الوطنية .

وكان القسم السادس عشر يشمل فروع منظمه أمن الدولة فى مختلف أحياء بودابست ، وكانت لهذه الفروع فى أول الامر سلطة الاعتقال ، ولكن منذ سنة ١٩٤٦ تخلت عن هذه السلطة وأصبحت ــ بدلا من ذلك ــ عيون مقر الرئاسة التى ترى بها وآذانها التى تسمع بها . وكانت مسئولية هذه الفروع تقتصر على تكوين شبكات المخبرين . وطبقا للمعلومات التى يأتى بها المخبرين كان عليها اعداد القوائم السوداء بأسماء المعادين للشيوعية و « العناصر الخطيرة أو المعادية » . وكانت هذه المكاتب مثالية فى مناهجها . اذ كانت تختار فئة ممتازة من المخبرين الذين فى استطاعتهم تكوين شبكات أخرى أوسع نطاقا . وبهذه الطريقة كان هناك فى سنة ١٩٤٧ ألف وخمسمائة من المخبرين فى بودابست وينتشرون فى المناطق الصناعية فى جزيرة كاسيل وحدها .

وكان القسم الاول حرف (أ) يؤدى نفس المهمة فى بقية المجر كما كان يفعل القسم السادس عشر فى بودابست • حتى اذا جاء خريف سنة ١٩٤٧ كان فى جميع أنحاء البلاد ما يقرب من سبعين الى ثمانين ألفا من المخبرين من بين تسعة ملايين من السكان •

وهكذا كانت هذه هى « المعارضة » التى كان قوامها تلك الجهود الجبارة وهذه الجموع الغفيرة التى انضمت الى منظمة أمن الدولة وأثبتت أنها أكثر من أن تكون ستارا يخفى وراءه نفوذ السوفييت ، وكان ما تم بناؤه سياجا هائلا من الدفاع • حتى اذا نصت معاهدة الصلح أو أية مفاوضات دبلوماسية أخرى مع الغرب على ارغام السوفييت على التراجع من المجر كانت الامة لا تزال بين أيدى الشيوعيين ومرتبطة مع موسكو وذلك بفضل منظمة أمن الدولة •

وعلى أثر استقالة فرانس ناجى التى أرغم عليها • أسرع الشيوعيون جاهدين لتحطيم أى معارضة تقوم فى وجههم ' وذات مساء فى شهر يونية جاء ليو لزيارتى ، وكان يعلم بأنه عرضة للاعتقال بسبب الدور الذى قام به لحث اللجنة البرلمانية على التحقيق فى حادث « المؤامرة » • وعلى ذلك قرر الهرب مع زوجته وطفليه • مما جعلنى أشعر بقلق شديد من ناحية هذه المخاطرة • ولكنه أكد لى أنه على خطة محكمة للهروب • ولم أكن مطمئنا لهذه الخطة فقلت له أننى فى انتظار الاوامر لتدبير عملية ناجحة لتحقيق الغرض المطلوب • فقال : « لا • أشكرك على عواطفك • اذ أن الهروب الآن أمر يسير مع شىء من الحذق والعناية ، ولكن فى بضعة أسابيع أو فى مدى شهر أو شهرين على الاكثر • يصبح الهروب أمرا عسيرا • وسوف يتبين لك أنه لا بد أن أذهب الآن • حيث يتاح لنا ذلك » ثم ترك لى أوراقه السياسية واتفقت معه على أن ارسلها اليه عند ما أعرف مقره واسمه المستعار • وبعد أربعة أسابيع جاءتنى منه رسالة بها عنوانه فى باريس • فأرسلت له أوراقه على هذا العنوان • ولكنى كنت أشعر بالخجل اذ لم أستطع أن أقدم له مساعدتى على قدر من الاهمية •

وبعد أن رحل ليو بفترة قصيرة فوجىء مارك ــ فى ذات يوم ــ بزيارة أحد أعضاء البرلمان فى مكتبه ، وكان هذا العضو قد رفعت عنه الحصانة البرلمانية فجأة ولجأ الى المفوضية الامريكية خوفا من منظمة أمن الدولة وعلمت من مارك أن الرجل كان على وشك أن يصاب بالهستريا ، ولكن

مارك لم يجد بدا من رفض طلبه طبقا للتعليمات ـ وأمره بمغادرة المفوضية ثم نصحه ـ بناء على مشورتى ـ بالالتجاء الى الرهبان الدومنيكان على أن يتجنب الجوزويت جهد المستطاع ، (وهذا موقف عكسى ساد خلال فترة الاحتلال الألمانى عندما كان الجزويت يعملون على انقاذ أولئك المعرضين للاخطار • وكان الرهبان الدومنيكان يرفضون تقديم المساعدة فى أغلب الاحيان (، وغادر عضو البرلمان ولكن الى غير رجعة ، وكان مارك يشعر بحزن عميق بسبب هذا الحادث) •

وما زلت أذكر ـ بعد مضى عشر سنوات ـ ما كنت أشعر به من الضيق والمرارة • وأنا الاحظ ما كان يبذله أحد زملائى فى فينا من الجهد لكى يتغلب على عواطفه وهو ينفذ ما لديه من الاوامر التى تقضى برفض التماسات وفود المجر القادمة من بودابست والتى تطالب بالاسلحة والذخائر لمقاتلة الروس •

وكان النائب الذى رفضت المفوضية أن يلجأ اليها عضوا فى حزب الحرية وهو جبهة للمعارضة يرأسها ديتسو سوليوك ، وفى أواخر سنة ١٩٤٦ • وبداية عهد رئيس الوزراء ناجى ـ تلقت هذه الجبهة تفويضا من السوفييت بالاشتراك فى النشاط السياسى ، وكانت وجهة نظر رئيس الوزراء ترمى الى ضرورة وجود جبهة للمعارضة فى البرلمان • وربما كان يقصد بذلك تخفيف وطأة الشيوعيين على حزب صغار الملاك ولكنه لم يحقق نجاحا يذكر ـ واشتد أزر حزب الحرية عند ما بدأ حزب صغار الملاك فى الانحلال ، ثم أخذ الحزب يحاول اصدار صحيفة باسمه • ولكن امتناع أصحاب المطابع عن نشرها كان حائلا دون ذلك فى آخر لحظة • (وقد علمت من سام كيف تم ذلك ودور مجلس نقابة العمال ، اذ أصدر المجلس أمره الى أصحاب المطابع ولكنهم رفضوا بالرغم من عطفهم على الصحيفة ، كذلك تلقوا تهديدا بطردهم من النقابة • وبالتالى ضياع مواردهم • وتلك كانت حقيقة الامر) • وكان الشيوعيون يبذلون جهدهم ـ عن طريق البرلمان ـ لاصدار قانون لاجراء انتخابات جديدة • ولما كان حزب صغار الملاك قد أخذ يضمحل • بدت هناك معارضة قوية لهذا القانون من ناحية حزب الحرية • وأصبح نواب هذا الحزب يواجهون متاعب مستمرة • وبعد

زيارة ذلك النائب لمارك فى مكتبه ببضعة أيام أذاع سوليوك حل الحزب الذى ينتمى اليه • ثم علمت من أدموند أن منظمة أمن الدولة قد أبلغت سوليوك أنه عند حل البرلمان لاجراء انتخابات جديدة يصبح رجاله من أعضاء البرلمان عرضة للاعتقال بعد أن فقدوا الحصانة البرلمانية • فاختار الرجل ألا يصبح رجاله عرضة للخطر ولذلك سلم بالامر الواقع • ثم غادر البلاد بعد فترة قصيرة •

وأصبحت خطتنا تتغير فى سيرها • فلم يكن لنا دور سياسى فعال فى مثل هذه الظروف ، كما لم يصلنى رد على اقتراحى من حيث اعداد خطة للهرب ، وبينما كان الارهاب يسود انحاء البلاد مما جعل القوم يلوذون بالصمت • كانت لا تزال هناك بقية من السياسيين والزعماء ممن عقدوا العزم على مكافحة الشيوعيين خلال فترة الانتخابات القادمة ، وعلى الاقل كان لبعض هؤلاء الزعماء الحق فى مساعدتنا لهم • وكنت ـ منذ عودتى ـ أقوم بزيارة فينا من وقت لآخر • فقررت مقابلة بيتر هناك • وكنت دائما استخدم السيارة فى هذه الرحلات لكى أتعرف على مختلف الطرق الزراعية • كذلك كنت أحرص على أن يكون معى دائما جواز مرور صادر من السلطات السوفييتية ـ وهو الجواز الذى يعتبر تصريحا دائما Eternal Propusk • وبدونه لا يمكن اجتياز الطرق التى تقف فيها وحدات الجيش الاحمر بين بودابست وفينا •

وكانت فينا لا يزال يسودها جو من الوجوم والقلق • وكانتمشاعرى قد تغيرت بشكل ملحوظ وأصبحت على النقيض مما كنت أشعر به من الارتياح لوجودى فى بودابست منذ سنة مضت ، ولدى وصولى فى القطاعات الغربية لمست هناك مظاهر الامان والاستقرار ، وكان اجتماعى مع بيتر فى مكتب خال من الميكروفونات السرية والتى تلتقط الاحاديث • وأخبرته كيف كان الموقف يتدهور بسرعة فى بودابست وأكدت له مدى شعورى بالخجل لعجزى عن تقديم مساعدة حقيقية لزميلنا ليو كذلك طلبت من بيتر أن يسعى لدى ولاة الامور فى وشنجطن لمنحى السلطة التىطلبتها لاعداد وسائل الهروب • ثم اصدار قرار سياسى أعتمد عليه للقيام ببعض نشاط خلال الحملة الانتخابية • وشرت الى أنها قد تسفر عن هزيمة الشيوعيين ومن ثم يضعف ادعاؤهم بأنهم يتقلدون الامور بصورة قانونية وعلى قاعدة شعبية ، وكان اعتقادى أن مثل هذه الهزيمة قد تضعف من نشاط الشيوعيين ومقاصدهم • وعلى أسوأ الفروض فهى لا تزال توضح أمام العالم تلك الوسائل التى اتخذها الشيوعيون لبسط نفوذهم على

المجر ، وتلك نقطة سياسية هامة في السنين المقبلة إذا اهتممنا باثارتها في الوقت الحاضر ، ومن هذه المناقشات اتضح لى أن بيتر يقتنع تماما بما ذكرته له من وجهة نظرى من حيث الموقف ، وبعد ذلك أخذنا نتبادل الحديث بقصد الترفية عن أنفسنا وما نلاقيه من تزمت الرؤساء وبطء اجراءاتهم وقصر نظرهم ٠

وكان لهذا الحديث أثر فى نفسى مما شجعنى على أن أطلب من بيتر سلطة مؤقتة لاعداد بعض ثغرات للهروب ريثما تصلناالاوامرمنوشنجطن، فأصر على أن أدله على أشخاص معينين ٠ وهنا سألته عن عشرة من الزعماء السياسيين النازيين وخمسة عشر آخرين ليصبحوا من أفراد الشبكة ٠ فوافق بيتر على ذلك ٠وأخيرا أشرت الى أنه اذا فرض أنى تمكنت من اعداد منافذ للهروب عبر حدود المجر فأنى لن أستطيع أن أفعل شيئافىبودابست لكي يعبروا الاربعين ميلا فى أمان من الحدود الى فينا ، أو خلال المائة والخمسة والعشرين ميلا من فينا الى المنطقة الامريكية فى النمسا ، ثمطلبت مساعدة أخرى من زميلى فى فينا ٠ ووافق بيتر على ذلك أيضا ٠ وقد منى الى عميلنا هناك الذى كان يباشر مهمته تحت ستار أنه ضابط بالجيش برتبة الكولونيل ٠ فأبدى الرجل استعداده لمساعدتى ولو أنه ـ فى الوقت نفسه ـ أوضح لى أنه يعانى مشكلة من نوع خص ٠

واتضح أن مشكلة الكولونيل تتعلق بالانفراد بالسلطة (البيروقراطية) التى كانت سائدة فى تلك الايام ٠ فقد كان فى استطاعته مساعدة الهاربين من حدود النمسا الى فينا ٠ ولكن من فينا الى المنطقة الامريكية فقد كانت التسهيلات فى أيدى (مجموعة المخابرات المركزية) C.I.G. وهى الجماعة التى خلفت ادارة الخدمات الاستراتيجية O.S.S. والسابقة لمنظمة وكالة المخابرات العامة C.I.A. ، وكان تقسيم العملية بهذه الصورة لابد أن يؤدى الى المخاطرة بكشف الستار أمام مندوب المخابرات المركزية C.I.G. عن فرع مخابراتنا فى النمسا وعن شخصية الكولونيل ، فدهشت لهذا المثال السيء للمنافسة فى وقت الحرب ومحاولة الانفراد بالسلطة فى مثل هذه الظروف ، وكان كل من بيتر والكولونيل متمسكا بموقفهلايحيد عنه ٠ ولكن لم يكن أحد منهما يعترض على اتصالى برجل المخابرات المركزية ـ هوج ـ على شرط أن اتخذ ستارا لى فى معاملتى معه ٠ ولاأصرح أمامه باسم أى فرد من أفراد الشبكة ، وبالاختصار أن أتظاهر أمامه بأنى أحد موظفى الحكومة وأرغب فىمساعدة بعض القوم وانقاذهم من الخطر، وان

هذه تعد عملية خاصة وسرية للغاية ، **وقبلت تنفيذ هذه الاجراءات التى ذكرتنى بالتجاء الالمان الى اللف والدوران بدلا من السير على خط مستقيم مما يؤدى الى عرقلة سير العمل • كما كانت هذه العملية أقـرب شيء الى ذلك النزاع البيروقراطى والعقبات المصطنعة التى تختلف عما سبق ذكره فى كتابى « الجاسوس ورؤساؤه » حول العمليات السرية ، والتى أدت الى تكوين** C.I.A. **لتخفيف الاجراءات وتسهيلها •**

ثم قررت أن أرجيء اجتماعى مع هوج حتى تصبح لدى فكرة واضحة عن الموضوع وعلى ذلك عدت الى بودابست • وكانت عودتى هذه توحى بحسن الطابع • اذ بعد مضى أسبوع تسلمت من مارك قصاصة من الورق عليها اسم ورقم أحد الاشخاص • وقال أنه تسلمهـا من رجـل يدعى جوموس موجوروس جاء لزيارته فى مكتبه وأعطاه هذه الورقة الباليـة ، ثم أوضح له أنه كان يعمل طيارا وأنه هو الذى نقل أعضـاء المفاوضـة المجريين سرا ومعهم الكولونيل البريطانى الى ايطاليا سنة ١٩٤٤ • وأن أحد ضباط المخابرات .O.S.S – واسمه ورقمه موضحان بالورقـة – أخبره أنه يستطيع أن يستخدم هذه الورقة لدى أقرب هيئة دبلوماسية أمريكية اذا كان يخشى خطرا أو كان فى حاجة الى مساعدة • ثم أضـاف موجوروس يقول أنه الآن مهدد بالخطر ومعرض للاعتقال • وأنه فى حاجة الى معونة مالية لتدبير هروبه من البلاد فوعدت مارك بأنى سأبحث هـذا الموضوع • وعند ما التقيت بهنرى أكد لى أن هناك طيارا بهـذا الاسـم جوموس موجوروس وهو معروف بشجاعته ، ولكن ذلك لا يثبت – بطبيعة الحال – أن الرجل الذى رآه مارك هو نفس موجوروس •

وكانت هذه فرصة أتاحت لى مقابلة هوج • فسافرت الى فينا لزيارته فى مكتبه حيث تبين لى أنه على قدر من الذكاء والشجاعة • وعلى استعداد تام للتعاون ودراسة أى مشكلة • ثم بدأ فى فحص قصـة موجوروس • حتى اذا تأكد أنها قصة حقيقية أعطانى المبلغ المطلوب وطلب منى أن أقوم بمهمة خاصة لصالح الجميع •

فقد كانت البحرية الامريكية فى حاجة الى ستة من علمـاء المجـر ، وكانت – منذ عدة أشهر – قد أبرمت معهم عقودا سرية بواسطـة أحـد ضباط البحرية عند زيارته للمجر • وكانت البحرية فى حيرة من أمرها حول طريقة ترحيل هؤلاء العلماء وعائلاتهـم التى تتـكون من اثنى عشر

شخصا . وكانوا جميعا فى حاجة للمال وتمهيد الطرق لسفرهم ، فهل كان الامر يقتضي أن أمدهم بخمسة آلاف دولار ثم أساعدهم في تدبير رحيلهم ؟ وكان يساورني الشك فى أن هوج كان يريد تجربتي بانتدابى لهذه المهمة . ولكنى تخيرت أن أعتبر ذلك مثلا صادقا على التعاون فى انجاز هذه المهمة . اذ كان لدى من المال ما يكفى لتحقيق الغرض كماكنت أعرف أسماء عملاء فى ثلاث مدن على الحدود النمساوية ، وفى استطاعتهم تمهيد السبيل للهروب الى فينا ، كذلك كان لدى عنوان فى القطاع الامريكى هناك حيث يستطيعون الاقامة حتى يتم نقلهم بطريق الجو . وكان هوج رقيق الشعور رقيق الاحساس ولكنه اتخذ سبيلا غير عادى فيما بعد . فلبضع سنوات كان يقوم بأعمال جليلة فى ميدان العمليات السرية . ولكنه فجأة ــ بينما كان لا يعدو الاربعين من عمره ــ ضاق ذرعا بدنيا السياسة والنفوذ . وتخلى عن مضيه الذى قضاه فى التستر والغموض . فقضى سنة كراهب فى أحد الأديرة . ومن ثم انتقل الى ايطاليا حيث أقام فى قرية صغيرة بالقرب من شاطىء البحر وتفرغ لصناعة الخزف . وهذا الاتجاه معروف بين رجال المخابرات بعد قضاء بضع سنوات تحت ضغط العمليات السرية وتلك الاجراءات العنيفة لمجابهة الاخطار . ولكن عددا قليلا منهم اتجهوا هذا السبيل الذى اتخذه هوج . وعلى أية حال . كنت أزوره من وقت لآخر وأعتز بصداقته من بين الصداقات الكثيرة التى كانت تجمع بيننا فى مثل هذه المهمة الخطيرة) .

واتضح أن موجوروس وما أخذهمن المال كان درسا لنا للتحلى بالصبر على ملاقاة المواقف الحرجة . فقد اختفى الرجل بعد أن تسلم من مارك ما يلزمه من النقود . ولم نسمع عنه أو نعرف له مقرا بعد ذلك . حتى اذا مضت ستة أشهر اعتذرت لهوج عما لحقه من الخسارة المادية . ولكنه صرف عنها النظر على اعتبار أن ذلك من مستلزمات هذا النوع من العمل ، وبعد خمس سنوات ظهرت فجأة فوق مطار ميونخ طائرة ركاب مجرية تطلب السماح لها بالنزول على أرض المطار . حتى اذا هبطت تبين أنها كانت تحمل أربعة عشر من الركاب يطلبون الالتجاء السياسى فى الغرب . وكان جوموس موجوروس من بين الركاب حيث تبين أنه استولى على الطائرة بمساعدة طيار آخر بينما كانت فى طريقها الى براغ وطارا بها الى ميونخ ، ولما سئل عن سبب اختفائه لمدة خمس سنوات قال أنه كان تحت مراقبة شديدة . وأوضح قائلا : « وكان لا بد لى من تدبيرالامر واعادة النظر فى الخطة التى رسمتها . واستدعى ذلك وقتا أطول مماكنت أتوقع » وكان حديثه يوحى بالثقة فى أمره وأنه كان يعمل جاهدا لتحقيق غرضه .

وكان الهدف الذى كنت أسعى لتحقيقه يبدو بعيدا عن متناول يدى . فلم يكن أحد من أفراد الشبكة يستطيع أن يشترك فى عملية التهريب فى نطاق من الامان طبقا لما كان يدور فى ذهنى ، وكانت مهماتهم تقضي الارتباط بمدينة بودابست دون غيرها . أضف الى ذلك عجزهم عن تدبير وسائل الانتقال ، ولجأت إلى أدموند لمشاورته فى الامر . فقال أن الهروب عن طريق ادارة أمن الدولة ذاتها يحتاج الى مهارة خاصة لاشباع رغبة أى عميل منهم ، ولكنى فضلت أن أرفض هذا الاتجاه لما ينطوى عليه من الخطورة والاشتباه فى أنه وسيلة للوقوف على أسرار المنظمة ، كذلك علمت من كل من لويس وأوجين أن هناك حالات حيث كان الروس أنفسهم يعملون على تهريب الافراد . وكان ذلك ـ بطبيعة الحال ـ سبيلا للحصول على المال ـ وكانت المبالغ المطلوبة تزداد قيمتها من وقت لآخر ـ وهؤلاء الروس كانوا ممن يتعاملون فى السوق السوداء ، كما كانوا يخشون دائما أن تظهر حقيقتهم أمام زملائهم من الجنود . أو يفشى أسرارهم منافسون لهم من الانتهازيين أمثالهم ، وزيادة على ذلك كان هؤلاء الروس يشعرون بالارتياح لابتزاز المال من « الرأسماليين » . ومن ناحية أخرى كانوا يخشون التورط فى تهريب الزعماء السياسيين ممن كان الروس يطاردونهم .

وكانت هناك شبكة للتهريب تعمل عن طريق بودابست وتشجعها قيادة السوفييت العليا وان كان ذلك على غير رغبتها ، وتلك كانت الجمعيات السرية اليهودية والتى تقيم فى رومانيا . وتباشر نشاطها فى المجر ثم ـ بالتبادل ـ عن طريق النمسا ويوجوسلافيا الى ايطاليا . ومنها ينقل المهاجرون بطريق البحر الى فلسطين ، وكانت هذه العمليات تلقى تشجيعا من السوفييت ولكن من وراء ستار . اذ كانت تساهم فى مضايقة البريطانيين ونشر مظاهر القلق فى الشرق الاوسط بصورة عامة . وفى المجر كانت هذه العملية تتم بمعرفة لجنة التوزيع المشتركة الامريكية وهى المنظمة الامريكية لليهود . وكانت مهمتها الدعاية ليهود أوروبا ممن بقوا على قيد الحياة بعد مذبحة الالمان . كما كانت جهود هذه المنظمة تفى بالغرض المطلوب . فقد كانت تعمل على تهريب خمسة وسبعين شخصا فى اليوم عن طريق بودابست . وترفض طلبات الهاربين من غير اليهود ،

وبالاضافة الى ذلك • كنت قد حصلت من سيمون من قبل على عدة بيانات من الحسابات الشهرية لهذه المنظمة الامريكية التى كانت تقدم مساعدات كبيرة للحزب الشيوعى فى كثير من أحياء بودابست ، وكنت أشعر بالعطف على هذه الجهود وأعجب بهذا النوع من الاخلاص فى العمل بالرغم من أن ذلك لم يدع لى فرصة لتحقيق غرضى • وحتى اذا تمكنت من اغراء هذه المنظمة على مساعدة بعض الافراد من غير اليهود ـ وهو أمر يكاد يكون متعذرا ـ لم يكن من المحتمل أن يخاطروا بأنفسهم من أجل تحدى السوفييت وأهداف الشيوعيين السياسية • والتعاون المستتر بين السوفييت والسلطات الشيوعية • كل ذلك كان معناه التعرض لمجازفات كبرى اذا حاولت المنظمة تهريب بعض أفراد من غير اليهود •

وبينما كنت أفكر فى هذه المشاكل أخذت أجمع عددا من صناديق الشحن التى كنت أحصل عليها من البعثة العسكرية الامريكية • ثم أضعها فى جراج غير مستعمل فى أسفل المبنى • وكذلك جمعت عددا من الاغطية التى تستعمل فى شحنات السفن العابرة فيما وراء البحار ، ولم تكن تروق فى نظرى فكرة شحن الافراد فى صناديق تحملها سيارات النقل التابعة للجيش الامريكى والتى كانت تسير بانتظام بين بودابست وفينا وهى تنقل الامدادات والمؤن • ولكنى رأيت أن الطوارىء قد تدعو لمثل هذه الاجراءات • مع أنى كنت أرتاب فى صحة هذا الاعتقاد •

وفى أوائل شهر يولية توجهت لتناول العشاء مع جوى فى مسكنه • ولم أكن قد قطعت صلتى به منذ أن قدم لى ذلك العرض لكى أصبح من الاغنياء ، وكنت أستمتع بصحبته وبذكائه وفطنته • ولكنى كنت دائما التزم جانب الحذر أثناء وجودى معه ، وفى تلك الليلة تناولنا العشاء فى شرفة مسكنه التى كانت تطل على ميدان تحيط به الاشجار على جانبيه • وكان منظر القوم وهم يسيرون فى الميدان • ونسمات الصيف • وما كان يصل الى أسماعنا من أحاديث القوم • كان كل ذلك يخفى حقيقة الجهاد والالام التى كانت تميز هذه الفترة من الزمن • ولاحظت ـ لأول مرة ـ أن جوى كان يتحدث كثيرا عن نفسه ، وبجانب اعتزازه بمقدرته فى بعض الاحيان • فقد بدا لى أنه تخلى عن كثير من مظاهر المكر والخداع •

وبدأ الحديث حول استقالته من ادارة الشرطة • وأنه تـرك العمـل بسبب شدة الرقابة التي يفرضها الشيوعيون ، وكان يعلم ــ في نفس الوقت ــ أنهم اذا ظنوا أنه على خلاف معهم • فقد يصبح عرضة للخطر • ثم أخبر رايك • وزير الداخلية ــ بأنه يبحث عن عمل آخر يعود عليـه بالكسب ريثما يتناول مكافأته • بمقتضى الاصلاح الزراعي ــ التي تقدر بمائتي فدان نظير جهده في حركة المقاومة مما يخول له الحصول علىضيعة أكبر من الاراضي التي كان يملكها من قبل ، ولاحظ جوى أن وزير الداخلية كان يلمح له بأن يعمل لصالح الشيوعيين بجانب عمله في حزب المزارعين• فاستجاب لرغبة الوزير وأخذ يوجه النقـد لحزب المزارعين بينمـا ــ في الوقت نفسه ــ يشيد بالحزب الشيوعي • واختتم حديثه بأنه اعتزم القيام بفلاحة الارض التي قد تدر عليه أرباحا أكثر • ثم افترقا وهما على أتـم وفاق • حيث سأله رايك أن يعود لزيارته من وقت لآخر كلما استطاع الى ذلك سبيلا •

ثم جاء جوى بعد أن توقف عن الحديث برهة « وهذا الرجل سفاح كما تعلم » • فأومأت برأسي موافقا على رأيه • اذ علمت من ادموند عن طريق سام منذ بضعة أيام أنه توجه لزيارةرايك شخصيا على اعتبار أنهما مشتركان في حلقة المقاومة ، وكان يريد منه التدخل لانقاذ رفيق لهما أثناء الحرب وكان الرجل يقاسي ألوان العذابعلى أيدى أفراد منظمة أمن الدولة، ولكنه عند ما أوضح السبب الذى جاء من أجله تلقى رايك طيلة هذا في برود واضح ، وعندما أخذ ادموند يشيد بخدمات الرجل أثناء الحرب لم يبد رايك اهتماما بالامر وتحول نحو الاوراق التي كان يفحصها وقال : « ولكن الموقف قد تغير الآن » •

ومضى جوى يقول : «ولم أكن أصدق معاداة رايك • كما كان الرجل على وفاق معي • ولكن ذلك • وحده • لم يكن كافيا لنجاتي من الخطر » • ولمدة الاسبوعين التاليين أخذ جوى ينشر في الجرائد اليومية اعلاناتبأسماء مجهولة يطلب فيها الاستدلال على عناوين بعض أفراد يبلغ عددهم نحو اثنى عشر • وكانت الاسماء التي يستخدمها جوى لاشخاص سبق اختطافهم خلال سنة ١٩٤٥ ، بعد ذلك أعد قائمة كاملة بهذه الاسماء مع ذكر تاريخ وطريقة اغتيالهم على أيدى الشرطة السياسية ــ وهي معـلومات جمعهـا خلال فترة السنتين اللتين قضاهما في خدمة الشرطة الوطنية ، ثم احتفظ بالقائمة في مكان خفي ، واستقالمن وظيفته بعد ذلك • وكان يقصد بهذه القائمة أنه سوف ينشرها في الجرائد عن طريق أحد أصدقائه اذا حدث أن

اعتقل ولم يفرج عنه في مدى أربع وعشرين ساعة ، وبذلك يكشف الستار عن أسماء الاشخاص الذين تم اعتقالهم واغتيالهم • كما أن الدليل على تهديده هي الاعلانات التي نشرها بالجرائد • وأعجبت بالرجل وبسلامة تفكيره وعنايته بتنفيذ خططه •

ثم سألته : « وما ذا تم في موضوع الاتحاد الشرقي الغربي West Orient Corporarion » فقال جوى ضاحكا : « لقد اتصل بي بعض أفراد هذا الاتحاد بعد استقالتي بحوالي شهر وقررت أن أقبل هذا العرض • لاني كنت أعتقد أن رايك يتظاهر بميله لمساعدتي بينما كان يحاول ايقاعي في الشرك ، كما أن مدة شهر أو ستة أسابيع بعد انضمامي لهذا الاتحاد • تعد فترة كافية لمغادرة البلاد والمعيشة في الخارج » •

وأضاف يقول : « كما أني كنت مخطئا • اذ ربما من صالحي أني لم أستطع اغراءك على أن تعطيني سيارة أمريكية • فقد كان رفضك — على الاقل — دليلا على أني لم أكن على صلة وثيقة بالامريكيين • ولكي أصارحك القول فقد شعرت بالضيق لرفضك طلبي • ثم أن هذه البلاد أصبحت لا تعنيني في شيء ، والمشيئة للشيوعيين فأني لم أكن أرغب مطلقا في الانضمام اليهم • كما كنت على يقين من أن حزب صغار الملاك لن يستطيع انقاذ البلاد • ولذلك قررت الابتعاد عن الاحزاب •

وقلت له : « اذن أنت تعتزم الاقامة في ضيعتك » • فقال ضاحكا :

« ان هذه الضيعة تعتبر حيلة اتخذتها • فهي تضم مائتي فدان بالقرب من حدود النمسا • وبذلت جهودا في سبيل الحصول عليها • لان القوم يهربون في الوقت الحاضر • ولكن في مدى بضعة أشهر سوف يكون الهروب متعذرا ، وعلى ذلك — في يوم ما — بينما أعمل في الحقول • لن يكون بيني وبين حدود النمسا سوى بضع شجيرات وهذا كل ما في الامر فأخذت أمازحه بينما كنت أراه من زاوية جديدة • وسألته : « ولكن متى تتم لك هذه الصفقة ؟ » فقال : « في أقرب فرصة ممكنة • اذ أني أفضل الحياة في الخارج • ولكنني لا أملك من المال ما يكفيني في الوقت الحاضر • ولذلك لست في عجلة من أمري لاني سوف أغادر البلاد الى غير رجعة » •

ومكثت طول الليل أفكر في قصة هذا الرجل جوى • فاذا لم يكن من عملاء الشيوعيين فهو الرجل الذى يصلح للاشراف على حلقة التهريب اذا أراد ذلك ، كما أنه كان سريع الخاطر ويمتاز بالجرأة والاقدام وعلى الاخص فيما يتعلق بالمؤامرات ، وفي اليوم التالى بدأت فيمراجعة الصحف التى صدرت فى تلك الفترة التى ذكرها • وتأكدت من محتوياتهاثمقارنتها بالقائمة التى أعدها أدموند بأسماء ضحايا الشرطة السياسية • فوجدتها مطابقة لما ورد بالقائمة المذكورة • بعد ذلك أرسلت برقية الى رؤسائى بقصد القيام بفحص حقيقة هذا الرجل جوى • وأوضحت لهم الغرض الذى من أجله أرغب فى اشراكه معى فى العمل •

وجاءنى الرد وكان مدهشا ومشجعا اذ يقول : « كان جوى عميلا بريطانيا فيما سبق • ولك أن تستخدمه لغرض معين • بشرط أن تكون دائما على حذر منه • وبشرط أن تكون على يقين من أنه قد قطع علاقته بالبريطانيين » • وكان هذا الرد وافيا بالغرض ويدل على اقرارهم بفضل الرجل على البريطانيين كما ألقوا على عاتقى المسئولية أن أكون على يقين من أنه لم يعمل لصالح أية ناحية سياسية أخرى •

ولم يمض أسبوعحتى دعوت جوى نتناول طعام العشاء • فوجدت الرجل على حالته لم يتغير منذ مقابلتنا السابقة ، ولا يزال دائما يميل الى السخرية والدعابة كما لاحظت أنه كان هادىء البال أكثر مما كان فى الاشهر السابقة ، ثم أخذ الحديث بيننا يدور حول السياسة • وبدأت بالتدريج أحول مجرى الحديث عن المجر الى مناقشة الموقف الدولى حيث أخذ يبدى بعض ملاحظات ينتقد بها البريطانيين • بينما كنت أدافع عنهم بحجة أنه لا يعلم أو يفهم حقيقة أمرهم • وأخيرا بادرنى بقوله : « أود أن ألفت نظرك الى أنى كنت فى خدمة البريطانيين أثناء فترة الحرب ومن قبل ذلك • وانى أدرك حقيقة ما اتحدث عنه • وقد رفضت أن أعمل معهم بعد ذلك » • ثم أخذ يتحدث بالتفصيل عن الاسباب التى دعته لان يرفض العمل مع البريطانيين • ولولا أنه لم يكن اشتراكيا لاعتقدت أنى كنت أصغى الى سام وهو يبدى الاسباب التى دعته لعدم الاشتراك مع بريطانيا فى العمل بعد الحرب ، كذلك لم أذكر أى تعليقات على حديث جوى لانى اكتفيت بالمعلومات التى كنت أريدها منه • ومن الناحية النظرية كنت أعتقد أنه قد يتدخل فى عملياتى الشخصية ولكنى استبعدت هذه الفكرة• وكان الامر يتعلق بما أقرره • وعلى أن أتحمل عواقب المجازفة • وأخيرا قررت أن أشركه معى فى العمل •

وكانت خطة العمل تبدو سهلة ميسورة • ففي مناقشة حول ما يجب أن نفعله بشأن المجر بصورة عملية • اتفقنا على أن عملية التهريب هي أهم شيء في الوقت الحاضر • وكان جوى يكاد يفقد الأمل تماما من امكانياتنا فيما يتعلق بالانتخابات القادمة ولكنه كان متحمسا لأولئك الذين يبدون شجاعة لخوض غمارها وعقد العزم على مساعدتهم • ثم أخذنا نتبادل الرأى حول عمليات التهريب (وفي سياق الحديث اقترح جوى أن يتكفل بهذه العمليات مما يتفق مع رأيي في الواقع) ، وأراد أن يعرف من هو جدير بمساعدته لمغادرة البلاد ورفض أن يدلى بأسماء من يشتركون معه في العمل • وكان هذا لا يتفق مع أصول العمليات السرية • ولكني لو كنت أصررت على معرفة أسماء هؤلاء لاتضح انى كنت عميلا محترفا ولست سوى أمريكي يرغب في تقديم المساعدة للمواطنين ، وسلمت بالامر الواقع ولكن على شرط موافقته على تهريب أى فرد أرسله اليه • ولما كنت مسئولا عن تغطية مصروفات هذه العمليات — وهي اجراءات لا بد منها في مثل هذه الظروف لعدم اثارة الشكوك ولكي لا تتاح الفرصة للفضوليين — فقد وافق جوى على أن يخبرني مقدما عن شخصية أى فرد يرغب في نقله الى الحدود • كما اتفقنا على عقد اجتماعات من وقت لآخر كما كان يحدث في الماضي • على أن تكون هناك صلة بيننا في الفترة ما بين هذه الاجتماعات • واقترح أن تكون الصلة فتاة تدعى هيلين • وهي كونتيسة سابقة وتعمل الآن خادمة في مشرب لتقديم الخمور ، وكان المحل معروفا لنا ويمكننا التردد عليه دون أثارة أى اشتباه ، وبعد أن اتفقنا على مكان الاجتماع توجه كل منا الى حال سبيله • ثم أني لاحظت أن جوى كان متحمسا للعمل معي • وكان أشبه شيء بالمراهق الذى تبينت له الطريقة المثلى فعزم على اتباعها بعد أن كان يسير على غير هدى ، كما تبين لى أن جوى لم يكن ثائرا من قبل وأنما انتهز هذه الفرصة لكي يعمل من أجل الصالح العام • وذلك هو الغرض الذى كنا نسعى لتحقيقه عن طريق عملياتنا • كما أرى من المبالغة أن أقول أن البواعث التي دفعت جوى للعمل هي التأييد السياسي وحاجته لكسب المال (فقد تبين لى أنه كان يكسب بعض المال في كل عملية يقوم بها للتهريب) وبجانب هذه العوامل كانت مشاعره لدفع الثورة الى الامام وانقاذ الشعب من الكوارث التي تحيط به ، ويرجع الفضل الى ادموند الذى كشف الستار عن المعارضة التي كانت تواجهنا • كما يرجع الفضل الى Guy الذى ساعدنا على تكوين جبهة تقف في وجوههم • • •

٥

خيبـــة مخففـــة

كانت الرسالة التى جاءتنى بالموافقة على تعيين جوى ضمن عملائى • تحتوى أيضا على تعليمات الرئاسة • تلك التعليمات التى كنت فى انتظارها منذ زيارتى بواشنجطن فى شهر مايو ، وشعرت بشىء من الحرج اذ تبين لى أنها تخول لى أيضا الحق فى اعداد حلقة للتهريب وصرف المـال اللازم لمجموعة تتكون من خمسة وعشرين شخصا • بينهم عشرة من السياسيين البارزين وخمسة عشر كما يتراءى لى من حيث صلاحيتهم ، بما فى ذلك أفراد الشبكة ذاتها ، وكان هذا العدد هو أقل ما يمكن طبقا لما ذكرته لبيتـر عند ما طلبت منه تفويضا مؤقتا ، وبالرغم من أنى لم أجد هناك ما يدعو لمثل هذه الدقة فى تحديد عدد العملاء الا انى قررت الا أناقش هذا الموضوع فى الوقت الحاضر وأن أقبل ما عرض عـلى ثم أترك الجـدال لوقت آخـر فيما بعد •

كذلك كانت التعليمات تقضى بالاستغناء عن بول وبأسرع ما يمكن • وكان للرجل بعض أصدقاء من ذوى النفوذ • ولذلك لم يكن هناك ما يدعونى للتخلى عنه ولم أقصد مطلقا أن أستغنى عن خدماته • فأعتقدت أن هـذا البند من التعليمات لا يعتمد على أسباب قوية ورأيت أن أسير طبقا للخطة المرسومة •

وأهم من ذلك أن التعليمات لم تكن تتضمن كلمة واحدة بشأن الخطوات التى تتبع ـ من الناحية السياسـية ـ لتعضيـد المجريين الذين مازالوا يكافحون ضد استيلاء الشيوعيين على زمام الحكم • وكنت أتمنى لهم الفوز فى كفاحهم ، كذلك كان رؤسائى يعلمون تماما أن الانتخابات سوف تبدأ يوم ٣١ من أغسطس سنة ١٩٤٧ • ولكن اتضح من تعليماتهم كما لو كانوا لا يعلمون شيئا عنها •

ومن حيث تغاضى الحكومة الامريكية عن الامكانيات اللازمة للقيـام بعمليات سياسية سرية • فأن مثل هذا السهو لم يكن مفاجأة لنـا • اذ كانت اظروف تقضي بقراءة ما بين سطور التعليمات والوصول الى فكرة سليمة على أساس سياسة دبلوماسية رسمية ، كذلك اتضح من التعليمات أن السلطات اذا عهدت الى بتهريب الزعماء السياسيين ممن يتعرضـون للخطر بسبب شجاعتهم واصرارهم على مقاومة الشيوعيين ، فلا بد لى من التدخل فى الامر ولفت نظرهم ـ قبل هذه المخاطرة ـ الى أن فى استطاعتهم أن يعتمدوا على لاعداد وسائل الهروب فى الوقت المناسب ، ولكن هل كان هذا التدخل يقوم على أسس منطقية ؟ والرد على ذلك بالايجاب • ولكنه ليس التدخل السياسى السليم • كما سيتضح فيما بعد •

ومن حيث السياسة الرسميـة التى أتبعتها • فقد تناولت ذلك فى محادثاتي فى واشنجطن • حيث تبـين لى أن سياستي لا بد أن تـكون مطابقة لتصريحات السلطات الامريكية ـ وان كانت هذه التصريحات فى شىء من الغموض ـ كما لابد من استشارة مارك من وقت لآخر ولكن دون أن أذكر له تفاصيل عملياتى وخططى التي رسمتها • بدأت فى مناقشته حول صعوبة موقفى من الناحية السياسية • فقد كانت مهمتى هى انقاذ بعض أفراد لاسباب سياسية ولكن السلطات لم توضح لى طبيعة هـذه الاسباب أو أهدافها أو أنواعها ، كما لم تحدد لى خط سير معين • ممـا أطلق لى حرية التصرف ، وهذا ما يحلم به كل عميل سرى ، ولكن ـ من ناحية أخرى ـ لم تكن أمامى صورة واضحة لهذه الاسباب السياسية مما يصبح مبررا لتدخلى لانقاذ أرواح أولئك الافراد • ثم تبين لى أننى ـ فى النهاية ـ سوف أتمكن من تفسير ما هو غامض فى الوقت الحاضر لـكى يصبح جليا واضحا •

ووافقنى مارك على رأيى من حيث ضيق مجال العمل أمامنا ، كما أن ارتيابى فى تصرفات السلطات الامريكية ـ وكان ذلك نتيجة محادثاتى فى واشنجطن ـ ثم ذلك التحديد الغريب لعدد أفراد الشبكة • لم تكن هذه بالاسباب التى تدعونى للمخاطرة بما اكتسبته من حرية التصرف وذلك باصرارى على تفسير موقف هذه السلطات ـ **وعلى ذلك قررنا العمـل فى الحال ، وأصررت على أن أتحمل كامل المسئولية فى اتخاذ أية خطة أراها مناسبة ، مع أن هذا النوع من الانفراد بالسلطة لا يخلو من اخطاء جسيمة كما أن الحياة ذاتها لا تسير على وتيرة واحدة بل لا بد أن تجمع بين الخـير**

والشر • وهذا الخطأ ـ بطبيعة الحال ـ هو نتيجة اتساع نطاق الانفراد بالسلطة ، وفي هذه الايام لا نجد ما يدعو الى الاتجاه من حيث مهمة أجهزة العمليات السياسية السرية ، بل أن هذا الاتجاه يكاد يكون متعذرا ولا سبيل اليه •

وكان كل تصريح رسمي يشير الى الموضوع الاساسي ، وهو أن حكومة الولايات المتحدة لا ترغب في أن تصبح المجر ضحية لاستيلاء الشيوعيين على مقاليد الحكم من ورائهم السوفييت يساعدونهم ، ولكن كان أيضا من اللازم أن نستنتج من تصرفات الامريكيين أن حكومة الولايات المتحدة لم تكن راغبة في اتخاذ خطوات حاسمة للوقوف في وجه الشيوعيين ومنعهم من الاستيلاء على البلاد ـ مهما كان احجام الامريكيين يرجع الى أسباب داخلية أو استراتيجية ، وبالاختصار كانت الولايات المتحدة ترغب في تحقيق أعظم النتائج دون أن يكلفها ذلك كثيرا ، وبدأت ـ بالاشتراك مع مارك ـ في تقدير هذه النتائج المطلوبة طبقا لرغبة الحكومة الامريكية •

ولم يكن هناك غموض حول النتيجه التي يرغبها الامريكيون • فقد كانت أية نتيجة تعد عقبة في سبيل تنفيذ أغراض الشيوعيين • أو قد تضطرهم لاتخاذ خطوات يستدل منها على كذب ادعاءاتهم ومحاولتهم التمويه بأن الاغلبية كانت في صالحهم • وكان وجود عقبة في سبيلهم أمرا يدعو الى الشك ، ولكن محاولتهم الغش والخداع كانت هي الامر الواقع وكان تقدير النتائج يتعلق « بالخطوات » التي يتخذها الشيوعيون • والتي كانت تشكل خطرا على حياة أولئك الذين يخوضون معركة الانتخابات • ثم أن تشجيع الرجال على خوض المعارك الانتخابية والتعرض للاخطار ـ حتى ولو تمكنت الولايات المتحدة من العمل على منع هذه الاخطار ، وهو أمر بعيد الاحتمال • فان مثل هذا التشجيع يعد اهمالا ـ من الناحية السياسية ـ الى حد بعيد • وقد يكون سببافى اثارة الشعور بكراهية الولايات المتحدة لعدة سنوات قادمة •

وما كان يدور في أذهاننا هو مدى استطاعتنا انقاذ حياة عدد قليل من الزعماء ، ولكن مثل هذا العرض على هؤلاء الزعماء قد يتسرب الى الجماهير التي يتوقعون تأييدها لهم في كفاحهم في معركة الانتخابات • ولا سبيل اذن لانقاذ هؤلاء جميعا • كما أن هذا العرض يعتبر كما لو كنا نريد استغلال جهودنا ، ثم ان السياسة الطويلة الاجل لا يمكن أن تقوم

على مثل هذا الاساس • اذ لا بد أن يتبين ضعفها وكذبهـا في وقت ما • وسوف يكون ثمن الفشل مضاعفا مئات المرات • وعلى ذلك تم الاتفاق بيني وبين مارك على أن نتخلى تماما عن مثل هذه العروض حول الانقاذ لاغراض سياسية •

وكان من الواضح أن أفراد الشبكة لا علاقة لهم بهذا الاتفـاق بيني وبين مارك • كذلك كانت لدى تعليمات خاصة تقضي بأن أخبر بول بأننا على استعداد على مساعدته على الهروب • بالرغم من أن دوره في المجر قد أصبح سياسيا أكثر مما يتعلق بمهمة المخابراب ، فذهبت مـع أوجـين لزيارته واطلاعه على هذه التعليمات • فبدأ مندهشا وهو يقول • « لا • ليست هذه وجهة نظرى » ثم ابتسم قائلا : « ولكن أرجو أن تبلغهم شكرى على أى الحال » •

وكان اتفاقي مع مارك يشمل اجراء محادثات سياسية مقدما حـول الانتخابات • مع أولئك الزعماء من غير الشيوعيين ممن يرغبون في الحديث في هذا الصدد ، وكان مثل هذه المحادثات أمرا لا بد منه في هذه الظروف، ولما كان تسرب شيء من هذه المحادثات الى أسماع الشيوعيين قد يدعو الى أن يتخـذوه دليلا على تدخل الامريكيين في شئون المجر الداخلية ، فقـد اتفقت مع مارك على أن أكون مسئولا عن هذه المحادثات ولا علاقة له بها • وكان من الواضح ــ بطبيعة الحال ــ مما يلفت الى الانظار • ولـكن ــ في نفس الوقت ــ كان في استطاعة الحكومة الامريكية الا تعترف بوجودى • بل ويمكنها أن تتجاهلني اطلاقا ، على النقيض من مارك فقد كان في موقف يختلف عن موقفي • وكان اتفاقي مع حكومة الولايات المتحدة ــ وان كان اتفاقا واهيا ــ هو أن تقوم بتعزيز جهود المجريين لايقاف زحف الشيوعيين، وأنها سوف تتعاون مع أغلبية المنتخبين من غير الشيوعيين في المستقبل (**اذا حدثت مثل هذه المعجزة**) • فاذا رأى المجريون أن هذه تعد جهـودا ضعيفة • وأنهم ليس لديهم تأكيدات كافية للاعتماد عليها في المخـاطرة بأتباعهم • فان هذا أمر لا حيلة لنا فيه ، وكان هذا هو الموقف على حقيقته، كذلك قررت أن أجادل المجريين حول أن بلادهم تستحق أن يبذلوا جهودهم وأن يواجهوا الاخطار التى لا مناص منها • ولقد عاشت المجر تعاني ظروفا قاسية بعد الحرب بسبب سياسة زعماء البلاد • تلك السياسة التي كانت تساير سياسة الالمان • ومثل هذا الخطأ لا يجب أن يرتكب مرة أخرى •

ثم أن مجرد احتجاج المجر على عدوان السوفييت قد لا يضع حدا لهذا الطغيان • ولكن تصبح له قيمة تاريخية بالنسبة للمجر فيما يستقبل من الزمان • ثم واصلت جدالى حول أن ما حدث لملايين المجريين أمام عدوان الالمان • سوف يحدث لملايين أكثر فى سنة ١٩٥٦ •

كذلك اتفقت مع مارك على أن يتصل بى بشأن الزعماء السياسيين الذين يسعون للهروب • وبعد فترة قصيرة كان أول هؤلاء الزعماء رجلا من أعظم الشخصيات السياسية يدعى الأب استيفان بولوه • وكان سياسيا مستقلا عن الاحزاب بينما كان قسيسا لكنيسة القرية ، ثم التحق بحكومة دبريكان المؤقتة سكرتيرا فى رئاسة الوزارة ، وكان متوسط الطول ويبلغ وزنه ٢٧٠ رطلا • وكان له طابع مرح Rabelaisian × من حيث أذواقه الشخصية فكان شغوفا بالطعام والشراب وكل أنواع ملاذ الحياة ، ومن حيث السياسة فقد كان سياسيا من رجال الدين المتطورين الذين كانوا ثمار عصر النهضة ، وفى اعتقادى أنه كان من أعظم المشتغلين بالسياسة فى المجر فى ذلك العهد ، وأنه كان يمتاز بالدهاء والذكاء والفطنة ، وله يد خفية تشترك فى كل مناورة سياسية • ويسير طبقا لمقتضيات الظروف من حيث الاقدام أو التراجع والاستغلال أو التسليم بالامر الواقع ، وكان يدبر سياسته بنفسه وبوحى من ضميره ، ولكن لم تكن هناك قوة سياسية معروفة تستطيع النهضة والبقاء دون أن يكون رائدها ــ على الاقل ــ عبقريا من أمثال بولوه الذى كان يبذل نشاطا فى نواح هامة بينما تبدو ــ فى الظاهر ــ أنها غير ذات موضوع • (حدث بعد بضعة أيام من النجاح الاولى لثورة المجر سنة ١٩٥٦ أن جاءنى سياسى من المجر وقال بلهجة جدية : « هذه الثورة لن تحقق النجاح فى النهاية » فسألته عن سبب اعتقاده هذا وكان رده : « لأنى لا أرى بولوه يشترك فى خوض غمارها » •

ودعانى بولوه لتناول الغذاء فى مسكنه الفاخر فى بولا • وبعد ذلك أخذنا نتنزه فى حديقة الفيلا حيث قال بلهجة قاطعة : « انى مهدد بالاغتيال • وليس لدى وقت كاف لبحث الامر • فهل فى استطاعتك مساعدتى على الهروب ؟ » وكان الرجل مثاليا فى موقفه ، اذ رأى أنه مما لا موجب له ومما يعد من عدم اللياقة وسوء التصرف أن يدلى ببيان شامل يقول فيه :

× نسبة الى فرنسوا رابليه وهو كاتب فرنسى مرح (١٤٩٤ ــ ١٥٣٣) • المراجع

« أني مهدد بالاعتقال اذا لم أتعاون مع الشيوعيين في تدبير خطة عرضت علي ، وليس لدى متسع من الوقت لكي أقرر البقاء هناك على أن أوافقهم على خططهم ثم أخدعهم في نهاية الامر ، وفي الحق ليس لدى ما أقرره في الوقت الحاضر سوى أن أجد بديلا لهذا الموقف • واذا كان هناك مخرج من هذا المأزق فهو الهروب ، فهل تستطيع مساعدتي ؟ وانك لم تستطيع فقد انتهى الامر • واذا استطعت مساعدتي فأني على استعداد للهروب •

فأوضحت له أني على استعداد لتدبير وسيلة للهروب • كما ذكرت له صراحة أن الامر سوف يكون صعبا للغاية بسبب شهرته بين القوم ، وكنت قد علمت من جوى أنه سينتهي من اعداداته في حوالى اسبوعين منذ أول حديث لنا ، فقلت لبولوه أني لن استطيع أن أفعل شيئا بشأن مغادرته للبلاد قبل مضى أسبوع على الاقل • ولكنني أتعهد باخفائه في تلك الفترة اذا كان معرضا لخطر عاجل ، وبعد أن أخذ يفكر فيما قلته له بضع لحظات قال : « سوف أفيدك برأيي في اقتراحك هذا » •

ولم يوضح لى بولوه متى يفيدني برأيه فيما اقترحه عليه • وفي الواقع علمت بقراره عند ما أذيع بعد حوالى عشرة أيام أنه بصدد تكوين حزب سياسي جديد لخوض معركة الانتخابات وأنه سوف يصدر صحيفة جديدة • ولم أصادف الاب بولوه مرة أخرى حتى أواخر فصل الخريف حيث أرسل يدعوني لمقابلته ، وهناك وجدته يقيم في شقة فاخرة في بست • فسألته ان كان قد عدل عن قراره الاول • ولكنه أجاب بالنفي • وأخذ يوضح لى في شيء من التفصيل كيف تمكن حزبه من تكوين جبهة معارضة للشيوعيين • ولهذا السبب • بدأ الشيوعيون يحاولون مصادرة الادوات اللازمة لطبع صحيفته ، وعرض على اقتراحا بأن أدبر له شحنة من هذه الادوات من المنطقة الامريكية في المانيا ، فسألته متعجبا : « وكيف تتمكن من ادخالها البلاد دون أن يصادرها الشيوعيون ؟ » وبدا على ثقة من نفسه وهو يقول : « في استطاعتي أن أفعل ذلك • كما أرجو ملاحظة أني لست في حاجة الى معونة مالية • ففي استطاعتي أن أدفع ثمن هذه الادوات ولو أن القيمة لن تكون بالعملة الاجنبية • ولعلك قد سمعت بمجموعتي الفنية » • ثم أشار الى منضدة صغيرة خلف مقعدى وقال أنها مجموعة تساوى مبلغا كبيرا ، وكانت هناك صورة داخل اطار ــ من رسم رنوار • ثم قال : « أنظر الى الوجه الآخر » فوجدت صورة لديجاس • وعلى أى حال شعرت بالاسف لرفض طلبه لادوات الطباعة •

ولم يكن حزب الاب بولوه هو الحزب الجديد الوحيد الاشـــتراكى فى انتخابات أغسطس ســنة ١٩٤٧ ، ولما كان حزب صغار المـلاك قد انحل نهائيا · انضم أغلبية أعضائه الى أحزاب أخرى · تلك الاغلبية التى كانت ٥٧ ٪ من أعضاء البرلمان سنة ١٩٤٥ · ولا بد من الاحزاب الخمسة التى كانت تتنافس فى انتخابات سنة ١٩٤٥ · ظهرت عشرة أحزاب أخرى فى الاقتراع السرى سنة ١٩٤٧ ، وكان حزب الحرية بزعامة سوليوك والذى عمد الشيوعيون الى حله بالقوة · يعد مثالا لتهديد أولئك الذين يحاولون نفس المحاولة لجمع شمل الاغلبية المبعثرة وتكوين وحدة متماسكة· وكانت المشكلة تدور حول الحصول من السلطـات على تصريح لتـكوين حـزب سياسى · وبالاضافة الى الاحزاب الاربعة المتحالفة كانت هـذه السلطات فى أيدى الكاثوليك منذ سنة ١٩٤٥ ويؤلفون حزب الشعب الديمقراطى· وفى أيدى مجموعة صغيرة من المثقفين والاحرار تسمى الحزب الديمقـراطى المدنى · وكان يتكون من اتباع كاروبى أساتى وهو من جبهة المعارضـة الدائمة قبل الحرب ، وكان رجلا يمتاز بنفوذ شخصى كبير · وربما كان من أقدر السـياسيين فى المجر بالرغم من اعتزاله السياســة منــذ نهـاية الحرب ·

لذلك رأيت أن أجتمع معه لتبادل الرأى · وكان حــزبه يستند الى شهرته ومدى نفوذه · بينما هو شخصيا لم يشترك فى الحملة الانتخابية ، وفى هذا الموقف المضطرب كنت أخشى تعدد الاحزاب المتفرقة · وأخـذ ارساى ــ بما له من مكانة محترمة ــ يعمل على تكوين فكرةمعاديةللشيوعية فى أذهان الناخبين ، وأثناء الاجتماع أبديت له أعجابى بقوة شخصيته · فوجدته يتناول موضوع الحديث مباشرة وهو الامـر الذى جئت من أجله فقال : « حسنا · لنفرض أنى اشتركت فى الانتخابات وفزت بعدد كبير من الاصوات وجمعت حولى أفرادا كثيرين · فان ذلك لن يجدى نفعا ، اذ أنى لن أستطيع أن أفعل شيئا اذا أقدم الروس أو منظمة أمن الدولة عـلى وضعى فى عربة وذهبوا بى الى السجن · وهذا ما ســوف يحـدث بـكل تأكيد · فهل تستطيع أن تنقذنى ؟ » ·

فقلت له ان هذا أمر يتوقف على مدى ما تسمح به الظروف ، فقـال ضاحكا : « وحتى هذا لا يعد نقطة البحث · فاذا فرضنــا أن الظـروف تساعدك على انقاذى شخصيا · كيـف تستطيــع أن تنقذ أولئـك الذين تجمعوا زرافات ووحدانا ليصغوا الى حديثى فوق منصة الخطابة ؟ فهؤلاء

هم الذين فى حاجة الى مساعدتك لانقاذهم • وهم ــ فى الواقــع ــ أحــق بالمساعدة التى تقدمها لفرد واحد » • وفى الحق كانت هذه مناقشة لاجدال فيها •

كما تبين لى أن راساى لم يكن جبانا أو مترددا واهى العزم ولم يكن جاهلا بحقيقة الموقف ، وقلت له متسائلا : « لنفرض أننا نتحدث عن بعض شخصيات معينة • فهل تقصــد أن ليس هنــاك من ينــازعك فى هــذه الانتخابات ؟ » فابتسم قائلا : « لا • أنا لا أقصد ذلك » • وافترقنا بينما كنت أشعر أن راساى اعتزل السياسة منذ الحرب بسبب خوف السوفييت من شهرته ومكانته وكانت النتيجة أن أصبح مرغما على التقاعد •

وبعد عودتى من واشنجطن بفترة قصيرة اتصلت بمن تدعى آنا وهى العميلة التى أوصت بها مقر رئاستى باعتبارها مصدرا يعتمد عليه فيما يتعلق بشئون الــكنيسة ، (ومن الجدير بالملاحظة أن اهتمــامى بشئون الكنيسة لم يكن راجعا الى مشاعر دينية أو مذهبية • وانمــا كان يتعلق بوجود كنيسة فى المجر لهــا علاقات سياسية بالحــكومة • وبالكنيســة الرومانية باعتبارها مركزا سياسيا فى أوروبا • وينطبق هذا على تعليقاتى على شخصيات الكنيسة وسياساتهم) • وكانت آنا امرأة على خلق عظيم بالرغم من تعصبها لحكومة الملكية • ولا غرابة فى ذلك • فقد كانت المجر من قبل سنتين فقط حكومة ملكية كاثوليكيــة لمــدة ألف سنة ، وكانت ديانتها ــ فى نظرها ــ أمر يرتبط بشخصية الكاردينال مندزينى رئيس كنيسة المجر • كما كانت ضمن مجموعة من القوم تعهدوا ــ بدافــع من الولاء وأنكار الذات ــ بتضحية أنفسهم وما يملكون فى سبيل تأييــد الكاردينال فى دوره من حيث التمسك بالمقاومة من أجل بلاده •

ولم ينقص من قيمة الكاردينال باعتباره رمزا للكنيسة • أو المأساة من حيث أنه كان ضحيــة لاجراءات العنف والقسوة • اعترافــه بأنه ــ باعتباره شخصية سياسية ــ لم يستطع القيام بأعبائها • وذات مرة • خلال فترة انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس ــ وبينما كانت الولايات المتحدة تبذل جهودا محدودة لتخفيف الشروط القاسية التى فرضت على المجر ــ ألقى الكاردينال خطابا شديد اللهجة يستنكر فيه كل مطالب الدول المجاورة للمجر ، وفى تلك الفترة تمكن مارك من اجراء حديث مع الكاردينــال • حيث أشار ــ بناء على تعليقات من أعضاء وفدنا فى باريس ــ الى الصعوبات الفعلية التى تواجهنا من حيث جهودنا التى نبذلها من أجل المجر ، وسأل

الكاردينال عن رأيه فى مستقبل المجر وما تتعرض له البلاد من أخطار جسيمة بسبب ثلاثة مطالب ظالمة قدمت فى باريس • فلمعت عيناه ، وأخذ يشير يديه على ما يدل على قوة العزيمة والاصرار وهو يتحدث بلهجة الخطابة ومقاطعها الموسيقية • فالتفت مترجم الكنيسة الى مارك وقال له فى لطف ودعة : « أن نيافته يتحدث طبقا لما يقتضيه مركزه الادبى وبفلسفة الكنيسة المقدسة • ويقول أن السياسى الضعيف هو الذى يستطيع الرد على سؤالك » •

وعلمنا من آنا أن الكردينال كان على خلاف مع هيئة رجال الدين الذين كانوا يتجنبون الشئون السياسية ويميلون الى التحرر من علاقات الكنيسة بالحكومة ، وفى الناحية الاخرى من المسرح السياسى كان الجزويت يسعون جاهدين فى اتخاذ سياسة محكمة تسمح لهم بالتعاون مع الشيوعيين ، وكانت المشكلة الكبرى تدور حول المجموعة التى تتولى الاشراف على حزب الشعب الديمقراطى ـ وهو القاعدة السياسية للرومان الكاثوليك الذين كانوا يسعون فى ضم البروتستانت الى صفوفهم • كما كانت تفعل الاحزاب الديمقراطية والمكونة من المسيحيين الكاثوليك فى غرب أوروبا •

وفى أواخر شهر يولية اقترح مارك أن أقوم شخصيا باجراء مباحثات مع الجزويت وكان على صلة بهم •وكانت اجراءات الاجتماع تقتضى أن أكون على حذر من أننى أتعامل مع منظمة تعرف تفاصيل مهمتى أكثر مماأعرفها• **وكانت التعليمات تقضى بأن انتظر فى أحد أركان الطريق فى ساعة معينة• ثم تمر أحدى السيارات • وبعد أن تدور حول المنطقة تتوقف بالقرب منى حيث استقلها • بعد أن يشير الى السائق بذلك بعد أن يعرف اسمى • ودون أن يذكر كلمة أخرى يسير فى طريق دائرى حتى يصل الى مبنى صغير تحيط به الاسوار فى غابة فى أحد تلال بودا** • وكانت احتياطات الامن هناك لا تقل دقة عن تلك التى تتخذ حول مبنى الفاتيكان ذاته ـ باستثناء الحرس السويسرى بطبيعة الحال • وكانت المشكلة الوحيدة ـ كما علمت من أدموند ـ أن هذه المجموعة كان من بينها أفراد متسللون من القسم الثالث التابع لمنظمة أمن الدولة وكان ذلك مما يستدعى أن أكون حريصا فيما أقوله الى أقصى حد • ولكن ـ فى الوقت ذاته ـ كنت مهتما بأن أستمع الى كل ما يقال أثناء الاجتماع •

واستقبلني هناك اثنان من الآباء اليسوعيين على الرحب والسعة وان كان حديثهما يدور في شيء من التهور ٠(يعلق هنلسايت على هذه المناقشة فى شيء من السخرية ٠ فيقول أن نهاية أحد القسيسين كانت فى سجون منظمة أمن الدولة ، بينما الآخر ــ ومثله كمثل الأب بولوه ــ أرغم على خلع ملابس الرهبان ٠ وفى النهاية حرم من حقوقه فى الكنيسة ٠ ان الرب والقيصر لا يعترف بهما بسهولة فى كل مكان فى وقتنا هذا) ٠ وبدأ كل منهما يقدم مستندات على أنها دليل على تأييد البابا لمهمتهما ، ثم أخذا ينتقدان كل سياسة اتخذت فى الماضى لمعاداة الشيوعية ٠ وأن مشروعات الجزويت تعد حلا حقيقيا لمشكلة احتلال السوفييت وسيطرة الشيوعيين٠ وتتعلق هذه المشروعات بأمرين : حزب الشعب الديمقراطى وبرنامج للشباب واسع النطاق ، وكان من هذا البرنامج موضع اهتمام وعناية بعد أن حصلا من وزير الداخلية على تصريح باعداد منظمة للشباب ٠ بعد ذلك اتضح لى ــ من سياق الحديث ــ أن الجزويت فى حاجة شديدة لاعتمادات مالية ، وأنهم يأملون فى الولايات المتحدة أن تحقق لهم هذا الغرض ٠ وكان البرنامج يتلخص فى عبارة أخذ كل منهما يكررها من وقت لآخر وهى ، « فى استطاعتنا اعداد مجتمع مسيحى فى دولة شيوعية » ٠ **(هذه الفكرة لا تزال سائدة فى المجادلات السياسية فى الاوساط اليهودية ٠ ولا تزال يعضدها الكثيرون فى مختلف الانحاء ــ من الجزويت الفرنسيين ٠ وكذلك ــ ومما يبعث على الدهشة ــ الجزويت الاسبانيون الذين يستوون فى تدبير الاعتمادات المالية اللازمة لممارسة نفوذهم فى أنحاء أوروبا) ٠**

وكان أصحاب الدار عندما جئت لزيارتهما ٠ على يقين تام من تحقيق آمالهما بما لا يعد مجالا للشك ، ولما كنت أرتاب فى أن ملاحظاتى فى هذا الصدد قد تصبح معروفة لدى منظمة أمن الدولة ولدى السوفييت ، لم أحاول أن أشترك فى مناقشة أو جدال بأى حال ٠ وانما أشرت فقط الى أن حكومة الولايات المتحدة ترى من المتعذر مساعدة أى حزب سياسى ٠ لأن هذا يعد تدخلا منها فى شئون المجر ، كما أنه أمرا لاترضاه الحكومة الامريكية ، فأجابا بأنهما سوف يدبران شئون الحزب على قدر المستطاع٠ ثم أكدا أن منظمات الشباب هى محور برنامجهما ٠ وأن مستقبل المجر يتوقف على هذه المنظمات ومدى استعدادها ، فاقترحت أن هذا أمر يتعلق بالكنيسة لتقديم المساعدات اللازمة ٠ ولفت أنظارهما الى ما يتوقعوه من مساعدة البابا لهم فى هذا الصدد ، فقال أحدهم : « المطالب كثيرة ومتعددة بالنسبة للبابا المقدس » ٠ ولم أذكر لهم أنى أدرك أن متاعبهم مع الكاردينال

تقف حجر عثرة فى سبيل الحصول على مساعدات مالية سواء من روما أو من رجال الدين فى المجر ، وبدلا من ذلك أكدت لهما أنى سوف أخطر الجهات المسئولة بشأن وجهات نظرهم ومدى نشاطهما • وفى نفس الوقت أوضحت لهما أن انفصال الكنيسة عن أجهزة الحكم يمنع الحكومة من تأييد أوجه النشاط الدينية أو الاجتماعية فى مختلف الطوائف • وهنا سادهما شيء من الوجوم والبرود فأسرعت بمغادرة المكان •

وبعد فترة قصيرة ظهر على مسرح السياسه استيفان برانكوفكس وأصبح زعيما لحزب الشعب الديمقراطى ، وقبله الكاردينال ولكن على غير رغبة منه بينما رحب به الجزويت • وكان الرجل واسع الاطلاع وعلى درجة كبيرة من الثقافة • وكان يعتبر حلا وسطا فى مثل هذه الظروف • ولكنه ـ من الناحية الروحية ـ كان أقرب الى اليهود • وكلما اقتربت الانتخابات كانت آنا تزداد تحمسا له ولحزبه •

وفى هذه الايام لم يكن لدى فراغ من الوقت • اذ كنت مشغولا دائما فى محادثات سياسية • وفى تلقى سيل التقارير الواردة ، وفى اعداد الشفرات وفك رموزها ، وفى عقد اجتماعات سرية وكان معظمها أثناء الليل ، ثم قضاء فترة كافية فى البعثة العسكرية لكى أحكم وضع الستار حول أوجه نشاطى ، كما كان جوى مشغولا طول الوقت • وبعد ثلاثة أسابيع منذ آخر اجتماع لنا أخبرنى أنه على استعداد للعمل ، وكان يعرف منذ أن كان من رجال الشرطة ثلاثة من سائقى سيارات الاجرة التى لاتحمل أرقاما معدنية فى بودابست وكان يشعر بأنه يستطيع الاعتماد عليهم ، ثم وجد ثلاثة آخرين فى المدن القريبة من الحدود • وفى الاقليم حيث توجد ضيعته • وفى منتصف الطريق من بودابست والحدود تمكن من العثور على مسكن آمن حيث يقيم قسيس القرية ، وعلى ذلك ينتقل الركاب فى سيارات من بودابست الى منزل القسيس ، ومن هناك يستقلون السيارات الاجرة حيث تشق طريقها الى ضيعة جوى • وبذلك لن يكون هناك اشتباه فى سيارة من بودابست تسير بالقرب من الحدود ، كما أن سيارات القرى لن تتأخر كثيرا عن حظائرها مما يبعث على التساؤل ويثير الشك فى تأخيرها • وزيادة على ذلك فأن وجود ثلاثة من سائقى السيارات بصفه احتياطية فى نهايتى الطريق لايدعو الى استخدام سيارة واحدة فى أغلب الاوقات ، أضف الى ذلك • التأكد من وجود سيارة فى كل وقت كلما احتاج الامر •

كما تم الاتفاق على أن تستغرق الرحلة حوالى خمس ساعات • على أن تشتمل الرحلة اجتياز الطرق الخلفية ، وألا تتأخر السيارات كثيرا فى نقطة منتصف الطريق • ولكن ـ من ناحية أخرى ـ اتفق الرأى على تأجير السيارات لفترة قد تصل الى اثنتى عشرة ساعة فى منتصف الطريق حتى لا تتجه الانظار الى كثرة مرور السيارات بجوار منزل القسيس ، كذلك كانت هناك مشكلة أخرى وهى طريقة الاتصال بسائقى الارياف وكان جوى يخشى استخدام التليفون فقرر أن يكون الاتصال بطريق البريد وأن تحتوى الرسائل على عبارات سبق الاتفاق على صيغتها ، فكانت هذه الوسيلة تبعث على الاطمئنان وان كانت تستغرق بعض الوقت •

أضف الى ذلك أن جوى كان لا بد له من زيارة ضيعته من وقت لآخر للوقوف على حالة رجال حرس الحدود من حيث مواقعهم بالضبط ومدى مراقبتهم للمناطق المجاورة ، ولم يكن هناك ما يدعو لوجود جوى فى ضيعته لمساعدة الهاربين • فقد كان له وكيل موثوق به وفى استطاعته ارشاد القوم الى نقطة العبور فى أمن وسلام ، ومن ناحية أخرى وضع جوى الخطط اللازمة لاعداد أمكنة أخرى للعبور ، لانه لم يكن يود أن تكون ضيعته دائما تحت المراقبة اذ تتيح له الظروف فيما بعد فرصة للاقامة بها • ولتسهيل الاجراءات عبر الحدود ولتجنب الوقوع فى الخطأ تقرر أن أقوم بابلاغ الهاربين ـ شفويا وليس كتابة ـ بكلمات المرور وأسماء وعناوين عملاء هوج على حدود النمسا •

وبدت على جوى مظاهر الارتياح وهو يعرض أمامى هذه الخطة وتفاصيلها • كما كنت مقتنعا بهاومتحمسا لتنفيذها ، **ولكن سرعان ماتبين لنا أننا نسينا نقطة هامة •**

ففى الاسبوعين الاولين تمكنا من تهريب أحد عشر شخصا • منهم ثلاثة من نواب حزب الحرية المنحل • والذين الغيت حصانتهم البرلمانية على أثر حل البرلمان استعدادا للانتخابات الجديدة ، وكانوا يعلمون يقينا أنهم سوف يعتقلون فى بضعة أيام • وكان مع هؤلاء الثلاثة زوجاتهم وأطفالهم • **كذلك كان معهم فتاة رومانية يعرفها مارك • وتمكنت من الهرب من بوخارست بمساعدة المنظمة السرية اليهودية • ولكن منظمة A.J.D.C. فى بودابست اكتشفت أن الفتاة لم تكن يهودية ورفضت مساعدتها • والى هنا كانت اجراءاتنا تسير على الوجه المطلوب •**

ولكن لم تكن هناك وسيلة لمعرفة أن كان الهروب قد تحقق فى أمن وسلام • الا اذا سافر جوى الى ضيعته أو اتخذت طريقى الى فينا للتأكد من نجاح مهمتنـا • فلم يكن لدى هوج وسـيلة آمنة لكى يتصل بى فى بودابسـت • وكانت التعليمـات لا تسـمح بأن يتصل بمارك • كذلك الكولونيل فى فينا وكان فى وسعه أن يتصـل بى عن طـريق بيتر فى سويسرا ـ وهى جولة تستغرق بعض الوقت ـ لم تـكن له صلة بهـوج الذى كان العميل الوحيد الذى يعرف ان كان الهاربون قد وصلوا أم لا • وكانت المكالمات التليفونية التى تشير الى «وصول البضاعة» تعد اجراءات تثير الشك فى حقيقة الامر ، كذلك لم يكن جوى يرغب فى أن يتصل به سائقوا القرى مباشرة ـ سواء بطريق البريد أو التليفون ـ خشيـة أن يكونوا تحت مراقبة سرية ، كما لم يكن مطمئنا لاتصال وكيله به من وقت لآخر أكثر من اللازم ، ذلك لان الرحلة كانت تستغرق السيارات خمسة أو ستة أيام بين مغادرتها بودابست وبين أبلاغ جوى بموعد وصولها الى الضيعة • ثم اقتصرت مهمتنا على مراقبة ظروف الموقف • وأخذ جـوى يهتم بالاطـلاع على الجرائد اليـومية عسى أن تكون هناك أنباء عن اعتقال أشخاص يحاولون الهروب عبر حدود النمسا ، وفى الحـق كانت مهمـة شاقة ومرهقة للاعصاب • وأصبحت زائرا مستديما للحانة حيث كانت تعمل هيلين الوسيطة • وذلك لكى أتأكد بنفسى ان كانت هنـاك أنبـاء خطيرة •

وكان الاشتراكيون من المعادين للشيوعية يجدون صعوبات شديدة فى الاستعداد للانتخابات • ثم أتيحت لى فرصة الاجتماع مع كارولى بياس وأعضاء مجموعته ، وكان هؤلاء يعرفون تماما بأنهم من ألد أعداء الشيوعيين بما يزيد عن مناهضتهم للنازيين أو الرجعيين من أصحاب الاراضى • كما كانوا على يقين من أن هناك وسائل غاية فى العنف والقسوةسوفتستخدم ضدهم • ومع ذلك كانوا على أتم استعداد لخـوض معـركة الانتخـابات وكانت نظريتهم هى أنهم بتكوين حزب اشتراكى مستقل سوف تتاح لهم فرصة مناسبة فى الانتخابات • لاضعاف نفوذ الشيوعيين واحلالاشرافهم على منظمات العمل ، ثم كشف الستار عن ادعائهم الكاذب بأنهم وشيعتهم ممن يتظاهرون بالاشتراكية وانهم هم المتحدثون فعـلا باسم العمـال ،

وكانوا يأملون كذلك فى تخفيف تحامل الأمريكيين على الاشتراكية بنوع خاص • ثم يعملون على تحذير الاحزاب الاشتراكية فى أوروبا الغربية من أخطار هذه الجبهة الشيوعية وتصرفاتها ، ومع ذلك لم تطلب منى هـــذه المجموعة أية مساعدة من ناحيتى ، وفى الحق أنه فى مثل هـــذه الظروف الحرجة • لم يكن فى استطاعتى أن أفعل شيئا لمساعدتهم •

وبعد صدور البيان بتخلى سازاكا ستس عن رئاسة الحزب • لم يتمكن بيتر وأتباعه من الحصول على تصريح بتأليف الحزب الاشتراكى المستقل ، وعلى ذلك رأى أن يتحالف مع بيلازولت زعيم الحزب الديمقراطى المدنى • حيث كان لديه تصريح منذ أيام دبريسين واتفقا على أن يكون اسم الحزب « الحزب الراديكالى » وأخـــذ كل من بيتر وغيره من الزعماء الاشـــتراكيين يعمـــلون فى نطاق هذا الحزب باسمه الجديد وهـــم يأملون أن شهرتهـــم الشخصية بين العمال سوف تعوضهم عن اسم الحزب الاشتراكى السابق• (كان العمال المجريون يدركون حقيقة هذه المناورة • اذ أن المناداة بشعار « **تضامن الطبقة العاملة** » انما كان بقصـــد التمويه على أصحاب النظريات الاشتراكية فى الغرب • ولعدة سنوات كانت تصرفات بيتر موضوع نقد لاذع فى الاوساط الاشتراكية الدولية ، كما أن آنا كأثلى التى اشتركت ــ من وقت قريب ــ فى مكافحة الاشتراكيين ضـــد الشيوعيـــة • وقضت فترة بين جدران السجون لهذا السبب ، وجاءت الى فينـــا سنـــة ١٩٥٦ بوصفها وزيرة دولة ومبعوثة حكومة الثورة التى كان على رأسها ايمـــرى ناجى • لا تزال تستنكر تصرفات بيتر سنـــة ١٩٤٧ من حيث « خيانتـــه للطبقة العاملة » •

ولم تمض فترة قصيرة بعد الانتخابات حتى جاءنى ســـام لمناقشتى وكان يتحدث بلسان زعماء الحزب الاشتراكى المستقل ، وقال أنه قد تقرر فى النهاية أرسال مبعوث الى الغرب وسألنى أن كنت استطيع مساعدته على الهروب ، فأكدت له أنى استطيع ذلك وسألته عن شخصيةهذا المبعوث فقال : « لست أدرى • فهم سوف يختارون عضوا من بينهم • وأماالباقون فسوف يظلون فى أماكنهم » وهكذا تحقق لهم غرضهم ولكنهم دفعوا الثمن غاليـــا •

وفي أثناء ذلك انسحب بول من حزب صغار الملاك واشترك في تأليف الحزب المستقل ، وكان يتزعم هذه المجموعة زولتان بفيفر وهو محام وكان فيما سبق وكيلا لوزارة العدل ، ومن أكبر زعماء حزب صغار الملاك في حركة المقاومة ضد الالمان • وكان هذا الرجل معروفا بجرأته وشجاعته • وتقدم للدفاع عن بيلا كوفاكس حتى لحظة اعتقاله على أيدى الروس ، وكان أمل زعماء حزب الاستقلال هو اعادة حزب صغار الملاك بأغلبية أعضائه تحت اسم جديد • ويتركون بقية الاعضاء المستبعدين ليتولوا شئون الحزب القديم ، وفي هذا الصراع السياسي العلنى تصبح هذه الآمال عرضة للفشل أمام امكانيات أحزاب كل من الأب بولوه و برانكو فاكس و زولت • وهذا يعد ـ بطبيعة الحال ـ عنصرا هاما في مدى احتمال زولتان لنفوذ الشيوعيين ، وفي تشجيعهم برانكو فاكس • وفي ضغطهم على بولوه •

وبدا أن الشيوعيين لم يكتفوا بهذا القدر من تحقيق آمالهم • اذوضعوا مسودة لقانون الانتخاب وأعدوه لموافقة البرلمان عليه عن طريق التهديد والرشوة ، وينص على أنه لابد من الحصول على ثلاثة آلاف توقيع على الاقل في كل اقليم حيث يوجد حزب جديد له مرشح للانتخابات ، وبذلك أرغمت الاربعة الاحزاب غير المتحالفة على المنافسة ـ كل حزب ضد الآخر ـ وليس ذلك فقط في معركة الانتخابات ذاتها • بل أيضا في عدد الدوائر الانتخابية التي يمثلونها ، (كان هناك حزبان آخران في مثل هذا الموقف • بالاضافة الى الاربعة الاحزاب المذكورة • ولكن لم يكن لهما أهمية من حيث عدد أفراد كل حزب منهما) •

وبالرغم من هذا التناقض بدأ حزب الاستقلال في خوض المعركة • وكان نجاح الحزب ملحوظا لدرجة أن الشيوعيين لجأوا الى وسائل العنف التى سبق أن استخدموها في مناهضة حزب الحرية ، فبدأوا بارسال بعض الدهماء والمشاغبين لتحطيم مكاتب الحزب • وكان رجال الشرطة يرقبون الموقف عن كثب • وينتظرون انصراف المشاغبين لكي ينفذوا ما لديهم من الاوامر التي تقضى باعتقال من بقى في الحزب من أعضاء وموظفين بتهمة احداث الشغب وازعاج السلطات ، وكذلك اتخذوا نفس الاجراءات مع حزب الاستقلال ،ثم جاءني بول ذات ليلة من شهر أغسطس قبل الانتخابات بما يقرب من عشرة أيام ، وكان لقاؤنا بالقرب من كنيسة التتويج حيث وقعت أنظارنا على أضواء المدينة ونهر الدانوب وهو ينساب في مجراه ، وهنا بدت قصة بول كأنها تحول تلك الليلة الدافئة من ليالى الصيف الى ستار كثيف يخفي وراءه الشرور والآثام •

فقد كان يرافق بفيفر في جولة لالقاء الخطب في القرى التى تقع على الضفة اليسرى من نهر الدانوب الى الجنوب من بودابست ، وبينما كان بفيفر يلقي خطابا على جمهور من القوم يقفون في هدوء وانتظام · واذا بسيارتي نقل محملتين بالرجال تقتحمان الميدان · وقفز الجنود يهاجمون المجتمعين ويصيحون قائلين « الفاشيين » · فأصيب بفيفر باصابات من سلاسل الدراجات أفقدته الوعي ، بينما أصيب بول في وجهه بجروح خطيرة · وكسرت عدة أضلاع من أحد الرجال ، وفي أثناء المهاجمة تبين لبول أن أحد الزعماء كان من عملاء أمن الدولة · ولم يرحل السفاحون الا بعد أن سكت الخطباء وتفرق الجمع ، ثم تمكن بول من مساعدة بفيفر وآخرين على العودة الى بودابست ، وكانت زوجة بفيفر امرأة جريئة فأصرت على بقاء زوجها في مسكنهما وكانت الشقة ــ ذاتها ــ مقر لرئاسة الحزب · وكانت تعتقد أن وجوده في المستشفى لا يبعث على الاطمئنان ·

ولم يقتنع الشيوعيون بذلك · بل أخذوا يملأون بطاقاتهم بأسماء أنصارهم بما لا يدع مجالا للصدفة ، وقبل موعد الانتخابات بيومين جاءني تقرير من أدموند دل على أنه كان في غاية الدقة ــ لسوء الحظ ·

ومنذ فترة طويلة وفي أكتوبر سنة ١٩٤٦ · تلقت منظمة أمن الدولة أوامر لاعداد قائمة بأسماء أفراد قد تتكون منهم جبهة للمعارضة في داخل البلاد ، وكانت هذه القائمة تحتوى على الاعضـاء السـابقين في طبقة الارستقراطيين · ومن السياسيين · ومن أصحـاب الاراضي ومن أفراد « قائمة ب » (وكان هؤلاء الافراد ممن فصلوا من خدمة الحـكومة تحت سـتار الأسـباب الاقتصـادية) ، ثم أولئك الذين كانوا « ينـاهضون الديمقراطية »· الاشتراكيين من « جناح اليمين » من أمثال أتباع بير ــ وهم المنشقين من الشيوعيين · والنازيين السابقين · وأعضاء رابطة الشـعب الالمانية · (كان الفريقان الاخيران على سـبيل الاحتياط : اذ أن النازيين السابقين لم يكن لهم الحق في الاشتراك في الانتخابات · وأما رابطة الشعب الألمانية فقد صدرت أوامر السوفييت بترحيلهم الى ألمانيا) · وفي صيف سنة ١٩٤٧ كانت القائمة تحتوى على ١٦٠ر١٠٠٠ اسم ·

وفي نفس الوقت · كان قانون الانتخاب الجديد ينص على أن لوزير الداخلية حق اعداد قوائم للانتخـابات بحيث تحتوى على الطبقـات التى ليس لها حق الانتخاب ،. وهؤلاء من أمثال النازيين السابقين والافراد الذين حرموا من حقوقهم المدنية لاسباب جنائية أو غيرها · وأرسلت القائمة التى

أعدها رايك والتى تحتوى ١٦٠٠٠٠ر١ من الاسماء الى جميع مراكز الشيوعيين فى أنحاء البلاد ، كما أرسلت تعليمات لتحدى كل ناخب فى يوم الانتخاب اذا كان اسمه مقيدا بالقائمة المذكورة . ثم نشرت القائمة الرسمية التى أعدها وزير الداخلية بأسماء من لهم حق الانتخاب ، ولم تبين هذه القائمة — بطبيعة الحال — أسماء من حرموا من الانتخابات ، وكان عدد هؤلاء ١٦٠٠٠٠ر١ من الافراد بالضبط من بين جملة الناخبين وكان عددهم خمسة ملايين . (من بين هؤلاء كان ١٦٨٠٠٠ر من الاشتراكيين من « الجناح اليمينى » وأكثر من نصف مليون من الافراد الذين انتخبوا حزب صغار الملاك فى سنة ١٩٤٥) .

وبالاضافة الى ذلك كان قانون الانتخاب يسمح بتغيب الناخبين على اعتبار أن الناخب لا يرتبط بصندوق البطاقات الموجود بالمنطقة التى يقيم فيها . فقد كان لدى كل ناخب شهادة رسمية تعرف « بالبطاقة الزرقاء » . وهى البطاقات التى أعدتها منظمة أمن الدولة وبلغ عددها ٧٥٠٠٠٠ر بطاقة كانت توزع سرا فى الاقسام المحلية للحزب الشيوعى . ومنها ١٥٠٠٠٠ر قد أعطيت للحزب الوطنى من المزارعين طبقا لاتفاقات سرية ، وكان هذا الحزب من الموالين للشيوعيين ، ولم يكن كثير من المواطنين فى حاجة الى هذه « البطاقات الزرقاء » لان الانتخابات كانت تعقد فى يوم الاحد . ولكن أولئك الذين كانوا فى حاجة اليها — لاسباب قانونية — لم يستطيعوا الحصول عليها . كذلك جمع الشيوعيون كل وسائل النقل تحت تصرفهم . من سيارات الركوب وسيارات النقل . وهى تحمل أتباعهم وتطوف بهم فى أنحاء البلاد وهم يدلون بأصواتهم عدة مرات متكررة لصالح الشيوعيين .

وفى يوم الاحد ٣١ أغسطس اتضحت حقيقة المهزلة . فقد علمت من مارك أن المفوضية الامريكية كانت ترسل بعض مجموعات لمراقبة سير الانتخابات . وكانت هذه المجموعات تتلقى احتجاجات متنوعة من المواطنين المجريين ، كذلك ذكر مارك أنه علم من أحد كبار المحامين أنه كان يستنكر بشدة حرمانه من حق الانتخاب بسبب « سوء السلوك » بينما كان هناك عدد كبير من الدبلوماسيين البريطانيين يصرحون بأنهم قاموا بزيارة أربعة أو خمسة من الدوائر الانتخابية ووجدوا أنها تسير فى نطاق من الدقة والنظام ، ثم طلب السفير البريطانى من الوزير الامريكى أن يشترك معه فى اصدار تقرير عن هذه الانتخابات . ولكن الوزير الامريكى اقترح الانتظار حتى انتهاء فترة الانتخابات .

وكانت أرقام الحكومة تستلفت الانظار • فقد اتضح أن الحزب الشيوعى وهو أكبر حزب فى الدولة قد حصل على ٢٢٪ من عدد أصوات الناخبين • وانخفض عدد الاشتراكيين مما كان عليه سنة ١٩٤٥ من ١٨٪ الى ١٥٪ • وكذلك حزب صغار الملاك من ٥٧٪ فى سنة ١٩٤٥ الى ١٥٪ • ومازال عدد المزارعين الوطنيين ٨٪ بالرغم مما لديهم من « البطاقات الزرقاء » ، وحصل حزب الشعب الديمقراطى برئسة بارانكوفاكس وبمساندة الكنيسة على ١٦٪ من الاصوات ، وحصل بفيفر وحزبه المستقل على ١٤٪ ، بينما حصل حزب الأب بولوه على ٥٪ ، وحزب زولت وهـو الحزب الراديكالى على ٢٪ وكان يعضده بير وقد حصلت الاحزاب الاخرى على ما تبقى من الاصوات وكانت تقدر بنسبة ٣٪ ، وحتى هذه الارقام الرسمية والتى لم تكن تدل على حقيقة الامر • أثبتت أن ٤٠٪ من المواطنين أدلوا بأصواتهم ضد الائتلاف • و ٦٣٪ ضد التحالف بين الاشتراكيين والشيوعيين ، كما كانت هذه الارقام غير ذات موضوع : ولكى تكون لها دلالة حقيقية لابد أن ندخل فى اعتبارنا ما يزيد عن المليون ممن حرموا حق الانتخاب • وكذلك أن ٧٥٠٫٠٠٠ قد أدلوا بأصواتهم عدة مرات متتالية •

والارقام الوحيدة التى كانت لها دلالة حقيقية هى ما قدره الشيوعيون سرا من عدد الاصوات التى حصلوا عليها فعلا ، وقد بلغنى من أدموند أنه علم من مصدر من القسم الاول من منظمة أمن الدولة بعد مضى عشرة أيام على انتهاء الانتخابات • أن الشيوعيين نالوا ــ فعلا ــ ٧٪ من الاصـوات الحقيقية •

وحقا كان الفشل من نصيبنا • ولكن خفف من وطأة تلك الشجاعة والجرأة والامانة والشرف • تلك الصفات الحميدة التى امتاز بها عدة ملايين من المجريين •••

٦

قرار الرئيس

لقد كانت النتائج التى حصل عليها الشيوعيون فى انتخابات المجر سنة ١٩٤٧ ٠ واضحة جلية ٠ كما استغلت على أفضل وجه ٠ وكان ستالين ـ بطبيعته ـ يساوره الشك فى ارتكاب خطأ خطير من الناحية العملية ـ كما لاحظ لينين من وقت طويل ـ اذ كان على وشك أن ينتهك القانون الذى ينص على أنه لا يصح دائما أن يستولى الانسان فى الحال على كل ما تصل اليه يده أو يعتقد أنه من السهل الحصول عليه ، وقد أثبت هذا الفشل بعد ستة أشهر باستيلائه على تشكوسلوفاكيا ، الامر الذى لفت أنظار الغرب الى هذا الخطر ، وفى المجر سواء كان الشيوعيون يدركون أن خداع السوفييت حول انتخابات سنة ١٩٤٥ لا يمكن محوه دفعة واحدة ٠ أم كان لابد لهم من التشاور فى الامر بعناية واحكام ٠ فانهم تجنبوا التظاهر بالاستيلاء على الحكم بصورة علنية ، وكان ذلك سببا فى دهشة أولئك الذين كانوا على يقين من تزييف الانتخابات ٠ ولكن لما لم يكن هناك سياسى واحد يستطيع أن يستنكر اجراءات الانتخابات علنا ويكشف عن حقيقتها ـ وقد حاول بفيفر ذلك ولكنه دفع الثمن غاليا ـ فقد كانت الجماهير تدرك مدى هذا الكذب والتحايل ٠

وأخذ الشيوعيون يواصلون مهزلة التحالف بتعيينهم ألعوبة من حزب صغار الملاك فى منصب رئيس الوزراء ٠ ولم يضعوا تحت نفوذهم من الوزارات سوى وزارة الخارجية ٠ وأصبح النفوذ الحقيقى فى هذه الوزارة فى يد المدير الشيوعى للشئون السياسية جيورجى هالتانى وكان رجلا على جانب كبير من الذكاء والثقافة العالية ٠ (دخل السجن فيما بعد لانتمائه الى تيتو ثم تمكن من الهرب خلال ثورة سنة ١٩٥٦ ٠ ويدير الآن « معهد ايمرى ناجى » وهو معهد لابحاث ودراسة « الشيوعية الوطنية » ، وكانت هذه التغيرات فى وزارة الخارجية من صالحنا بالنسبة للشبكة التى كنت أشرف عليها ٠ اذ أن سارة وهى عميلة جندها جورج قبل رحيله كانت موظفة موثوقا بها فى القسم السياسى ٠

وفى أغلب الاحيان كان من الصعب أن أجتمع بهـذه العميلة سارة فهى لم تكن تجرؤ على استخدام التليفون ، كما أن مقابلتنا كانت لابد أن تتم بعيدا عن الانظاروالا تعرضنا لاشد الاخطار ،وزيادة على ذلك كانت حريصة أشد الحرص على مواعيدها من حيث العمل ومن حيث عودتها الى المنزل ، فكان اجتماعنا طبقا لميعاد يتقرر من قبل • وفى أحـد أركان الطريق بعد أن يأتى المسـاء • وكانت هذه الاوقات توافقهـا من حيث عودتها من العمل الى المنزل • أو من المنزل الى حيث تتلقى محـاضرات مسائية كان لابد منها ، فكنت بعد أن أتأكد من خلو الطريق من الرقباء • أقود سيارتى الى مكان قريب من الطريق حيث نلتقى • ثم اتوقف قليلا لكى أطمئن على أنه ليس هناك من يتبعها • وحينئذ تصعد الى السيارة بجانبى حيث أتلقى منها التقارير الشفوية قبل أن نصل الى المكان الذى تقصد اليه ، وكان الوقت هذا لا يستغرق أكثر من ربع الساعة وهو وقت كاف الى حد ما ، وفى ذات مرة كان لديها معلومات وافية بشأن استخدام الشيوعيين فى المفوضية المجريةفى برن فى أغراض جاسوسية• بالاضافة الى المعلومات الهامة التى كان السوفييت فى سويسرا ينقلونها بواسطة حاملى الرسائل من المجريين •

وبادرت بارســال هــذه المعلومات الى واشــنجطون والى بيتر فى سويسرا لمراقبة حاملى الرسائل من المجريين هؤلاء وهم يعبرون المنطقة الامريكية فى النمسا فى طريقهم من برن الى بودابست ، واتضح أن هذه المعلومات كانت على جانب كبير من الاهمية •

وعلى مسرح السياسة • كان لتظاهر الشيوعيين بالاعتدال أثر فى التمويه على بعض السياســيين من جبهة المعــارضة لكى يعتقـدوا أن الشيوعيين سوف يكسبون المعركة ،وكانت هذه الآمال الكاذبة تقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة التى من شأنها انقاذ الموقف • أضف الى ذلك أن الشيوعيين أخذوا يواصلون تدبير خططهم لتحطيم جبهة المعارضة شيئا فشيئا • وكان بفيفر ومن معه من أعضاء حزب الاستقلال أول أهداف التصفية بسبب جرأته وتصريحه حول تزييف الانتخابات •

وفى ٢٠ سبتمبر أبلغنى أدموند أن منظمة أمن الدولة تلقت الاوامر بزيارة جميع الأفراد الذين وقعوا على التماسات حزب الاستقلال بشأن الانتخابات فى جميع الاقاليم ، وكانت هذه الاجراءات تتضمن الآلاف من الافراد ولكنها انتهت فى آخر سبتمبر • وتحت تهديد منظمة أمن الدولة

سحب ٧٠٪ من الموقعين على هذه الالتماسات امضاءاتهم السابقة ، ثم عقد الشيوعيون لجنة برلمانية وكانت أولى قراراتهـا أن جميع أصوات حزب الاستقلال باطلة · كما قررت حل هذا الحزب ·

وأصبح الامر يحتاج الى صوت رسمي يتحدث عن موضوع الانتخابات فاضطر زولتان تيلدى رئيس الجمهورية ـ تحت ضغط الشيوعيين ـ لكى يلقي بيانا عاما يعرب فيـه عن اطمئنـانه الى سير الانتخابات واقتنـاعه بنتائجها ،وبذلك لم يعد هناك مجال لاى فرد آخر لكى يناقش الموضوع· وعندما سمعت قرار الرئيس تبين لى أن الامر قد انتهى · أو على الاقل هذا ما تبادر الى ذهنى فى ذلك الوقت ·

وبعد مضى يومين طلب منى مارك ـ وعلى وجهه مظـاهر الاهتمام ـ مقابلـة دكتور فيكتور سـكورنوكى زوج ابنة الرئيس · وكان الرجل لا يشتهر باستغلال نفوذ صهره وما هو فيه من مركز رفيع · ولم يحاول أن تكون زيارته لى فى منزلى من وراء ستار بل جاء على مرأى من الانظار· وبالرغم من شهرة علاقته بالرئيس وجدته رجلا متواضعا لبقا فى حديثه · وكان يمتاز بروح معنوية عالية كما بدا عليـه الاهتمام بالمسـائل التى جاء من أجلها · اذ بدأ فى مناقشة الموضوع مباشرة وقال : « أن الرئيس يرغب فى الهروب من البلاد ، حتى اذا وصل الى الغرب فى أمان سوف يلقى بيانا عن نتيجة هذه الانتخابات التى تبعث على السخرية · ولن يعود الى الحديث بشأنها بعد ذلك ، فماذا تستطيع أن تفعله من أجلنا ؟ » ودهشت كثيرا لحديثه هذا الذى استولى على مشاعرى · فقد كان دور الرئيس فى السنتين الماضيتين لا يمكن أن يغفر له أو يغيب عن الاذهان ، ولكنه ـ فى الواقع ـ أصبح رئيسا لجمهورية المجر·وهذا الاتجاه الجديد ـ اذا تمكن من تحقيقه ـ سـوف يعوضـه عن بعض أخطائه على الاقل · وسوف يكون له أثر بالغ فى المحيط الدولى ·

وسألته : « لماذا أعرب الرئيس عن موافقته على هذه الانتخابات ؟ » فهز سورنوكى كتفيـه وقال : « كان مرغما على ذلك بطريق التهديد · وكل منا يعلم أنه لم يكن له مطلق التصرف فيما يراه من اجراءات » · وكان رده هذا لا يشتمل على حقيقة الامر وما يتعلق بموقفه من تفصيلات شاملة ، ولكنى رأيت أن أتغاضى عن الاشارة الى أن العقبة الشديدة التى

كانت فى سبيله هى ما لدى منظمــة أمن الدولة من الملفات التى تثبت بعض تصرفات مالية تنســب الى كل من ابنه وزوج ابنته ، وقلت له : « أن هذه العملية ليست من السهولة الى حد كبير · فهل أنت على يقين من أن الرئيس قرر الهروب بصورة قاطعة ؟ » ·

فقال سوزموكى : « نعم · هذا هو قراره النهائى · ثم قدم لى قائمة تحتوى على اسم الرئيس ومعه أحد عشر شخصا · وقال أن هؤلاء لابد أن يكونوا برفقــة الرئيس · وباطلاعى على القائمة اتضح لى أنها تحتوى على أسماء أفراد عائلة الرئيس وزوجته · فسألت سوزنوكى : « ومتى تريد أن تعرف النتيجة ؟ » فقال : « هذا أمر يرجع اليك لكى تتم المهمة على الوجه المرغوب · مع العلم بأن الرئيس فى شدة القلق لكى يتم الامر فى أقرب وقت ممكن · وهو يريد أن يخدم البلاد برحيله هذا · وكلما أسرع فى القاء حديثه فى الغرب · كلما كان لذلك أثر بالغ فى محيط السياسة الدولية » ثم أخذ يبدى ما يراه فى التنفيذ ، ومن رأيه أن العملية تكون أقرب الى النجاح اذا تمت عن طريق المسكن الريفى للرئيس بالقرب من بحيرة الاتون · وهو طريق أطول مســافة من طريق بودابســت · ولكنه لايحتاج الا لاجتياز جزء قليل من البحيرة ·وطرأ على بالى أنه اذا كان يظن ذلك فمن المحتمــل أن تتجه أنظار الحراس الى نفس الفكرة · وهم حرس الرئيس من القسم الخامسعشر التابع لمنظمة أمن الدولة وقلت له . « انى فى حاجة الى أسبوعين · وأسأل الرئيس أن يقضى بعض الوقت بالقرب من البحيرة خلال العشرة الايام الاخيرة من هذه الفترة · فوافق سوزموكى وقال أنه سيعود لزيارتى بعد مضى أسبوعين بالضبط ·

وفى تلك الليلة توجهت الى هيلين لاخبرها بضرورة مقابلتى لجوى فى اليوم التالى · وكان ما أتوقعه من هذه العملية يثير فى نفسى مزيجا من الشعور بالخوف والتردد ، وفى بعض الاحيان كنت أشعر بالرغبة فى الاقدام على العمل عن طيب خاطر · وعندما التقيت بجوى وعرضت عليه رغبة سوزموكى بدت عليه مظاهر الاستياء وهو يقول : « لو كنت مكانك لما أبديت أقل اهتمام لانقاذ أحد منهم وعلى الاخص ذلك الرجل تيلدى »· فقلت : « الامر لا يتعلق بانقاذ تيلدى · ولكن المقصود هو وضع رئيس جمهورية المجر فى مكان آمن بحيث يستطيع تقديم خدمة خليلة لبلاده » ·

واخذ جوى يفكر فى الامر لحظةوبدا على وجهه أنه استبدل وجهه نظرة فقال :

« مادمت تعتقد ذلك · اذن لنبدأ فى التنفيـذ » · وقرر أن يقضى بضعة أيام فى فحص تنفيذ العملية من بودابسـت · حتى اذا أخبرنى بالنتائج التى حصل عليها · يتوجه بعد ذلك الى بحيرة بالاتون لقضاء عشرة أيام هناك · وقال : « انى فى حاجة الى أجازة لبضعة أيام » ·

ولاول مرة يستجيب رؤسائى لدعوتى ولم يطالبوا بتفصيلات شاملة لخطتى حول تهريب الرئيس · ولكنهم · كما لو كان فى مقابلة ذلك ـ بعثوا الى برسالة يؤكدون فيها أن بول أصبح فى موقف شديد الخطورة · ويطلبون ابعاده عن البلاد فى أقرب فرصة · فاتصلت به ـ عن طريق جين ـ لابلاغه هذه الرسالة ·وعند عودتهاقالت أنها تلقتمنه ردا مختصرا يشير فيه الى سابق اتفاقنا على أنه سوف يخبرنى اذا رأى أن هنـاك ما يدعوه لمغادرة البلاد ، ثم أكدت لى أنه تلقى الرسالة بمظاهر الاستياء · وأنه يعتبر أنه يعرف حقيقة موقفه أكثر مما تعرفه واشنجطون ، مع انى كنت أفضل تنفيذ أوامر الرئاسة · وعندما أرسلت لهم وجهة نظره هذه تلقيت منهم ردا حاسما يقول : « أنك مسئول شـخصيا عن سلامة بول وحفظـه من الاخطار ، ولم يكن فى وسـعى سوى أن أتحمل أعباء هذه المسئولية عن طيب خاطر ·

وفى بضعة أيام جاءنى جوى ليعرض على النتائج التى وصل اليها بعد فحصه القصر الجمهورى فى بودابست · وقال : « الامر يبدو مستحيلا · أنه هناك تحت حراسة مشددة · ولن نستطيع اخراجه من القصر الذى يتكون من ثلاثة مبان شـاهقة · قبل أن يحيط بنـا رجال منظمة أمن الدولة واذا تمكنا من دعوته لتناول الغذاء معنا فى بودا فحينئذ يصبح الموقف أشد خطرا · اذ ترافقه دائما فرقة من الحرس أشـد بأسا من المكلفين بحراسته وهو داخل القصر » · وبعد ذلك توجه الى بحيرة بالاتون حيث كان يعتقد أنها مكان يستطيع أن يطمئن اليه الى حد ما ·

وبعد يومين كنت أستقبل فى شـقتى أحد مراسـلى مجلة أمريكية مشهورة · واذا بى أرى سوزموكى يقف على الباب دون استئذان ويبدو مستبشرا على غير عادته ، وعندما أشرت اليه بأن معى أحد الزائرين · لم

يبدو اهتماما ودخل حيث قدم نفسه اليه · وما لبث أن اشترك معنا فى حديث ودى · وفى ظنى أن الرجل لم يكن متآمرا لانه كان يدرك ما تؤدى اليه المؤامرات من عواقب وخيمة · وفى أثناء المحادثة تبين لى أن سوزموكى اعتقد أن ضيفى الآخر كان أمريكيا ولذلك كان مطمئنا وهو يسلمنى قائمة أخرى ـ مما سبب لى شيئا من الارتباك ـ ثم قال : « هذه أسماء ثلاثة أشخاص آخرين فمن أدوا خدمات جليلة لصهرى · ونحن لانستطيع أن نتخلى عنهم · » فحاولت ألا أبدى اهتماما بالامر · ولكنى وجدت سوزموكى يواصل حديثه قائلا . « وبناء على رغبتك · فان صهرى سوف يقضى الاربعة الايام القادمة بالقرب من البحيرة · وسأكون هناك مراقبة ظروف الموقف · وفى اعتقادى أن المكان يناسبنا الى حد كبير » · فأسرعت بموافقته على هذا الرأى بينما كنت أشعر بشىء من الضيق والحرج · ثم غادر الرجل بعد بعض محادثات لم يترك فيها فرصة لكى يؤكد لضيفى أن صهره كان رئيس الجمهورية ·

وهنا ضحك صديقى مراسل المجلة وقال : « اذن يريد الرئيس أن يلقى ضربته · حقا أنها قصة مثيرة » · وكان هذا المراسل من ضباط المخابرات أثناء الحرب حيث أدى خدمات جليلة · فقررت أن أصارحه القول دون أن أذكر له تفصيلات الموقف · وقلت له أنه حصل على معلومات على جانب كبير من الخطورة · وأن عليه أن يحتفظ بها ولا يذكر شيئا عنها مهما كانت الظروف ، وحذرته من أن هناك أشخاصا قد يتعرضون للهلاك · كما أن حكومة الولايات المتحدة تهتم بهذا الامر الى أقصى حد ، فأكد لى أنه يعتبر أنه لم يسمع شيئا مطلقا ، وبعد ذلك رحل الى الغرب فى اليوم التالى · وفى الحق كان الموقف حرجا فى مثل هذه الظروف · ولم يكن هناك سبيل للانكار لان المراسل ـ بحكم مهنته ـ لابد أن يسعى وراء كل قصة يسمع بها ، كما لابد له من التحرى عن حقيقتها ·

وفى هذه الآونة أصبح رحيل علماء البحرية أمرا لابد منه بعد أن بذلت الجهود لمدة شهرين · وبعد عدة طلبات متكررة قررت أن أصرف لهم بالتدريج مبلغ الخمسة آلاف من الدولارات · ودفعت بعض هذا المبلغ بصفة رشاوى بقصد استخراج جوازات السفر · ثم أكدوا لى أنه تقرر سفرهم فى أوائل الاسبوع حيث كان جوى مقيما بالقرب من بحيرة بالاهون · ولما كان رحيلهم بصفة قانونية حجزت لهم أماكن على الطائرة

الحربيه الامريكية التى كانت تسير بانتظام بين فينا وبودابست وبين بوخارست وصوفيا • وقبل يوم من الموعد المحدد لسفرهم جاء لزيارتى اثنان من هؤلاء العلماء • واتضح أن منظمة أمن الدولة أصرت على رفض اصدار جواز سفر لاحدى الزوجات •

وأصبح العلماء فى حيرة شديدة من أمرهم • لان الزوج رفض السفر دون أن تصحبه زوجته ، ولان المجموعة لا تستطيع تأدية مهمتها على الوجه الاكمل اذا نقص أحد أفرادها ، كما أن العلماء ممن معهم جوازات السفر كانوا يعلمون أن هذه الجوازات تصبح باطلة المفعول اذا تأخر رحيلهم عن موعده ، وكان جوى لا يزال مقيما بالقرب من بحيرة بالاتون ولن يعود قبل مضى أسبوع ، وفى الواقع لم يكن لى الحق فى أن أشترك فى أية عملية أخرى قبل الانتهاء من تدبير هروب الرئيس • ولكنى ـ فى نفس الوقت ـ كنت أعتقد أن فشل هؤلاء العلماء فى مغادرة المنطقة التى يشرف عليها السوفييت قد يعد عقبة شديدة بالنسبة لامن الدول الغربية •

لذلك أخبرت الزوج بأن يحضر زوجته الى شقتى بعد المساء مباشرة، ولكن بشرط ألا يراها أحد عند مغادرتها مسكنها أو هى فى طريقها الى منزلى ، ثم عليه أن يقضى ليلته فى مسكنه بمفرده ويتظاهر بأنه يتحدث الى زوجته من وقت لآخر • لكى يبدو لجيرانه أن زوجته كانت معه ، وفى الصباح يتظاهر مرة أخرى بأنه كان يودعها بدموع حارة • مع ملاحظة ألا يراه أحد وهو يتحدث الى شخص خيالى فى غرفة ليس بها غيره ، بينما كانت زوجته تقضى ليلتها داخل صندوق لينقل فى الصباح الى الطائرة مع أمتعة الركاب • ودهشت عندما لاحظت أن الزوج كان مغتبطا بهذه التمثيلية • حتى أنه تعهد بتقليد صوت زوجته أثناء وجوده بمنزله •

وكنت أرقب الزوجة عند وصولها الى حى الفار فى ذلك المساء • وكانت قد قطعت المسافة مشيا على الاقدام دون أن يتبعها أحد ، وكان الامر يقتضى أن أعتمد على ما تقوله فليس هناك دليل آخر ، ولحسن الحظ كانت المرأة نحيفة الجسم قصيرة القامة • فأخترت من بين مجموعة الصناديق واحدا منها يكفى لان ينتقل فيه من جنب الى جنب ولكنه لا يكفى لامتداد ساقيها الا بقدر ما يسمح طول الصندوق • وكان لابد لها من قضاء خمسة عشر ساعة بداخله • وفضلت ذلك على أن تبقى بعيدة عن زوجها عدة سنوات • ثم وضعت بداخل الصندوق أغطية ومساند لمنع الصوت الذى تحدثه اذا تحركت بداخله • ومن ناحية أخرى تشعر

بالراحة وهى بداخل الصندوق • كذلك أعددت بجوانبه عـدة فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء • ثم أحكمت وضع الغطاء فوقها وكتبت عليه بحروف الطباعة كلمة « قابل للكسر » و « أجهزة خاصة بحكومة الولايات المتحدة » بحيث كانت الكتابة تملأ مسـاحة الغطاء • وذكرت العنوان « مرسل الى المفوضية الامريكية ـ فينا » • حتى اذا انتهت هذه العملية سمعت صوتا من داخل الصندوق « المكان هنا مريح للغاية » • وبعد ربع ساعة وصلت سيارة نقل من Motov Pool حسب أوامرى ونزل منها رجلان من وحدة النقل وحملا الصندوق ، فأشرت الى أن ما بداخله قابل للكسر وقلت لهما : « يجب أن يوضع هذا الصندوق فى مكان بحيث لا ينقل كثيرا من مكان الى آخر فى الجراج هذه الليلة » •

فقال أحدهما : « لا ياسيدى • سيبقى فى مكانه على سيارة النقل • لان بقية حمولتها ستنقل الى نفس الطائرة » • وشعرت بالارتياح لهذه الاجراءات • بالرغم فى أن كلا من الزوج وزوجته كان لابد له من قضاء ليلة يسودها الشعور بالخوف والقلق ، ولكن ذلك كان أفضل من نقل الصندوق فى الصباح والسير به مباشرة الى المطار مما يثير الاشتباه فى أمره ، كذلك أية حركة فى الجراج أثناء الليل قد تستلفت أنظار الحراس المجريين الذين يقفون على باب الجراج الحربى ، ومنذ شهر مضى حدث فى بوخارست أن قام بعض جنود من الامريكيين بنفس الخدعة ونقلوا ثلاثة من مواطنى رومانيا ، ونفذت الخطة على الوجه المرغوب • ولكن بعد مضى أسبوع واحد طلبت قيادة السـوفييت اعادة الثلاثة الرومانيين الذين هربوا على متن طائرة أمريكية، لذلك كنت آمل أن السوفييت لا يعتقدون أننا أغبياء بحيث نكرر نفس الخدعة بعد فترة قصيرة •

وفى صباح اليوم التالى ـ بعد سفر الطائرة ـ توجهت لمقابلة مارك الذى كان يراقب الموقف فى المطار ، كما يعلم انى دبرت رحيل العلماء • ولاحظت أنه يبدو مشغول البال • فسألته : « هل أقلعت الطائرة فى أمان وسلام ؟ » وكان رده : « نعم سافرت بينماكنت مضطرب الاعصاب » فنظرت اليه نظرة من يريد مزيدا من الايضاح • فقال : « أن العسكريين لا يرسلون طرودهم التى عليها اشـارة « قابل للكسر » الى المفوضية الامريكية فى فينا • بل يرسلونها الى البعثة العسكرية مباشرة • ولكن لحسـن الحظ لم يدرك هذه الحقيقـة الحراس المجريون كمـا أن الروس لا يستطيعون القراءة » • فقلت : « كنت أظن أن هذه طريقة دبلوماسية أفضل من أى وسيلة أخرى » • ورد قائلا أننا ليس أمامنـا سـوى أن نتعشم خيرا على أية حال •

بعد ذلك لم نسمع شيئا عن هؤلاء العلماء سـواء من السـوفييت أو المجريين . ولكنى سمعت من البحرية . اذ بعد عدة أسابيع . أثناء وجودى فى فينا . قدمنى هوج الى ضابط أمريكى برتبة اللفتننت كوماندر حيث لاحظت على وجهه ملامح الضيق والقلق الشـديد . وهو يقول : « نحن نقدر ما فعلته وكل ما بذلته من جهود من أجلنـا . ولكن مبلغ الخمسة آلاف دولار كان من المفروض أن يكفى هؤلاء القوم حتى وصولهم الى الولايات المتحدة. بينما صرفت هذا المبلغ لكى يصلوا الى فينا فحسب. انى أستطيع أن أواجه ادارة الحسابات » ثم وقعت أمامه على شهادة تثبت ضرورة الاغراض التى من أجلها أنفقت المبلغ المذكور . وأنه لولا ذلك لما تمكنت البحرية من الحصول على هؤلاء العلمـاء ، ولكنى ــ فى نفس الوقت ــ لم أكن راضيا عن تصرفاتى . اذ كنت أشعر بأن العملية كانت تنطوى على شىء من الاهمال والمخاطرة . وعقدت العزم على أنى لا أتخذ مثل هذه الوسائل فى عملية انقاذ الرئيس تيلدى .

وفى الاسبوع التالى عاد جوى من رحلته الى بحيرة بالاتون . وقال أثناء زيارته لى : « هذه عملية شاقة للغاية . ولكن من الممكن تنفيذها » . ثم أخذ يبين تفصيلات الخطة التى كانت معقـدة الى حد ما وتحتـاج الى فترات محددة لتنفيذها ــ وفى نفس الوقت ــ كانت تبدو سهلة التنفيذ فى شىء من الحرص والعناية . ومن ناحية أخرى لم يكن هناك مجال لنقل أكثر من ثمانية أشخاص ــ اذا ساعدنا الحظ ، ومن حيث الاقتراب من فيللا الرئيس ومن ناحية الباب المطل على الطريق فقد كان هذا أمرا بعيد المنال ، وكانت الفيللا تمتد على الشاطىء ومن الممكن الوصول اليها من ناحية البحيرة ، وكانت الاجراءات تشمل عبور الماء بواسطة الزوارق التى تحمل أفراد العـائلة من مواقع متفرقة على شاطىء البحيرة . ثم تكرار هذه العملية طبقا لمواعيد محـددة . ثم يأتى بعـد ذلك دور نقلهم فى مجموعات الى الحدود . وعلى ذلك لابد أن تشتمل العمليات على سيارات وقوارب وأمكنة للاقامة المؤقتة وأهم من ذلك كله وجود رجال للمساعدة فى عمليات النقل ،ولم يكن أكثرمن أربعة أفراد للعناية بثمانية أشخاص. وكان مطمئنا لهذا العددضمانا لاستتباب الامن. ثم أن استخدام سيارات وقوارب أكثر من اللازم يعد أمرا يلفت الانظـار ويدعو للاشـتباه فى العمليات ذاتها ، أضف الى ذلك فان أفراد عائلة الرئيس لم يزيدوا عن ثمانية .

فنقلت هذه المعلومات الى سوزموكى الذى كان يشك كثيرا فى أن صهره يستطيع السفر دون الاربعة عشر شخصا السابق ذكرهم ، وتبين لى أن الرجل يشعر بقلق شديد حول هذا الموضوع ، فشرحت له صعوبات الموقف وأكدت له أن مصلحة البلاد قد تتعرض للخطر . وعندئذ وعد بأن يستشير الرئيس فى الامر ثم يفيدنى فى أقرب وقت ممكن ، وفى نفس الوقت استعرضت الامر مع جوى مرة أخرى فوجـدته مصرا على رأيه ورفض اطلاقا أن يخاطر بالعملية وينقل أكثر من ثمانية أفراد ، وكان على حق فى وجهة نظره لانه اذا نقل عددا أكثر فقد يصبح بعضهم عرضـة للاعتقال ، وأثناء مثل هذا الاضطراب لا يستطيع أن يضمن أن الرئيس ذاته لن يكون من بين المعتقلين الذين لم يسعدهم الحظ ، وبدأت أشعر بالقلق وعدم الارتياح لاتمام هذه العملية ٠ فلم تكن لى ثقة تامة برئيس الجمهورية لغاية الآن ، وكنت أرتاب فى أنه يحتمل أن يغير رأيه ويصدر قرارا خاطئا مرة أخرى ٠ ولكن كانت هناك حقيقة واقعة وهى أن الرجال أثناء الازمات لابد أن يغيروا ما بأنفسهم مراعاة للظروف ٠

وجاءت اللطمة التالية من ناحية لم تكن نتوقعها ٠ اذ أن صديقى مراسل المجلة الامريكية نشر فيها مقالا جاء فيه أن الرئيس المجرى يدبر خطة للهروب بقصد استنكار الاعيب وحيل الشيوعيين فى انتخابات شهر أغسطس ، ولم يذكر فى المقال كلمة « أشيع » أن بل نشره على أنه حقيقة واقعة مما يوحى بأن هذه المجلة تعرف كل ما يجرى فى أنحاء العالم ٠ ونعرض على القارىء وهو فى بلاده معلومات عما يحدث فى داخل البلاد الاخرى ٠ وهنا أصبحت على يقين من أن هذا المقال ــ مهما كان الغرض من نشره ــ سوف يكون له أثر كبير ٠ (وكان شعورى بالضيق مما حدث مرجعة الى أنى لم أتبع ما سـبق أن اعتزمته حول الحرص على أن تكون عملياتى دائما من وراء ستار والا أذكر عنها شـيئا سـواء للصحافة أو الجمهور أو أعضاء فريق المعارضة ٠ وهذا المراسل تعهد أمامى بألا يذكر كلمة عما سمعه ولكنه لم يوف بوعده) ٠

وانتشر النبأ فى أنحاء البلاد ووصل الى أروقة البرلمان ، ووجهت اهتمامى لمعرفة حقيقة مشاعر القوم ٠ فلاحظت أن أغلبية السكان كانوا يرقبون الموقف فى هدوء لمعرفة حقيقة النبأ ومـدى صحتـه ٠ وأسرع الشيوعيون فى تدبير أمورهم من وراء ستار عسى أن يكون النبأ على غير أساس من الصحة ٠

وهنا أصبحت أتوقع أننى لن أقابل سوزموكى مرة أخرى • ولكن لدهشتى ـ وجدته يأتى لزيارتى بعد حوالى أسبوع ، وكان صهره مرتبطا بالقاء حديث فى الاذاعة فى ذلك المســاء ، وكان وصول سوزموكى الى منزلى فى اللحظة حيث بدأ الرئيس يلقى كلمته • فسألته عن موضوع حديث الرئيس ، فقال مبتسما : « الرئيس يقول أن هذه الانباء ليست سوى محض اختلاق وعدوان على ديمقراطية المجر ، وأن الانتخابات كانت حقيقة ولا يشوبها شيء من التزوير أو التمويه • وأنها تضمن مستقبلا زاهرا للبلاد • وأنه يفخر بمنصبه ليقود الامة لتحقيق مكاسب ديمقراطية أعظم شأنا » وبينما كان الرئيس لا يزال يلقى خطابه قال سوزموكى : « والآن • لابد أن تعلم أن صهرى أصبح أشد رغبة فى الرحيل أكثر من وقت مضى • وفى أقصى سرعة ممكنة » •

ولم أستطع أن أفهم حقيقة الموقف • اذ أن الامور أصبحت أشــد خطرا وتعقيدا مما كانت عليه ، ولكن الرجل لم يبد على وجهه أنه مهتم بالموقف الراهن فقد واصل حديثه يقول : « على أية حال هو لا يستطيع أن يتخلى عن أولئك من المقربين اليه ومن المخلصين له • ولا يرضى بتركهم للمصير الذى لابد منه اذا ظلوا فى البلاد بعد رحيله ، ولذلك تجــدنى مصرا على أن يكون عدد الهاربين أربعة عشر شخصا ، وتبين لى أن أصراره هذا لا معنى له ولا يطابق الواقع بأية حال ، فقلت له أن الموقف أصبح أشد خطرا دون جدال • وأن من واجبه أن يتحدث عن عدد قليل من الهاربين وليس عن عدد يزيد عن الثمانية ، ومع ذلك وجدته مصرا على رأيه ولا يبالى بالمخاطرة مهما كان نوعها ، كذلك لم يكن مهتما مطلقــا بما نشرته المجلة الامريكية حول مقاصد رئيس الجمهورية ، وبدا كأنه يعيش فى دنيا الاحلام ولا يرغب مطلقــا فى مواجهة الواقع ، وبدا أنه يتقبل ما تأتى به الايام من الخير والشر على حد سواء • فلم أجد مناصا من أقول له : « انى آسف • لان تهريب ثمانية أفراد أمر شاق الى أقصى حد • ولن أتحمل مسئولية عدد يزيد عن ذلك » • وظل الرجل ثابت الجنان وقال : « نحن أسرة يرتبط أفرادها بصلة وثيقة • فأما أن يرحل أربعة عشر شخصا لاينقص منهم أحد• وأما تتخلى عن هذه الخطة اطلاقا »• ثم انصرف على أثر ذلك • ولم يكن أمامه أكثر من سنة واحدة لكى يبقى على قيد الحياة •

(وبقى الرئيس تيلدى فى منصبه فى المجر · وبعد بضعة أشهر صدر الامر بتعيين سوزموكى وزيرا مفوضا فى مصر حيث بدأ يتجاهل الموظفين من حوله ومراقبتهم لتصرفاته ، وأخذ يحاول أمامهم الاتصال بمنظمات المخابرات فى الغرب · وما لبث أن استدعى الى بودابست حيث اعتقل وقدم للمحاكمة وكانت نهايته الحكم بالاعـدام شنقا · وحينئذ اضطر تيلدى للاستقالة من رئاسة الجمهورية التى أسندت الى زاليسس الاشتراكى والذى انضم حزبه الى الشيوعيين ، وخلال ثورة سنة ١٩٥٦ قتل والد زوجة تيلدى على أيدى النازيين كما قتل الشيوعيون زوج ابنته، ثم عين تيلدى وزيرا للدولة فى حكومة ايمرى ناجى · ومن المعروف عنه أنه أبدى شجاعة فى منصبه هذا ورفض أن يغادر قاعة البرلمان أثنـاء هجوم السوفييت فى ليلة ٤ نوفمبر · قبل أن يغادرها أعضـاء الحكومة والموظفون الموالون لها ، وبعد ذلك أخذ يقاسى أنواع الاعتقال والسجن على فترات حتى وفاته فى سنة ١٩٦١) ·

٧

الهـــــروب

لولا غياب جوى لفترة عشرة أيام بالقرب من بحـيرة بالاتون لـكانت حركة التهريب تسير بانتظام • ولاصـبح الامر سهلا بالنسبـة لاعضـاء البرلمان ، ولما ضعف مركز الشيوعيين أمام جبهة المعارضـة • وأخـذوا يسعون فى رفع الحصانة البرلمانية عن رجال القانون قبل الاعتداء عليهم وكانت تمر عادة بين طلب رفع الحصانة وصدور أمر اللجنة المختصة فترة تتراوح بين يومين أو ثلاثة ، وخلال هذه الفترة كان يتم تهريبالعضو قبل أن يقع بين أيدى الشيوعيين ، وفى أول الامر لم تكن هناك صعوبة تذكر • ولكن عندما ازداد عدد الهاربين خلال هذه الفترة بدأت منظمة أمن الدولة تشدد رقابتها على ضحاياها • وحتى قبل صدور الاوامر بالاعتقال ، ثم وقفت بعض عقبات فى سبيننا بسبب رغبـة بعض النواب ممن اعترفوا الهروب ، فى القاء حديث شديد اللهجة فى البرلمان لآخر مرة ، ولما كانت هذه دلالة على أن هنـاك خطة مدبرة ، فكان لابد وأن أصر على أن هؤلاء الهاربين ـ اذا أرادوا تحقيق غرضهم ـ فلابد لهم من أن يتخلوا عن القاء هذه الكلمة الاخيرة التى قد تكون حجر عثرة فى سبيلهم •

وحققت مهاجمة حزب الاستقلال نجاحا فى أوائل أكتوبر • ثم بدأت اجراءات رفع الحصانة البرلمانية عن معظم نواب الحزب • وفى ١٤ اكتوبر وجد بفيفر أنه لابد له من الهرب مع زوجته وابنته البالغة من العمر خمس سنوات ، وبالرغم من أن الرجل كان تحت مراقبة دقيقة فقد تمكنا من تهريبه ، ثم علمتمن هوج فيما بعد أن هروب الرجل صادف عقبة شديدة فى فيينا لولا مساعدة الامريكيين • اذ كان وصوله الى فينا فى منتصف الليل • وفى صباح اليوم التالى • وقبل أن يتمكن هوج من نقله الىالمنطقة

الامريكية في النمسا ، نشرت الصحيفة التى تصدر باللغة الالمانية • والتى تصدرها سلطات الاحتلال الأمريكية • صـورة فتوغرافية كبيرة لبفيفر على أولى صفحاتها واشارت الى الشائعات حول وجوده فى فينا ، وعلى ذلك اضطر هوج لتغيير خططه التى وضعها لنقل الرجل وعائلته فى سيارة الى المطار الحربى الامريكى فى توكين ويقع بالقرب من المنطقة السـوفييتية واستبدل ذلك بأن يستقل الرجل وعائلته طائرة صغيرة من مكان معـد لهبوط الطائرات فى القطاع الامريكى فى فيينا •

أما بالنسبة للافراد من غير نواب البرلمان فقد كان علينا أن نعتمـد على مدى ادراكهم لخطورة ما يتضمنه الهروب ، وعلى المعلومات التى كان أدموند يحصل عليها من منظمة أمن الدولة ذاتها ، كذلك أخطرت أعضاء الشبكة أن فى استطاعتهم الهروب اذا وجدوا أن الامر يستدعى مغادرتهم البلاد ، وانتهز هنرى هذه الفرصة بعد أن ظل فترة من الوقت لا يؤدى مهمة معينة ، ولكن هؤلاء لم يكونوا وحدهم مصادر « معلوماتنا » •

ففى شهر أكتوبر أرسل لى مارك أحد الامريكيين من رجال الاعمـال وكان مندوبا لاحدى الشركات الامريكية الكبرى التى لها فرع فى المجر ، وكان مجىء الرجل يقصد زيارتى • وسبق أن كنت أراه من قبل فى أغلب الاحيان بطريق المصادفة فكنت أجده عادة مستبشرا قوى العزيمة ، وفى هذه المرة ـ عنـدما جاء لزيارتى ـ كان يشعر بالضيق بسبب احتكاكه بمنـدوب السـوفييت فى نفس الشركة ، والذى كان مختصـا بتصفية ممتلكات الالمان المصادرة • وفى هذا اليوم بالذات كان قلقا لأقصى حد • وقال فى شىء من التردد والاحراج أنه تلقى رسالة من زميله فى بوخارست تفيد بأن هناك أربعة عشر من رومانيـا سوف يصـلون فى مـدى يومين بالطائرة بطريقة غير قانونية ، وكان هؤلاء من كبار موظفى عدة شركات بريطانية وأمريكية فى رومانيا ، وقررت هذه الشركات انقاذ موظفيها ، وكانت مهمة الرجل أن يعمل على تهريبهم من المجر ولذلك كان فى حيرة شديدة من أمره ، فوجدت أن أربعة عشر شخصا هم مجموعة كبيرة ليس

في استطاعتنا تهريبهم في سهولة ويسر • وعزمت على أن أترك له فرصة ثمان واربعين ساعة لكي يسترد هدوءه وقلت له أن يعود الى في صباح اليوم التالى •

ودهش جوى عندما سمع بهذا العدد الكبير من الهاربين، ولكن المغامرة ذاتها شجعته على تأدية المهمة ، وكان — أثناء رحلاته الى البحيرة — قد أعد تسهيلات اضافية لاقامة الهاربين وعلى ذلك قرر تجربتها ، واتفق معى على ثلاثة مواعيد مختلفة للاجتماع بالرومانيين يوم وصولهم • فنقلت هذه المعلومات الى صديقى الامريكى الذى تلقاها بمظاهر الارتياح ، وفى الليلة التالية اتصلت بهينين لأعرف وجهة نظرها فى هذه الاجراءات فقالت بكل بساطة : « لقد أصبحت البحيرة مقرا يرغبه الرومانيون » •

وبعد بضعة أيام كنت أتناول الغذاء مع مارك فى منزله • وحينئذ دق جرس التليفون • فأصغى لمحدثه قليلا ثم قال وهو ينظر الى ناحيتى : « سأتصل بك فى بضع دقائق » • وبعد أن جلس واصل حديثه معى فقال : « والآن ماذا نفعل ؟ اذ أن وزارة الداخلية اتصلت بالمفوضية الامريكية وقالت أن الشرطة فى جيور تحتفظ باثنين من الامريكيين اعتقلا بالقرب من الحدود ، وليس معهما نقود أو مستندات ويدعى كل منهما أنهما كانا فى جولة فى أنحاء المجر ، وكان المفروض أن يغادرا بالقطار الى فيينا فى هذه الليلة ولكن سرقت أوراقهما • وتطلب الوزارة ان كنا نعرف شيئا عن هذين الشخصين وهما مستر ومسز تومبكنس من ديترويت فهل تعرف شيئا عنهما ؟ » •

وحقا لم أكن أعرف عنهما شيئا • اذ أن وجود رجل أمريكى وزوجته « فى جولة فى المجر » فى هذه الفترة العصيبة يعد ضربا من الاحلام ولا يكاد يصدقه العقل • وكان مارك أيضا لا يعتقد فى مثل هذه الظاهرة ، ولكن كان من الواضح أن هناك مواطنين من الامريكيين المجهولين كانا فى مأزق حرج • ومهما كانت شخصيتهما فهما يستحقان المساعدة بأية حال، فاقترحت على مارك أن يخبر الوزارة بأنه يعرف كلا من مستر ومسز

تامبكنس وانهما من المعروفين من المواطنين الامريكيين • وانه لا يجوز اعتقالهما وعلى الاخص بعد أن سرقت منهما النقود والامتعة ثم يصر على أن الشرطة تتولى حراستهما حتى يصلا الى القطار المغادر الى فينا •

وفعل مارك كما اقترحت عليه • وكانت مفاجأة لنا عندما أخطرته الوزارة بعد بضع ساعات بأنها أمرت بالافراج عن كل من مستر ومسز تامبكنس وبتوصيلهما الى القطار المسافر الى فينا •

وكان الامر يقتضى أن أنتظر أسبوعا حتى يعود جوى ويفسر لى هذا اللغز الذى لم أجد له حلا • فاتضح لى أنه كان ينقل الرومانيين من البحيرة الى ضيعة فى مجموعات من شخصين الى أربعة أفراد ، وكانت تعليماته تقتضى ألا يحمل أحد منهم مستندات شخصية أو أية عملة أجنبية • حتى اذا حدث أن اعتقل بعضهم فعليهم ألا يشيروا الى جنسيتهم الحقيقية ، اذ أن جوى كان يخشى أن يثير ذلك اهتمام منظمة أمن الدولة • وكان كل من « مستر ومسز تامبكنس » ضمن مجموعة من أربعة أفراد • ولحسن الحظ لم يكن اعتقالهما بمعرفة حراس الحدود • بل كان بمعرفة رجال الشرطة أثناء جولة روتينية فى احدى القرى بالقرب من الضيعة ، وقال سائق السيارة أن الرجل وزوجته استأجرا سيارته للقيام بجولة قصيرة فى أنحاء المزارع • وعلى ذلك أطلق سراحه • وكان كل من مستر ومسز تامبكنس قد اتبعا تعليمات جوى بكل دقة • وكانا حريصين على ذكر قصتهم باللغة الانجليزية ، وقالا أن زميليهما كانا مسافرين معهما من جيور ولا يعرفان عنهما شيئا أكثر من ذلك ، وأما هذين الزميلين فكانا رجلين من رومانيا • ولسوء الطالع لم يتبعا تعليمات جوى فكان معهما أوراق ونقود • وعلى ذلك أخذهما رجال الشرطة الى بودابست حيث وضعا فى السجن• (وبعد بضعة أشهر صدر الامر بطردهما الى تشيكوسلوفاكيا • ومنها تمكنا من الوصول الى الغرب فى النهاية) • وبطبيعة الحال تظاهر كل من مستر ومسز تامبكنس باستياء شديد من معاملة الشرطة لهما ، وأخيرا اتصلت الشرطة بالسلطات فى بودابست لتلقى التعليمات اللازمة • وكان رد مارك

له أثر فعال لدرجة أن الشرطة أصطحبت الرجل وزوجته الى القطار المسافر الى فينا ، ولم تقتنع بذلك بل دفعت لهمـا مصروفات السـفر • وكذلك ساعدتهما فى اجتياز حدود النمسا • وفى الحق كانت اجراءات تستحق الثناء والتقدير فى مثل هذه الظروف الحرجة •

واثناء اقامتى فى بودابست تعرفت بمن تدعى ليلى وهى ابنـة عم أوجين • وكنت اقابلها من وقت لآخر • وكانت الفتاة ارستقراطية أصلا ولكنها أصبحت تبغض الارستقراطية بعد أن فقدت عشيقا لها قتله الالمان خلال الحرب • وكان اتجاه كثير من الاستقراطيين المجريين لمساعدة الالمان أو على الاقل عدم الوقوف فى وجوههم • له وقع سىء فى نفسها ، وهى لم تكن شيوعية ولكنها لم تكن تعارض فى انتهاك الشيوعيين لافراد المجريين طالما كان ذلك يمثل – فى نظرها – تحطيم الارستقراطية ، وكثيرا ما كنا نشترك فى الجدال حول الشئون السياسية ولكن فى صورة ودية • وذلك لانها – بالرغم من مشعرها الداخلية – كانت تهتم بمثل هذه المناقشات وتدرك مدى تأثير وجهات نظرها السياسية على ما تشعر به فى أعماقها •

وفى احدى مناقشاتنـا فى أكتوبر اتضح لى أنهـا تضطرب بمشاعر متناقضة • فبينما كانت تؤيد وجهـة نظر الشـيوعين واذا بهـا تصبح مناهضة لاتجاهاتهم ، لم تكن تأسف لتدمير احزاب المعارضة واحدا بعـد الآخر • ولكنها لم تكن تستسيغ وسـائل العنف التى كانت تستخـدم بنوع خاص ضد أولئك الذين كانوا يناهضون الالمان فى شجاعة ظاهرة ، فأوضحت لها وجهة نظرى وهى أن هذه كانت سياسة مقصودة وجزءا لا يتجزأ من النظام التى كانت تؤيده • وهو النظام الذى لم يقصد به سير العدالة فى المجر بل لوضع البلاد تحت نفوذ الاتحاد السوفييتى ، فأخذت تفكر لحظة ولكن اتضح أنها لا توافقنى على هذا الرأى • وقالت بعد لحظة أخـرى : « أنت تعـلم أنى أرى وزير الداخليـة رأيك مرة أو مرتين كل أسبوع » ، وكنت أعرف أنها على علاقة ودية مع الوزير ولكنى لم أكن أعلم مدى هذه العلاقة ، وواصلت حديثها قائلة : « انى أراه حيث نتحدث لمدة ساعة أو أكثر • وكثيرا ما يذكر لى خططهم التى يعدونها بشأن مختلف

الاحزاب السياسية ، ولست أدري لماذا يحدثني في مثل هـذه الشئون ولكن هذا ما يفعله • وعلى ذلك ــ وفي اغلب الاحيان ــ تجدني أعرف من هم في موضع اشتباه ومن هم عرضة لخطر محقق » • ، ثم سكتت لحظـة اخرى وقالت بعدها وهي تبتسم : « وعلى ذلك سوف أخبرك اذا تعـرض بعض علية القوم لخطر الاعتقال • فقد تستطيع ان تفعل شيئا من اجلهم »• فلم أعدها وعدا أكيدا واكتفيت بقولي : « سأنتظر انباء منك » •

وكانت هذه مساعدة لم نكن نتوقعها • كما اتضح أنها جاءت في وقت كنا في حاجة اليها • ففي آخر أكتوبر كانت الحملة ضد حزب الاستقلال قد اقتربت من نهايتها • وكان بول ومعه عميل أو اثنان آخران ما زالوا في البرلمان • بينما حقق الشيوعيون اهدافهم واصبح بول مهددا بقرب نهايته • وفي أثناء ذلك علم أدموند من مصدر في القسم الاول من منظمة أمن الدولة أن الاسماء التالية في القائمة للقضـــاء عليهـم كانت أسـماء الاشتراكيين ، وكان الهدف هنا هو العمل على وحدة الاحزاب الاشتراكية والشيوعية للعمل جنبا الى جنب ، ولهذا الغرض اعدت منظمة أمن الدولة الخطة لاعداد حمـلة على الاشتراكيين من الجنـاح اليميني فمن يستطيعون اتهامهم بالتآمر ، ثم يستدرجون الجناح اليســارى من الاشـتراكيين الى صفوفهم اذا تبين للمنظمة أنهم يعارضون في الانضمام الى الشيوعيين • كذلك كان سام وأدموند معرضين لخطـر شـديد بسبب اعتبـارهما من الاشتراكيين من الجناح اليميني • ولوجود أدموند بين افراد منظمة أمن الدولة • ثم خطر علاقتهما معي • وأما ليلى فهي لم تأت بجديد يزيد عن معلوماتنا بعد حديثنا الاول وبعد آن قابلترايك وزير الداخلية ، فشعرت بالاسف لذلك • وحينئذ قابلت جوى وأوضحت له أن لدينا عميلين يهمنا أمرهما ولابد من تهريبهما في حرص شديد ، وصادفت هذه الاجراءات فترة عصيبة حقا بعد ما حدث أثناء تهريب الرومانيين • ولكن بعد مضى أسبوع علمت من جوى أنه قد أعد عملية ناجحة •

وفى أثناء هذه الكارثة التى كانت تلم ببلاد المجر لم يكن من الواضح أن نعرف حقيقة الفائزين فى الانتخابات وغيرهم ممن لحقهم الفشل ، كذلك ـ فى هذه المرحلة ـ التقيت بأحد أصحاب شركات الزيت من الامريكيين • واذا به يوجه لى شيئا من اللوم قائلا : « أنتم رجال الحكومة تتشاءمون كثيرا من الشيوعيين والمنتمين اليها • مع أن حل المشكلة يتوقف على أن نتخلى عن هذا التشاؤم ولا نضطهدهم لانهم يتطلعون لأن يصبحوا مثلنا على حد سواء ، وبعد ستة أشهر أسرع الرجل بمغادرة البلاد بعد اعتقال اثنين من زملائه من الامريكيين وبعد أن صادرت الحكومة المجرية ممتلكات شركته • ومنذ بضعة أشهر جاءنى أحد الصحفيين الامريكيين وأعرب لى عن وجهة نظره حول السياسة الامريكية وأنه يعتبرها سياسة « رجعية » • وكانت عودته الى المجر سببا فى تغيير وجهة نظره هذه • اذ جاء ليعمل مكان المراسل السابق والذى اعتقل وطرد من البلاد ، وما لبث أن أخذ يسعى لنقله من عمله • وبعد أن حاول أن يتصل بجبهة الاشتراكيين جاءنى يطلب المساعدة حيث تمكن جوى من اخراجه من البلاد • كذلك طلب مساعدته فى اطلاق سراح سكرتيره الخاص • وكان يعتقد أنه برىء من الاتهامات التى وجهت اليه •

وفى ٧ من نوفمبر توجهت الى حفلة الاستقبال التى أعدها السوفييت احياء للذكرى الثلاثينية للثورة ، وهناك اتضح لى أن الروس لم يحاولوا تغيير وجهة نظرهم نحو الغرب•وكانوا يتجاهلون ضيوفهم من الامريكيين، فاشتركت فى حديث قصير مع استيفان رارانكوفيكس رئيس حزب الشعب الديمقراطى فوجدته لا يزال واثقا من مقدرة حزبه مما يبعث على السخرية ، وكان قد أصبح زعيما لأكبر فريق للمعارضة كما كان زعيما لثانى حزب فى الدولة ، ولم يكن يشعر بأقل شىء من القلق حول هذه الزعامة بل كان دائما متفائلا كما كان يفعل الجزويت ، ثم أخذ يتحدث عن المكاسب التى سوف يحققها فى الانتخابات القادمة مما جعلنى أبتسم لسخرية القدر ، ولست أدعى بأنى كنت نبيا أعرف حقيقة الاحداث المستقبلة ولكنى كنت على يقين مما قلته لرانكوفيكس فى ذلك الوقت

حيث أوضحت له : « أنه في مدى سنه واحـدة سوف تصبح جميعـا أو معظمنا من الهاربين من البلاد أو في ظلمات السجون أو في عداد الاموات مع أننا لسنا من الروس أو من الشيوعيين » ، ولكن الرجل ضـحك من خيالي هذا • ولم يمضي أحد عشر شهرا حتى هرب الرجل الى الغرب بعد القضاء على حزبه وتشتيت أفراد الحزب ثم تقديم الكاردينال للمحاكمة •

ثم جاء دوري لأن أتحدث مع جوزيف كوفاجو عمدة بودابست ومن أصغر وأشـهر أعضـاء حزب صغـار الملاك • وكان ـ على النقيض من وانكوفيكس ـ متشائما الى أقصى حد ، اذ كان يعتقد أن الهجوم المتزايد على الاشتراكيين كان دلالة واضحة على قرب النهاية دون شك ، وعند ما ذكرت له وجهة نظر برانكوفيكس وتفاؤله من حيث الموقف قال : « حقا أن هذا أمر يدعو للسخرية • ألا يعتقـد بأن دوره سيـكون التالي بعـد الاشـتراكيين ؟ » وبدا الرجل أنه على يقين من مصـيره فقلت له : « اذا أردت أن تغادر البلاد فانى على استعداد لمساعدتك على الهروب » فأخـذ يفكر قليلا ثم شكرني على هذه المساعدة وقال : « لا • أنا لا أرغب في ذلك في الوقت الحاضر اذ لابد من وجود بعض أفرادنا لمراقبة الظروف »• ولم أقابله الا بعد عشر سنوات منها ثمـان سنوات قضـاها في غيـاهب السجون ثم أصبح عمدة لبودابست لمدة أسبوعين خلال ثورة سنة ١٩٥٦ ولما شن السوفييت هجومهم الاخير في ٤ نوفمبر اختار هذه المرة أن ينفى الى خارج البلاد •

وقبل أن يرحل كل من سام وأدموند علمت منهما أن الرئاسة قررت ارسال كارولى بيير ليكون مندوبا لها في الغرب ، وكانت صحف الشيوعيين قد بدأت تشن حملة شعواء على الاشتراكيين من الجناح اليميني • وفجأة طلب النائب العام رفع الحصانة البرلمانية عن بيير لكي يتمكن من اعتقاله بتهمة التآمر على الحـكومة • وفي ١٥ من نوفمبر رفعت عنـه الحصـانة البرلمانية ، ولكن قبل ذلك بيوم واحد ـ وبعد أن بذلت جهودا مضنيـة ونصحته بعدم القاء خطابه الشديد اللهجة لآخر مرة ـ تمكن جوى من

تهريبه الى النمسا ، وهنا ثارت الصحف الشيوعية بسبب اختفاء بيير . ولكنها ما لبثت أن أذاعت رسمياً أنه لا يزال مختفيا فى البلاد فى مكان مجهول .

وكان جوى مهتما بالامر لدرجة أنه اصطحب بيير فى رحلته الى الحدود. ثم عاد مسرعاً الى بودابست حيث كان يرغب فى التأكد من ادعاءات الشيوعيين بأنهم يعرفون المكان حيث يختفى بيير . ثم توجه لمقابلة رئيسه السابق رايك وزير الداخلية على اعتبار أنها زيارة ودية ، وذكر لى جوى أنه كان يشعر بالارتياح من هذه المقابلة . اذ كان يعمل على اثارة الوزير ويقول أنه لو كان لا يزال فى خدمة الشرطة لما تمكن أولئك الهاربون من الفرار بمثل هذه السهولة . ثم قال لى أن رايك انتصب واقفا وهو يقول: « نحن نعلم المكان حيث يختفى بيير . وسوف نعتقله فى مدة لا تزيد عن أربعة أيام » . ثم اتجه الى خريطة لنمجر واشار بأصبعه الى منطقة فى الشمال وحولها دائرة باللون الاحمر . وقال « هذا هو المكان حيث يوجد بيير . ولن يستطيع الفرار من أيدينا » . وشعر جوى بالارتياح لان هذه المنطقة التى أشار اليها كانت بعيدة عن ضيعته .

وعادت الى ذاكرتى تلك الخطة البارعة التى وضعها جوى . وذلك بعد أن مضى عليها سنتان ، وكانت تلك الذكرى بمناسبة وصول بيير الى الولايات المتحدة ولم يسمح له بالنزول من الباخرة فى نيويورك بل وضع تحت الحراسة ثم نقل فى الحال الى جزيرة أيليس . واتضح أن جهوده وهروبه لم يكن لها أثر على تحامل الامريكيين على الاشتراكيين .

وهناك ظاهرة أخرى فى تلك الفترة أثبتت ضعف السلطات الامريكية وتهاونها فى تقدير الشئون الدولية ، ففى حفل استقبال اقيم فى البرلمان المجرى تكريما لبعض الزوار من الشيوخ والنواب الامريكيين لاحظت أن عضو الكونجرس عن مقاطعة كونتكيكوت وهو جون دافيس لودج كان يلقى خطابا شديد اللهجة يهاجم فيه الرئيس الشيوعى للجمعية الوطنية

ايمرى ناجى . ولم يكن هناك من يتوقع أن أخ هذا العضو وكان سفيرا لامريكا فى الامم المتحدة يقوم ــ بعد عشر سنوات ــ بمهاجمة حكومة المجر ويتهمها بقتل هذا الشخص ذاته ايمرى ناجى .

وبعد مضى عشرة أيام على هروب بيير أرسل لى بول رسالة عن طريق جين يقول أنه أصبح تحت رقابة مشددة وأنه لابد أن يغادر فى مدى ثلاثة أيام على أكثر تقدير ، ولما توجهت لمقابلة هيلين لاخبرها بضرورة حضور جوى لزيارتى لامر عاجل وجدت أن جوى سبقنى لزيارتها لنفس الغرض ، وحينئذ توجهت الى مسكن جوى حيث وجدت لدينا أنباء خطيرة . اذ قال: « لا نستطيع مباشرة مهمتنا قبل مضى أسبوعين على الاقل . وربما أكثر من ذلك » . وقلت أنه لابد يقصد المزاح . ولكن اتضح أن الامر لم يكن مزاحا مطلقا . فقد حدث منذ ثلاثة أيام أن اعتقلت منظمة أمن الدولة أحد العملاء البريطانيين وكانت امرأة ، وارغمت على افشاء اسرارها . وكانت النتيجة القاء القبض على ما يقرب من مائة شخص حتى أصبح صغار المهربين يكفون عن العمل ، ولم يكن هناك من يدرى الى أى مدى وسعت المنظمة نطاق شباكها . أضف الى ذلك أنه منذ هروب بيير اتخذت احتياطات شديدة على طول منطقة الحدود . واشار الرجل الذى كان جوى يستخدمه فى ضيعته الى أنه أصبح من المتعذر تهريب أى فرد الى أجل غير مسمى . وكان جوى يظن أن الفترة قد تصل الى نحو أسبوعين قبل أن تهدأ العاصفة .

ولم يكن بوسعى أن أخاطر بموقف بول لمدة أسبوعين . ولم أستطع أن أتخلى عن مسئوليتى فيما يتعلق بالمحافظة على سلامته مهما كلف الامر . وكان الوقت المحدد لا يتيح لنا فرصة لانقاذه قبل فوات الاوان . فطلبت من جوى أن يوافينى بأية تطورات قد تستجد فيما بعد، ثم عدت الى منزلى حيث عكفت على دراسة الموضوع . حيث تبين لى أن التهريب قد يكون ممكنا فى بعض الاحيان اذا كان الافراد غير معروفين للسلطات وبشرط أن تكون لديهم جوازات السفر . اذ يستطيعون الحصول على تذكرة

للسفر بالسكة الحديد الى فينا ، ومنها يشترون تذكرة أخرى للسفر الى براغ تحت اسم مستعار • ولما كانت الشرطة تراجع أوراقهم عند حدود النمسا • فمن السهل أن يعبروا حدود تشيكوسلوفاكيا دون أن تصادفهم عقبات كثيرة • حتى اذا وصلوا الى براغ استطاعوا أن يستقلوا طائرة الى زيورخ • وبذلك يتجنبون حرس السوفييت من المرابطين على حدود المنطقة الامريكية فى النمسا • ولكن بول كان شخصية معروفة كما كان عرضة للاعتقال بعد أن ترفع عنه الحصانة البرلمانية مباشرة ، ومما زاد فى تعقيد المشكلة أن الرجل كان تحت المراقبة مما يقف حجر عثرة فى سبيل تهريبه قبل أن يصدر أمر رفع الحصانة البرلمانية • كذلك لم أكن على استعداد للمخاطرة بالطائرة مرة أخرى• ولم أكن أتوقع وصولها فى وقت مناسب• اذن لم يكن هناك سوى حل واحد لهذه المشكلة • وهو أن أتولى قيادة سيارة بنفسى ومعى بول ثم انطلق بها الى النمسا أو تشيكوسلوفاكيا •

وقررت السفر الى فينا لان بول لم يكن لديه جواز سفر مما يجعله فى موقف حرج فى تشيكوسلوفاكيا ، ولذلك كان من صالحه السفر بطريق فينا بالرغم من وعورته •

وكنت أعتمد على مهمتى الرسمية لاتمام هذه العملية بالرغم مما فى ذلك من الشعور بالحرج • وبالطبع لم استطع التنكر على هيئة أحد مواطنى المجر • وحتى لو استطعت ذلك لما تمكنت من اجتياز الحدود فى مثل هذه الظروف • كما كان من المتعذر اطلاقا ان اتجنس بأية جنسية أخرى • وفى ذلك الوقت كان لدى عدد من جوازات السفر الرمادية اللون والتى كان يصدرها السوفييت • كما كانت تسمح بالمرور من الحراس السوفييت عند الحدود • وكان فى استطاعتى تزوير أسماء أصحابها فى سهولة ويسر ولكن حراس حدود المجر كانوا يصرون على مراجعة جواز سفرى • ولم يكن من السهل تزوير هذا الجواز من وقت لآخر •

وفى أول الامر فكرت فى وضع بول وزوجته فى صندوق الامتعة بالسيارة وكانت من النوع الالمانى « مارسيدس » • ولكن سرعن مـ أدركت أنه لا يصح مطلقا أن نترك جين وهى من أصدقاء بول وتعرف يقينا كل اجراءات التهريب مما يشكل خطرا شديدا علينا ، ولما عرضت عليها فكرة الهروب معنا وافقت عليها بشرط أن يكون معنا أيضا سيمون وزوجته وابنته • فقبلت هذا الرأى اذ قررت استخدام سيارة نقل تابعة للبعثة العسكرية • وأصبح عددنا ستة أفراد وطفلة فى الثالثة من عمرها•

والى هنا كان الحظ بجانبى • فقد كنت لا أفضل السفر الى فينا أثناء النهار كما كان السفر ليلا ، بالرغم من قلة الحراس أثناء الليل ، واهمال نقط الحراسة على الحدود • وبالرغم من أن محتويات سيارتى كانت بعيدة عن الانظار ـ يدعو للاشتباه لأن السيارات الامريكية ـ وعلى الاخص سيارات النقل ـ كانت تسير دائما فى ضوء النهار • ولكن حدث فى اللحظة الاخيرة أن وافقت السلطات المجرية على اطلاق سراح أحد المراسلين الامريكيين ـ وكان معتقلا ـ بشرط أن يجتاز الحدود فى منتصف الليلة القادمة ، ولما كان الامر يقتضى نقله فى سيارة فى آخر النهار • اقترحت على السلطات أن أقود السيارة التى تحمل أمتعته ومن معه من أفراد عائلته ، وذلك لكى أتأكد من أن الحكومة المجرية قد أوفت بعهدها • وكان هذا يعد ستارا مؤقتا ولكنه كان يفى بالغرض على أية حال • كذلك كان يعنى نقل بول قبل الموعد المحدد بيوم واحد • وتلك مزية أخرى •

وبعد الظهر ـ يوم الرحيل ـ توجهت لزيارة مارك وسلمته رسالة فى مظروف مغلق • وكانت تتضمن استقالتى من البعثة العسكرية اذا حدث أمر يستدعى الاستغناء عنى • ولم أخبر مارك بمحتويات الرسالة بل قلت له أن يفتحها اذا لم يسمع عنى شيئا لمدة ثلاثة أيام ، ثم أعطيته رسالة أخرى مكتوبة بالشفرة ليرسلها الى مقر الرئاسة وبها بيان للمهمة التى تعهدت بتأديتها • وكنت على يقين من وصولها اليهم فى وقت متأخر بحيث لا يستطيعون منعى من السفر اذا أرادوا ذلك •

حتى اذا أتى المساء توجهت الى حظيرة السيارات حيث أخذت سيارة النقل متجها الى منزلى ، وهناك مخزن للمنقولات القديمة • فنقلت منه أربعة صناديق كبيرة الى السيارة • ثم وضعت بها بعض أغطية ومساند وحبل طويل • وكانت ليلة شديدة البرودة فارتديت معطفا عسكريا ووضعت فى أحد جيوبه مسدسا وبعض الطلقات • ولم أكن أقصد أن أقتحم أى حاجز فى الطريق ، ولكنى كنت أخشى منظمة أمن الدولة ووسائلها الخفية للاعتقال ، وكذلك الجنود الروس من المخمورين ممن يشتبه فيهم بأنهم من حراس الطريق •

وكانت جين تنتظرنى بالقرب من كنيسة التتويج • فركبت معى حيث سرنا فى طريق هادىء فى بودا • وهناك كان سيمون وزوجته وطفلته فى انتظارنا • ثم بدلا من مواصلة السير فى طريق فينا • صعدت بالسيارة مرتفعا من الارض الى الشمال من بودا • وهذه منطقة كثيفة الغابات وتعرف باسم Harmashatorhegy — وهو جبل له ثلاثة جوانب — ويطل على مدينة بودابست • ومن جهة الشرق يطل على السهل المجرى العظيم • ومن جهة الشمال يمتد النظر حتى سلوفاكيا • وكانت رقعة متسعة الارجاء ومكانا يصلح للنزهة فى فصل الصيف ، ولكن فى أواخر الخريف والشتاء لا يجرؤ أحد على القرب منه ، ومنذ تسع سنوات كان هذا المكان آخر معاقل الثوار المعروفين باسم « المقاتلين دفاعا عن الحرية الثورية » فى بودابست • وفى هذا المكان كان موعدنا مع بول وزوجته اذا قدر لهما الافلات من المراقبة • واذا لم يتمكنا • فان لقاءنا هناك قد يكون مع قوم آخرين من غير المرغوب فيهم •

وعندما وصلت الى النقطة المعينة • درت حولها بعد أن أضأت الانوار الكشافة حيث تمكنت من رؤية بول وزوجته يقفان وحدهما وراء احدى الشجيرات • وكانت الساعة الثامنة والنصف مساء حسب الاتفاق ، وتمكنا من الاختفاء من أعين الرقباء • ولم يكن معهما حقائب أو أمتعة • اذ كان عليهما أن يصعدا طريقا وعرا الى الجبل • ومن قبل قطعا مسافة طويلة سيرا على الاقدام وهما يعبران انحاء المدينة • وكانت الاحتياطات

تقتضى احتمال مثل هذه المشقة • وكان بول قد تمكن من الاختفاء من « تابعه » أثناء وجوده فى بست • وكانت زوجته قد غادرت المنزل فى الصباح الباكر ولم يكن هناك من يراقبها • وفى سكون الليل لم تكن هناك سيارة أخرى تسير على سفح الجبل غير سيارتنا •

وفى ضوء مصباح كهربائى صغير دخل الافراد الخمسة ومعهم الطفلة فى الصناديق المعدة لهم • فدخل بول وزوجته فى أحدها • وفى صندوق آخر كانت زوجة سيمون وطفلتها التى تناولت أقراصا منومة • وفى الثالث كان سيمون ومعه جين • واعددت الصناديق فى وسط السيارة لكى يدخل الهواء من فتحاتها • وأما الصندوق الرابع فوضعته بجوار الباب الخلفى بمثابة حاجز يمنع الوصول الى الصناديق الثلاثة • ثم غطيت الصناديق بالغطاءين الكبيرين وفوقهما الحبل بحيث تبدو أنها بضاعة معدة للشحن • بعد ذلك أغلقت الباب واستأنفت السير عائدا الى سفح التل ومنه الى طريق فينا • وبالرغم من وجود ستة أشخاص على بعد بضع بوصات بجانبى فقد كنت أخشى الوحدة وكأنى كنت بمفردى فى السيارة •

وشقت السيارة طريقها الى الحدود فى أمان وسلام • ولم نجد أية عقبة فى سبيلنا • وتلك هى احدى مزايا السفر بعد هبوط الظلام ، فقد كان من النادر أن نصادف سيارة أخرى فى هذا الطريق ، واتفقت معهم على أنهم اذا سمعوا ثلاث طرقات خفيفة على نافذة السيارة ففى استطاعتهم الحديث بما يشبه الهمس وأما اذا سمعوا طرقتين اثنتين فعليهم أن يلتزموا السكون المطلق • فكنت اذا دخلنا المدن طرقت على النافذة مرتين • وعندئذ يتوقف الحديث دفعة واحدة • حتى اذا دخلنا منطقة الريف وكانت نقطة الوقوف لا تزال بعيدة كنت أدق على النافذة ثلاث مرات وحينئذ يواصلون الهمس فيما بينهم بل كانوا يضحكون فى بعض الاحيان • وفى فترات الحديث • حتى ولو لم أكن مشتركا معهم • كنت أشعر بالسكينة وهدوء الاعصاب • ولكن فى فترات السكون كنت أشعر بالضيق وشىء من القلق •

وعند نقطة الحديث بالقرب من Hegyeshalom طرقت على النافذة مرتين ثم توقفت أمام مبنى الجمارك • وهنا صادفنى حسن الحظ مرة أخرى • اذ كان التشيك قد استولوا على خمسة من القرى المجرية فى جنوب نهر الدانوب أمام براتسلافيا التى منحت لهم بمقتضى معاهدة الصلح ، وبذلك قطعوا الطريق العام بين بودابست وفينا واستولوا على المحطة القديمة على حدود المجر • وكانت هذه المحطة قد أصبحت أشبه بكوخ مؤقت ومظلم بحيث لا يسمح بفحص السيارات التى تسير فى هذه المنطقة • فنزلت من السيارة ودخلت المبنى حيث تمت مراجعة الاوراق فى بضع دقائق • ثم عدت الى السيارة حيث لاحظت أن الحراس لم يهتموا مطلقا بمراقبتى بينما كنت أستأنف السير •

وطرقت ثلاث مرات لاسمح لرفاقى بالحديث ولكن ما لبثت أن طرقت مرتين عند وصولى الى محطة حدود المجر السابقة والتى أصبحت يحتلها التشيك ، وكان المجريون يستحقون اللوم على هذه الاجراءات • اذ لم يهتموا بانشاء طريق جديد يصبح بعيدا عن منطقة التشيك • كما تهاونوا فى وضع علامة تشير الى مفترق الطرق بحيث تتجه السيارات الى الطريق القديم • ثم سمح لى التشيكيون بمواصلة السير بعد أن بدت على وجوههم مظاهر الضيق من تصرفات المجريين •

وبعد أن أوضحت لرفاقى حقيقة ما حدث أشرت اليهم بالتزام السكون • وبعد بضعة أميال قام الحراس النمساويون بمراجعة أوراقى فى أدب وحسن لباقة • وكنت أرغب فى الاستفهام عن مواقع السوفييت فى تلك الليلة • ولكنى تراجعت عن هذه الفكرة بعد أن تذكرت أن حراس الحدود من النمساويين فى منطقة السوفييت كانوا تحت رقابة مشددة بحيث يتجنبون الاشارة الى هذه المواقع •

وبين حدود النمسا وفينا كانت هناك ثلاثة أو أربعة من هذه العقبات أثناء الطريق • ولكن لم يكن هناك من يعرف أين يصادفها • ما عدا محطة شويشات بالقرب من فينا ، وبعد خمسة أميال تقريبا رأيت أول محطة • ولكنها كانت خالية من الحراس فطرقت ثلاث مرات واستأنفت السير •

وبينما كنت أشعر بالارتياح حيث اخترت هذه الليلة الموفقة • اتضح أمامى ضوء خافت فأسرعت بدق مرتين • وابطأت فى السـير اسـتعدادا للوقوف بعد أن ظهر أمامى ــ على ضوء الانوار الكشافة ــ أحد الحواجز وبجانبه جندى من الروس يحمل مدفعا رشاشا •

وبعد أن توقفت أنزلت زجاج النافذة حيث جاء الجندى واتكأ عليها بعد أن علق مدفعه فى كتفه وقال : « Zdrastye » مرتين • ثم فحص جواز سفرى على ضوء مصباحه وأعاده الى • بعد ذلك سلط ضوء المصباح على داخل السيارة • وسألنى :

« ماذا تحمل هذه السيارة ؟ » فقلت له :

« لست أدرى » فقال :

« كيف ذلك ــ ألا تعرف ما تحمله السيارة ؟ » •

وهنا قلت له :

« أرجو ملاحظة أننى لست سوى رسول • وأمرت بأن أقود هـذه السيـارة الى فينـا • ولابد من طاعـة الاوامر دون أن أعرف ما تحتويه السيارة » •

فضك الروسى وسألنى مرة أخرى :

« ولكن ما نوع هذه المحتويات ؟ »

فهززت كتفى وقلت :

« كيف يتسنى لى أن أعرف سوى أنها بعض أوراق دبلوماسية وبعض الاثاث • ولم يتبين لى حقيقتها » •

وأخذ الرجل يدور حول السيارة ويسلط مصباحه على ما بداخلها • فبدأت أبتهل الى السماء حتى لا تبدو حركة فى الداخل • وخيل الى أنى سمعت سعالا خفيفا ولكنى أسرعت بطرد هذا الخيال من ذاكرتى • وكنت أخشى أن يدرك الركاب شيئا من حديثى مع الجندى الروسى •

ثم وقف الحارس أمام السيارة وقال :

« على أية حال دعنا نفحص ما بداخلهـا » • فتجسست غـدارتى • ولكنى أدركت فى نفس الوقت أنى لا أستطيع استخدامها فى مثل هذه الظروف • فقد كان هذا التصرف يعد نوعا من السخرية • لانى لم أكن على يقين من عدد الحراس المرابطين فى المنطقة • ولابد لى من مصادفتهم بعد ذلك •

وأعاد الرجل طلبه من حيث فحص محتويات السيارة • ولكنه لميكن مصرا فى هذه المرة • وكان مدفعه لا يزال معلقا فى كتفه • فلم أتحرك من مقعدى • بل تظاهرت بالاسف لرفض طلبه •

واعتمد الرجل على حافة النافذة وهو يقول بلهجة هادئة : « ولماذا ترفض ؟ » وهنا **أخرجت صندوق سـجائرى واشـعلت أحـداها وأخذت أجذب بعض أنفاس منها • وكنت أعلم أن الروس يقبلون الرشوة ولـكن الخطأ هو فى طريقة عرضها عليهم • فهم يقبلونها فى صورة هدية يقدمها أصدقاء لهم • ولاحظت أنه يركز نظره على علبة السجائر •**

وقلت له : « أولا • **ليس لى الحق فى فحص هذه المستندات • وقدمت له علبة السجائر فأخذ منها لفافتين • واثناء الحديث فتحت أمامه العلبة وتظاهرت بأنى لا أراه وهو يلتقط منهـا اثنتين مرة بعـد الاخرى • ثم واصلت حديثى قائلا : « وثانيا • أنها مشقة كبيرة لكى أغادر مقعدى فى هذه الليلة الشديدة البرودة • ثم افتح الباب الخلفى لاتمكن من رفع هذه الاغطية والحبال • ولا يزال أمامى مسافة طويلة • وقد اقتربنا من منتصف**

الليل » • وكان قد أخذ عشرة من اللفافات بينمـا كانت العلبـة لا تزال مفتوحة أمامه • وكأني لا أراه وهو يتناول السجائر • وبعـد أن أخـذ لفافتين أخريتين • عاد الى الخلف وهو يقول ضـاحكا : « لك أن تسـير الآن » • وفتح الحاجز أمام السيارة •

فشكرته مبتسـما واسـتأنفت السير فى بطء ظاهر • وكنت متأثرا بالحدث لدرجة انى نسيت أن أشير الىرفاقى ليبدأوا فى حديثهم كالمعتاد • فقد كنت أفكر فيما لقيته من حسن الطالع • وفيما سوف يصادفنى فى نقطة التفتيش التالية • وكذلك كنت أعد فى ذهنى تلك المحادثة المقبلة مع حراس السوفييت • وبعد فترة قصيرة ظهرت أمامى نقطة التفتيش Sxhiueehat وهى الاخيرة • ولكنى وجدت الحاجز مفتوحا والحارس واقف بمدفعه الرشاش وهو يشير الى بمواصلة السير •

وكنت سعيدا لدرجة أنى لم أشعر بوعورة الطريق الحجرى ولم أتأثر بمناظر المبانى القائمة • حتى اذا وصلنا الى مدخل المدينة • طرقت على الصناديق ثلاث مرات وصحب قائلا Becs وكان لهذا اللفظ وقع حسن فى أسماعنا ونحن فى فينا • وكان له صـداه فى نفوس رفاقى فصاحوا مستبشرين وأخذوا يتحدثون بصوت مرتفع مما دل على فرحتهم بانتهاء المتاعب • وتوقفت بالقرب من فنـدق فى المنطقة الامريكيـة ثم أستدعيت هوج الذى دلنى على عنوان مسكن نقيم فيه ، ولم يكتف بذلك بل أحضر لنا زجاجة من الخمر الفرنسى • واجتمعنا فى حفل صغير حيث تناولت معظم الخمر ولم أترك لرفاقى الا القليل •

وفى اليوم التالى استبدلت سيارة النقل بسيارة الركوبالتى استقلها المراسل الامريكى وهو قادم الى فينا • وعزمت على ألا أستخدم سيارات النقل فيما بعد • وعلى الاخص لان منظمة أمن الدولة أصبحت تشتبه فى بول وفى طريقة ترحيله • ثم أجـريت محادثة تليفونيـة مـع مارك فى

بودابست • وكان الحديث عن بعض الكتب مما لا علاقة له بمهمتنا • وانما كان الغرض أن يعلم بوصولى وعلى ذلك لا يفتح الرسالة التى تركتها معه • كذلك كان لدى خطة ولكننى لم أكن أرغب فى تنفيـذها قبـل مضى الايام الثلاثة •

وسبق أن سمعت من كل من ادموند و جوى أن السوفييت أعدوا لهم طريقا خاصا بين المجر والنمسا ، وليس هنـاك فى هـذا الطريق نقـط تفتيش تابعة للنمسا أو المجر • وانما هناك مركز واحد للسوفييت عـلى الحدود ، كذلك علمت منهما أن السفر اذا كان أثناء الليـل • فان الامـر يستلزم اعطاء اشارة ضوئية ثلاث مرات وحينئذ يرفع الحاجز دون الحاجة للوقوف وتفتيش الاوراق • وبالرغم من أنى كنت مذهولا بنجـاحى فى تهريب بول الا أنه تبين لى أن هذه فرصة سانحـة لـكى أبحث عن هـذا الطريق •

كذلك كان هوج يعرف هذا الطريق • ولكنه لم يكن على يقين من أنه يقع الى الجنوب من الطريق الرئيسى بين فينا وبودابست ، كما كان يجهل حركة الاشارة الضوئية • ولما درست الخريطة تبين لى أن الغرض الاساسى من التفتيش عند نقطة شفيشات Schwechat هو منع المسافرين من غير المصرح لهم ـ وهم كل فرد ما عدا المواطنين النمساويين والعسكريين من السوفييت ـ من الوصول الى هذا الطريق ، فقد كان هناك طريق آخر عند شفيشات يؤدى الى الجنوب حيث توجد فروع أخرى • فاذا اتخـذ المسافر الطريق الرئيسى ثم يتحول الى الجنوب بعد نقطة شفيشات فانه يستطيع الوصول الى الجهة التى يقصد اليها بأن يسلك الطريق الزراعية ـ اذا لم تكن هناك عقبات فى سبيله •

وبدأت السفر فى الساعة التاسعة مساء بعـد أن استمتعت بحفـلة كوكتيل • حتى اذا غادرت فينا متجها نحو الشرق حيث توقفت عند نقطة شفيشات • وهناك صادفنى حسن الطالع مرة أخرى اذ كانت خالية من

الحراس ، فتحولت نحو الجنوب طبقا للخريطة على وجه التقريب • ثم اتجهت نحو الشرق مباشرة • وهنا بدأت الارض ترتفع بالتدريج • مما يدل على أنها سوف تنحدر مرة أخرى نحو الجنوب • وعلى ذلك اتخذت أقرب طريق لكى أتحول نحو الشمال الشرقى •

ومررت بقرية فوجدت منازلها مغلقة النوافذ وليس هناك شعاع من الضوء • مما يدل على أن القرية كانت تعيش فى الظلام أثناء الليل منذ وقت طويل • وعلى ضوء سيارتى كنت أرى خيال بعض أفراد يسيرون على جانب الطريق • وهنا لم أستطع تمييز معالم المنطقة حيث كنت أسير • فأوقفت السيارة وأخفضت أنوارها •

وخرجت من السيارة لالقى نظرة على القرية فوجدت المنازل غريبة فى أشكالها ــ ترتفع منها مداخن مائلة حالكة السواد تحت ضوء نجوم السماء• ووجدت من حوالى قوما يتحدثون الروسية فى أصوات خافتة • وما لبثت أن تبين لى أننى وسط مجموعة من دبابات الجيش الاحمر • وهنا كانت « المداخن » هى مدافع الدبابات المصوبة الى كل ناحية • وكان هناك مئات من جنود السوفييت يتجولون فى الظلام بعد تناول العشاء • فكان وجودى فى هذا الوقت مما يدعو للاشتباه أو سوء الفهم •

وطرأ على بالى لاول وهلة أن أسرع الى سيارتى وانطلق بها دون تردد• ولكنى أدركت أن ذلك يثير الشك فى أمرى ويلفت أنظار الجنود الروس• فاقتربت من مجموعة منهم حيث لم أستطع رؤية وجوههم فى الظلام وهم يرتدون المعاطف الثقيلة كما لم أكن فى نظرهم سوى شبح مظلم •

وهناك طريقة للتحدث باللغة الروسية تبدو لنا أنها لهجة جافة • ولكنها فى نظر الروس تدل على مدى النفوذ والسلطة • فقلت فى خشونة ظاهرة ودون أن أبدأهم بالتحية : « أين الطريق الذى يؤدى الى المجر ؟ »

فرد على أحدهم فى الحال بصوت هادىء يدل على الاحترام : « لقد اتخذت الطريق الخطأ • فعليك أن تعود ثانيا الى مفترق الطرق • وبعد أن تتحول الى اليسار • تسير الى الامام مسافة خمسة كيلو مترات » •

وبعد أن سرت خمسة كيلو مترات نحو الشرق تبين لى ضوء مصباح الحارس • ثم رأيت الحاجز الملون باللونين الاحمر والابيض • فلم أبطىء فى السير بل أضأت أنوار السيارة ثلاث مرات متتالية • وهنا أسرع أحد الحراس نحو الحاجز ثم رفعه ومررت من تحته • وفى تلك اللحظة تبين لى أن الحارس كان من النمساويين ولم يكن من السوفييت ، وعلى أية حال تعرفت على الطريق المطلوب وكان دليلى هى تلك الاشارات الثلاث •

وفى بودابست أصبحت أشعر بأن موقفى لا يبعث على الاطمئنان الى حد ما ، اذ أصبحت معاهدة الصلح موضع التنفيذ ، وكانت البعثة العسكرية تستعد للرحيل • ولم يكن هناك مجال لاعداد ستار آخر أعمل من ورائه ، وكذلك كان الحال مع أى عميل آخر يأتى من بعدى ، وهنا كانت مهمتى أقرب الى الفشل فى هذه الفترة • وعلى النقيض من هذا كان السوفييت يحاولون كسب الوقت قبل تنفيذ المعاهدة ، وحتى اذا تيسر لنا أن نعد ستارا لمن يخلفنى فانه لن يجد أمامه مهمات كافية ، كذلك نقص أفراد الشبكة الى ما يقرب من نصف عددهم • وزيادة على ذلك لم يكن هناك أمل فى تجنيد عملاء جدد ممن يعتمد عليهم ، وبخاصة كبار العملاء • ثم اتجهت أنظارنا لاعداد شبكة « مؤقتة » كما كان يقترح كل من سام وأدموند • بالرغم من أن التجنيد كان يتضمن أخطارا جسيمة فى هذا الجو حيث تسود مظاهر الخوف والقلق •

ثم أبلغت رؤسائى بكل هذه المقترحات دون أن أحصل على رد منهم ، ولم أخبرهم بأنى شخصيا أصبحت لا أستقر على حال فى مثل هذه الظروف القاسية ، وبعد عودتى من فينا بعدة أسابيع كان جوى لا يزال يعتبر التهريب مخاطرة كبرى • وكنت أشعر بأن الخطر قد أصبح قريب الوقوع،

وأخذت أفكر فى الاخطار التى تعرضت لها خلال الاشهر القليلة الماضية ولم أكن على حذر منها • ثم استعرضت فى ذاكرتى كل محادثاتى • وكل الظروف على اختلافها • واجتماعاتى ووسائل التهريب • فلم أجد خطأ فى أية ناحية • بل كان الامر يتوقف على بذل الجهود المضنية • وأخيرا عزمت على أن أحتفظ بغدارتى بجوارى على فراش النوم بقصد الاطمئنان ولو أنى لم أقصد استخدامها وبالرغم من أن الظروف لم تكن فى حاجة اليها •

وفى أوائل شهر ديسمبر أصبحت تكهناتى حقيقة واقعة ، فقد علمت من ليلى ما جرى بينها وبين رايك من المحادثات الاخيرة • ومنها اتضح أن منظمة أمن الدولة كانت تواصل ضغطها على الاشتراكيين لكى ينضموا للشيوعيين ، وأخذت تعد محاكمات لتوجيه الاتهام الى الاشتراكيين من المعتقلين من الجناح اليمينى ، وكانت تتهمهم بالتآمر ـ ليس مع الغرب بعامة بل مع الامريكيين بنوع خاص • وكانت منظمة أمن الدولة مدفوعة بأسباب واهية لتحقيق غرض تقصده وهو محاكمة أولئك الاشتراكيين ـ بما فيهم الجناح اليمينى ـ الذين كانوا يعارضون فى الانضمام الى الحزب الشيوعى ، ولكى تثبت المنظمة أن المتآمرين الاشتراكيين كانوا على صلة بالبريطانيين وبحكومة العمال فى انجلترا ، كان ذلك الاتجاه لابد أن يؤدى الى مناقشات وجدل شديد • ولتوضيح الامر لجأت المنظمة الى اتهام المتآمرين بأنهم على صلة بالامريكيين مما يدل على أن الاشتراكيين من الجناح اليمينى كانوا « خونة للطبقة العاملة » • وعلى ذلك اتجهت المنظمة أمن الدولة الى اعتقال أحد الضحايا من الامريكيين • ومن بين ما حصلت عليه ليلى من المعلومات السرية أثناء حديثها مع رايك • أن المنظمة كانت على يقين من أنه كان للأمريكيين دور كبير فى تهريب كثيرين ممن كانوا عرضة للاعتقال وأضاف يقول لها أنه يعرف تماما من هم المسئولين من الامريكيين عن عمليات التهريب •

وبسبب هذه الانباء أصبحت ليلى فى حيرة شديدة من أمرها. ولو أنها لم تكن تشعر بنفس الضيق والحرج الذى استولى على تفكيرى ومشاعرى ، وكانت ليلى تتعلق بحب ابن عمها أوجين • وكانت تخشى أن يكون أحـد الضحايا بسبب ارتباطه بالامريكيين والشركات الامريكية ، وأخذت تحاول تحريضه على مغادرة البلاد • ولكنه كان يرفض دائما • وكانت ترغب أن أساعدها فى هذه المحاولة باعتبارى من أصدقائه • فوافقت على ذلك عن طيب خاطر لعدة أسباب أهمها تلك الصداقة. ثم أرسلت الى مقر رئاستى أخبرها بهذه الانباء الاخيرة دون أن أعلق عليها • وأخذ يجول بذهنى أن رايك أصبح يعرف شخصية الامريكى الذى كان مسئولا عن تهريب بيتر •

واحتاج الامر لقضاء ليلة كاملة وأن أحاول أغراءه على الهروب • ولم ينفع فى ذلك تعاطى أقداح النبيذ أو الفرقة المتنقـلة التى كانت تـؤدى رقصاتها فى الغرفة الخلفية فى أحد المقاهى • ولكن بعد أن استعرضنـا الموقف والظروف على حقيقتها • وافق أوجين على أنه لن ينفع نفسه أو ينفع أحدا بوجوده بين جدران السجون ، وفى هذه المرة لن ينقـذه تدخل أى دولة محايدة كما حدث مع الالمان ، وكان قد قام برحلة الى الغرب فى أوائل السنة ولا يزال لديه جواز سفر لم تنته مدته بعد • وعـلى ذلك طلبت من البعثة العسكرية أن نشترى تذكرة للسفر بالسكة الحـديد الى بـراغ • وأبرقت الى بيتر لشراء تذكرة للسفر بالطائرة من براغ الى زيورخ • ثم يرسلها بطريق البريد الى أوجين بعنوانه بأحد الفنادق فى براغ • وقبل مغادرته أخبرته بأن يحتفظ لى بغرفة فى أحد فنادق زيورخ •

كذلك أصبح رؤسائى يشعرون بالارتياب فى الامر • وتسلمت منهم الرد على رسالتى الاخيرة • وكان الرد مناقضا لما جرت عليه عادتهـم من التلكؤ • اذ كان واضحا جليا • وجاء به : « عليـك بمغادرة المجر دون أن تثير الشبهات من حولك • ولكن لا تتأخر عن أربعة أيام بأية حال » •

وفى الحال عرضت الامر على جوى الذى اعتبر أن عملية التهريب قد انتهت ووضع خطته بحيث يستخدم ضيعته لتحقيق الغرض الاساسى ـ وهو هروبه شخصيا • ووافق على أن يأخذ معه أى فرد أرسله له على ألا يزيد العدد على أربعة أشخاص • وفى الواقع كان لدى خمسة أفراد من الباقين من الشبكة • فاتصلت بهم جميعا على أمل أن أتمكن من اغراء جوى على قبول هذا العدد الذى يتضمن زيادة فرد واحد •

وفى الواقع لم تكن ليلى عضوا من أعضاء الشبكة • ولكنها اشتركت فعلا فى انقاذ بعض الافراد • وأصبحت أثق بها بسبب الدور الذى قامت به باخلاص وأمانة • ولكنها شكرتنى على مساعدتى لها وبدا لى أنها لاتهتم كثيرا بمغادرة البلاد • اذ كانت تعتقد أن هذه الفترة العصيبة لا تلبث أن تمضى بسلام ، وأن المجر سوف تصبح بلادا تصلح لاقامتها فيها ، حتى اذا آن الاوان لاعتقال رايك باعتباره من « الفاشيست » ومعه أحد الجواسيس من الامريكيين وكذلك أحد عملاء تيتو فى سنة ١٩٤٩ • كانت ليلى لحسن حظها خارج البلاد تؤدى مهمة للحكومة • ولكنها لم تعد بعد ذلك على الاطلاق •

كذلك ظلت آنا باقية لنفس الاسباب وطبقا لهذا التفاؤل • ولكن تفاؤلها هذا كان على أسس واهية لسوء حظها • فقد اعتقلت أثناء الحملة الاخيرة على الكنيسة فى سنة ١٩٤٨ وحكم عليها بالسجن لمدة سبع سنوات•

وكانت هيلين تفضل البقاء أيضا • وكان مصيرها الاعتقال سنة١٩٤٩ كما كان عليها أن تقضى فى السجن سبع سنوات كما حدث لآنا •

وأما لويز فقد انتخب عضوا فى البرلمان مرشحا من أحد الاحزاب الفرعية • فلم يكن من المتوقع أن يغادر البلاد طالما كان حزبه صغيرا وليس عرضة للمهاجمة ، ولكن عندما التقيت به رأيت على وجهه ابتسامة حزينة وهو يقول : « سوف الحق بكم فى القريب العاجل » • ولم تمض ستة أشهر حتى أصبح الحزب أثرا بعد العين • وتمكن الرجل من الهروب فى أمن وسلام ووصل الى بلاد الغرب •

وكانت سارة تعلم علم اليقين ألا مفر لها من وزارة الخارجية سوى السجن بعد أن تمكن خطيبها من مغادرة البلاد · فتقبلت ما عرضه عليها جوى من المساعي الحميدة عن طيب خاطر ·

بعد ذلك بدأت في عمل الحساب الختامي لمصروفاتي قبل أن أستعد للرحيل · وذلك لكي يرسله مارك بالطريقة المعتادة · وكانت الحساب أشبه شيء بالمساومة · اذ أن الثمانية عشر شهرا كلفت دافعي الضرائب من الامريكيين ـ بما في ذلك مرتبي ـ أقل من نصف الفدية المستحقة على كل فرد ـ أى حوالى عشرين ألف دولار ·

وكان يبدو من كشف الحساب ـ أنى جاوزت الحد المقرر للمصروفات من ناحية · ومن ناحية أخرى لم أتقيد بما في يدى من السلطة ، كما كنت مرغما على ذلك طبقا لظروف العمل · وجاء في كشف الحساب بيان شامل لاوامر الرؤساء التى صدرت بشأن تهريب خمسة وعشرين شخصا الى خارج البلاد ، وفي بند واحد ذكرت الاعتمادات التى تسلمهاجوى مقدما ليستعد للهروب مع زوجته · ثم سارة التى تمكنت من المغادرة بعد أسبوعين ، وذلك باستثناء زوجة أحد العلماء · وثمن البترول فى رحلة واحدة الى فينا مع بول وخمسة آخرين · وكان البند يشمل :

« مصروفات تهريب ٦٧ شخصا ممن تعرضوا لخطر الاعتقال · على حساب متوسط مصروفات الفرد الواحد مائة دولار ـ فتكون الجملة ٦٧٠٠ دولار » ·

وكانت هذه هي جملة المصروفات التى دفعتها لتهريب ٧٤ من الافراد· وكنت أرغب في تهريب أكثر من ذلك لو أتيحت لى الفرصة المناسبة · ولكن حتى لو كان الهاربون أقل من هذا العدد لما كنت جديرا بأى لوم أو مؤاخذة ·

وفى أحد ليالى شهر ديسمبر • وكانت باردة والسماء صافية • غادرت جى الفار بسيارتى لآخر مرة• وألقيت نظرة على نهر الدانوب الذى لا يدرك معنى لأى نوع من السياسة • فشعرت بألم عميق وتبين لى أنه لن يفارقنى لعدة سنوات • وربما الى الابد • وبعد مغادرتى بودا توقفت لدى أحد المقاهى ثم مقهى آخر حيث كنت أشعر بالعطف على أولئك الذين لا سبيل لهم الى الحرية • كما كنت أشعر بالفخار لو أتيحت لى المعيشة بين هؤلاء القوم مرة أخرى • وأخيرا رأيت أن أكتفى بما أشعر به من الاسف والحزن من أجلهم • ومن أجل ما سوف يقاسونه فى المستقبل من أحزان وآلام أشد وطأة •

وبينما كنت أجوس خلال المدن والقرى وأصعد التل الموصل الى الغرب والذى أصبح خاليا من السكان • لم أجد فى ذهنى ما يصلح عزاء لهؤلاء القوم فى محنتهم • ولكن فى مناطق الريف المتجمدة هدأت مشاعرى اذ كان يبدو على أهل الريف أنهم لا يهتمون كثيرا بحقيقة الموقف •

ودار فى ذهنى أنه فى مدى أسبوعين سوف يتخلى عن العرش ملك رومانيا الشاب بناء على أوامر فيشكسى • وأنه سوف يمر بالقطار بجانب هذا الطريق ذاته • وهو فى طريقه الى المنفى ، وتلك هى نهايته ، ثم بعد مضى شهرين سوف تصبح تشكوسلوفاكيا — التى كنت أشاهدها من وقت لآخر عبر النهر — ضمن ممتلكات امبراطورية السوفييت تحت تهديدات زورين باستدعاء الجيش الاحمر • بينما لا نزال ندفع ثمن الكبرياء والتهاون ممن دعا الى ضياع هذه الدول •

وبعد جيور وقبل حدود Hegyeshalom تحولت من الطريق الرئيسى نحو الشمال • ثم اتجهت الى ناحية الغرب بعد أن راقبت عداد السرعة عند مفترق الطرق • وهنا رأيت أمامى مرة أخرى ذلك الحاجز بلونيه الاحمر والابيض • وكذلك الضوء الخافت الذى يحمله حارس المنطقة • فأضأت النور الكشاف ثلاث مرات متتالية • ولكنى لم أكن على يقين من صلاحية

هذه الاشارة فى هذا الوقت · كما لم تكن أعصابى هادئة كما كنت فى المرة السابقة · ومع ذلك لم أبطىء فى السير · حيث وجدت الحارس الغامض يرفع الحاجز فى تلكؤ ودون عناية ·

حتى اذا مررت بموقف دبابات الجيش الاحمر · تحولت نحو الشمال مخترقا بعض الطرقات الفرعية فى منطقة الريف حتى وصلت الى الطريق المرتفع والموصل بين فيينا وبودابست · وبعد خمسة أميال توقفت عند نقطة التفتيش فى شفيشات وهنا راجع أوراقى أحد حراس السوفييت وكان فظا عابس الوجه وتلوح عليه الرغبة فى النوم · وكان جواز مرورى من النوع الرمادى وكان سارى المفعول بالرغم من أن الاسم والتاريخ كانا مزورين · وكان الحارس يوجه عنايته الى مراجعة التوقيعات ·

وسمح لى بالمرور بلهجة جافة لم يكن لها أى تأثير فى نفسى · حتى اذا أصبحت وسط مبانى فيينا بدأت أشعر بالتعب من مشاق السفر · وأنى لابد من أن أقضى بضعة أشهر فى راحة واستجمام ·

كما كانت روحى المعنوية عالية · وبالنسبة لى شخصيا لم تكن هناك حاجة لمغادرة المجر بهذه الطريقة الخفية · ولكنى فعلت ذلك لغرض فى نفسى · وكانت المرأة الفرنسية ــ عروستى المستقبلة ــ قصة خيالية ذكرتها لرئيسى فى واشنجطن · كما كان قلبى يدعونى لكى أحضر معى تلك السيدة المجرية فى رحلتى الاخيرة · وكل منهما كانت قانعة باصطحاب المسافر الخامس والسبعين ···

خاتمـــــة

نيويورك ســـنة ١٩٦٢

تحتوى العمليــة التى جاء الحــديث عنها فى هــذه الفصول السبعة السابقة على عدة صور من واقعية « **العمليات السرية** » ولكن الاهم من هذا كله أنها توضح تعقد تلك العمليات والعلاقات المترابطة بينهما ٠

ولقد بدأت العملية « **كعملية سرية للحصول على معلومات** » ثم تطورات تحت ضغط الظروف والحوادث لتكون « **عملية سياسية سرية** » وأخــيرا انتهت بسلسلة من « **عمليات التهريب للنجاة** » ٠

ثم هى توضح أيضا فى نفس الوقت ٠

١ ــ الاهمية الحاسمة والاثر الكبير على حياة الناس فى منطقة بعيدة تبعا لتصريح رسمى يصدر من موظف مسئول فى بلد يبعــد آلاف الاميال عن هذه المنطقة ، وقد لا يكون هذا الموظف المسئول على دراية بالموقف ٠

٢ ــ تأثير اعتقال فرد واحد على حياة الكثيرين بل وعلى مستقبل أمة ٠

٣ ــ تأثير نقاش حزبى داخل نطاق حزب ســياسى وما يمكن أن يؤدى اليه من تحطيم شبكة لاعمال المخابرات ٠

٤ ــ أهمية الحرص وخطورة أشراك أفراد تــكون طبيعــة عملهــم الافشاء والاذاعة على مثال ما حدث من المحرر الصحفى الامريكى بالنسبة لتدابير تهريب الرئيس تليدى ٠

وقد يمكن ملاحظة أن هذه العملية بخاصة قد صحبت بعدة محاولات انعدم فيها الحرص ان لم تقل أنها كانت مصحوبة بالتهور وذلك مثل :

(أ) تعريض مارك مرتين بلا سبب وبخاصة عندما تولى اعطاء النقود لماجوروس دون التأكد مما اذا كان هو ماجوروس فعلا أو كان عميلا للسوفييت ، وثانيا عندما حث على القول بأن مستر ومز تومبتكس أمريكيان من ديترويت دون تقدير من أنه ربما كان هذا شركا أعدته ادارة أمن الدولة للكشف عن حقيقة عمل مارك ٠

(ب) عمليتا تهريب زوجة العالم المجرى وتهريب بول كانتا مليئتين بالمخاطر ٠

(ج) كان الاتصال بليلى مخاطرة اذ أنها ربما تكون عميلة لادارة أمن الدولة مرسلة للتسرب لداخل الشبكة ٠

(د) خطأ ادخال سوزموكى الى الطابق أثناء وجود المراسل الامريكى ٠

على أن العملية بالرغم من كل هذه السقطات كانت عملية ناجحة ومن الممكن دراستها تفصيليا فى ضوء ما جاء فى الفصل الثالث من كتاب « الجاسوس ورؤساؤه » والخروج بالدروس العلمية المستفادة التى تصلح للاتباع والتنفيذ ٠

